روائع تراث الزيدية

مجموع رسائل

الإمام الشهيد المهدي أحمد بن الحسين ع

(صاحب ذيبين)

تأليف

الإمام الشهيد المهدي أحمد بن الحسين ع

[٦١٢ - ٦٥٦ هـ]

تحقيق

عبد الكريم أحمد جدبان

مكتبة التراث الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

منشورات

مكتبة التراث الإسلامي

الجمهورية اليمنية - صعده

ت: ٥١٣١٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

ترجمة المؤلف

نسبه

هو: الإمام الشهيد المهدي لدين الله أحمد ، بن الحسين ، بن أحمد ، بن القاسم ، بن عبد الله ، ابن القاسم ، بن أحمد ، بن أبي البركات إسماعيل ، بن أحمد ، بن القاسم ، بن أحمد ، بن محمد ، بن الإمام القاسم الرسي ، بن إبراهيم ، بن إبراهيم ، بن إسماعيل ، بن إبراهيم ، بن الحسن ، بن الحسن ، بن علي ، بن أبي طالب ، اليمني المعروف بصاحب ذِيبين ، والمعروف أيضا بـ(أبو طير) .

مولده

ولد بهجرة « الكُومة » من بلاد الظاهر في حاشد في ذي القعدة سنة (٦١٢هـ) . وتوفي شهيداً في صفر سنة (٦٥٦ هـ) وهو نفس العام الذي قتل فيه آخر خلفاء بني العباس في بغداد ، إلا أن الخليفة في أواخر شهر المحرم ، والإمام في مطلع شهر صفر وتلك من إحدى العبر .

مشايخه

أخذ عن الشيخ أحمد بن محمد الرصاص الحوثي ، والشيخ الحسن الكناني ، والفقيه قاسم بن أحمد الشاكري ، والفقيه صالح بن أحمد عريق ، والفقيه أحمد بن محمد الأكوع ، وغيرهم ، حتى صار أحد محدّثي الزيدية ، ومن أكابر أعلامهم وكرمائهم ، وانتشر فضله .

مؤلفاته:

١- حليفة القرآن في نكت من أحكام أهل الزمان .

٢- المفيد الجامع لما نظمت غرائب الشرائع . (فتاوى جمعها تقي الدين علي بن سلام) .

٣- الرسالة الزاجرة لصالح الأمة عن إساءة الظن بالأئمة .

٤- عهود من الإمام لبعض أمرائه .

٥- بغية المرتاد .

مزاياه

قال المؤرخ زبارة: « وترجمه الشيخ علي بن الحسن الخزرجي الشافعي المؤرخ بالقرن التاسع في كتابه « طراز أعلام الزمن في طبقات أعلام اليمن » فقال: « كان إماما فاضلاً سيداً كاملاً ، حسن السيرة ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، حليماً ، كريماً ، جواداً ، أمثل الأئمة الزيدية في عصره ، أجابته بعد دعوته كافة الشيعة وعلماء الزيدية ، ومدحه عدة من الشعراء بجملة من القصائد الطنانة » .

وقلت: « وكان لطيف الشمائل ، شديد الشكيمة ، سريع النهضة ، عالي الهمة ، كثير العبادة والصلوات ، واتسعت رقعة نفوذه في أقرب وقت ولكنه ابتُلي بالأشراف « الحمزيين » من أول دعوته إلى خاتمة عمره ، وله في الجود والكرم أحاديث تهتز لها القلوب ، وترتاح لسماعها الأرواح ، حتى قيل أنه كان يحثو المال حثوا ، وأنه حصر ما وهب من الخيل فبلغت ألف وستمائة وسبعين فرساً ، وأنه

أعطى ابن هُتَيمل الشاعر التهامي من الدراهم والخيل والثياب ما قيمته مع الدراهم نحو عشرة آلاف »[1] .

قال العلامة الكبير ، والمؤرخ الناقد أحمد بن محمد الشامي: « نعم؛ تلك كانت مزايا الإمام الجديد الذي ظهر بعد طول انتظار ، وترقّب ، ونحن نعلم أنه نهض بأعباء الإمامة ، ودعا لنفسه في صفر عام (٦٤٦هـ) وهو في عنفوان شبابه ، لما يتجاوز الرابعة والثلاثين ، ولقد استجاب لدعوته كافة علماء ومشايخ الزيدية ، لأنهم منذ وفاة الإمام عبد اله بن حمزة ، وتلاشي أمر خلَفه يحيى بن المحسن ، وقد تحولت كل مخاليف ووديان وحصون ومدن اليمن إلى إقطاعات موزعة على قواد عصساكر « الغُزّ » ، وأمراء سلاطينهم بني « رسول » ، شعروا بالضياع ، ورأوا « نظرية » دعوة « زيد » بل و « الهادي » ، وقد صارت « تركة » يتنازع عليها ذوو الأرحام ، أو مسائل جدل تتناقر على منصات خزعبلاتها « الكلامية » دِيَكةُ « المخترعة » و « المطرفية » ، وفقهاء الوسوسة والغفول . فما إن سمعوا الدعوة ومن « ثلا » المنطقة « الزيدية » العتيدة ، والداعي لا يمتّ بدعوى سيطرة راثية إلى « الهادي » أو « العياني » أو « ابن حمزة » حتى خشعت لها نفوسهم ، وهطعوا مؤيدين ، وماجت البلاد واضطربت وبات آل رسول في أمرٍ مريج . بل ولبّاها أحفاد الأئمة المتصارعين على « التركة » ، وإن لأمدٍ قصير .

النعمة التي أصبحت نقمة !

لقد نبغ أحمد بن الحسين من قلب الأمة لا يدعي « وراثة » الإمامة ، ولا يزعم أنها حقا اكتسبه لأنه من أولاد « حمزة » أو « أحفاد العياني » بل وليس من ذرية « الهادي » يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي مؤسس الإمامة في اليمن ، لأنه

---

(١) أئمة اليمن لزبارة ١/ ١٥٢ .

لا يلتقي به نسباً إلا عند الإمام القاسم الرسي ، وقد عرفنا كيف تورّط بعض أحفاد « الهادي » و « العياني » في شباك الشقاق والخصام وهو ما قد وقع فيه أولاد « حمزة » ، ولهذه المزية الفذّة ، إلى جانب تلك المزايا من العلم والكرم ، والشجاعة وعلو الهمة ، والزهد والورع ، التّفتْ حول دعوته الطائفة الزيدية بكل فئاتها ، وأكبرته الأمة اليمنية ، وتطلعت إلى نيل الخير على يده كل طبقاتها ، وكانت تلك « نعمة » لو تلاحم الجميع ، واتحدوا وتعاونوا على البر والتقوى ، ولو أخلص أمراء « الأشراف » و « بني حاتم » لما يُترقّب من خيراتها .

ولكن ، لأنهم كانوا قد ألفوا « الإقطاع » ومردوا على إبرام العقود وعلى نقضها ، وتعودوا على الحلف والتلفظ بالعهود المغلظة على الوفاء والإخلاص وهو ينوون النكث بها ، وأتقنوا صناعة الولوج والخروج ، والكر والفر ، والمطاولة والمصاولة أيضا مع الأيوبيين والأئمة والرسوليين وفيما بينهم . . سرعان ما تحولت تلك « النعمة » الظاهرة إلى « نقمة » كبيرة ، مزّقت شمل الأمة ، وأدت في النهاية ، وبعد صراع مرير إلى قتل الإمام أحمد بن الحسين !

أما كيف أصبحت « النعمة » « نقمة » فإن الإمام بإخلاصه وصدقه وورعه ، قد وثق بعهود ووعود أولئك الأمراء والأشراف ، وقرّبهم وجعلهم من أنصاره وقادة جنده وأكبر أعوانه ، حين ملك « صعدة » و « صنعاء » و « ذمار » و « وكوكبان » وما يربض حولها ويمتد بينها من حصون ، وقرى ووديان ، مما دفع « المظفر » الرسولي إلى أن يعترف بالأمر الواقع ويبرم اتفاقية بينه وبين الإمام يكون بموجبها للمظفر ما يسمى باليمن الأسفل ، وللإمام ما يُدعا باليمن العليا جغرافيا .

وأراد الإمام أن يطبق الشريعة ، فلا إقطاع ولا محاباة ، وأن يأخذ الجميع بما في ذلك نفسه وذويه بقوانين العدل والمساواة والإنصاف ، وعدم التفريط في

الحقوق والواجبات والحدود الشرعية بين أمير وابن سلطان وحفيد إمام ، وبين أي فرد من اليمنيين ، وأن يعيد آل « حمزة » وبنو « حاتم » ما بأيديهم من قلاع وحصون للدولة بيت مال المسلمين ، فتآمروا عليه وراسلوا « المظفر » ، ولم يستطع الإمام بغشاوة ثقته العمياء ، وعناد تصلّبه في الحق ، وما يراه ديناً لازبا أن يلمح ذلك التآمر ، فاستمع إلى نصائحهم وهم إنما يغشونه ، وصدّق أقوالهم وهم إنما يخادعونه ، كما أنه اعتمد معهم الصراحة والصدق ولم يلجأ إلى الحيل والغدر فيقلّم أظفارهم .

وكان شقاق أولاد حمزة قد ظهر من أول عام دعوة أحمد بن الحسين ، وكان الملك عمر بن علي بن رسول والد المظفر لا يزال حيا ، وكان هو الذي بدأ التآمر على الإمام مع الأميرين محمد وعبد الله ابني يحيى بن حمزة ، شقيق الإمام عبد الله بن حمزة ، فملكهما حصون « قُراضة » و « الموقد » و « عزّان » وغيرهما ، على أن يلتزما بحرب الإمام ، وكذلك عمل مع الأمير أحمد بن يحيى بن حمزة وحصلت عدة معارك ومناوشات بين جند الإمام وأنصاره وجنود « الغز » والحمزات « وقد تحقق الإمام بعد ذلك أن الأشراف الحمزات كانوا يتربصون به الغوائل »[1] .

وقعة « قارن » ونصحُ الشاعر

يقول المؤرخ يحيى بن الحسين: « وفي شوال من السنة المذكورة [٦٤٧هـ] وقع الاختلاف بين الإمام المهدي [أحمد بن الحسين] والأشراف فالتقوا إلى « قارن » ، ووقع الحرب العظيم ، فكانت الدائرة على الأشراف بني حمزة قتل من أصحابهم ثلاثمائة ونيف وثمانون قتيلاً ، وأسر آخرون فمنهم من فدى نفسه ، ومنّ

(١) أئمة اليمن لزبارة ١/١٥٦ .

الإمام على جماعة منهم ، وهلك آخرون ممن جرح في المعركة ، وتفرقوا في الأودية ، وكان يوماً مشهوداً يقول فيه « ابن هتيمل » شاعر الإمام من قصيدة:

قرنتَ بأهل « قارن » يوم سوء أرحت به الزعيم من الزعامه[1]

ويقول المؤرخ زبارة: « وكان الإمام عليه السلام قد ناصح الأشراف الحمزيين وصارحهم بما بلغه عنهم في وقعة « أرتل » ، وحاول إصلاحهم ، فانفرجوا عنه إلى بلاد « الظاهر » وكان أمرها إليهم فجنّدوا الجنود ، وعاثوا في البلاد ، والإمام يحصي حركاتهم ، ثم نهض إلى « الجنّات » شمالي مدينة « عمران » في عسكره . واجتمع أصحاب الأشراف وهم قبائل بلاد « الظاهر » و « سفيان » و « مرهبه » و « الصَّيد » و « بني صريم » ، ومعهم الأمير محمد بن أحمد بن المنصور [عبد الله بن حمزة] فتقدموا إلى قرية « يشيع » واستدعى الأمير عبد الله بن يحيى بن حمزة بعض الجنود الرسولية من حصن « كوكبان » وغيره ، وساروا زهاء ألف وسبعمائة مقاتل إلى قرية « قارن » غربي « البون » ، فاستغاث أهلها بالإمام وأعلموه بما كان فخفّ لنصرهم ، وفي « قارن » حُمّ القتال ، وزلزل الزلزال ، وانتهت المعركة بهزمة الأشراف بعد أن قُتل منهم نحو ثلاثمائة وثمانون قتيلاً عدا من فرّ منهم جريحاً ومات في الشعاب ، ومن كان خروجهم على حكم الإمام تم تأمينهم » .

ومن أشهر ما قيل بعد وقعة قارن من الأشعار ، قصيدة عامرة للشيخ الأديب قاسم بن علي بن هتيمل منها:

إذا جئت الغضا ولك السلامَه فطارح بالتحية ريم رامَه

خذ « الحمزات » بالألطاف واخفض جناحَكَ للقرابة والرحامه

---

(١) غاية الأماني ١/٤٣٢ .

ولا تعجَل فربّ حَميّ أنف يمكّن بعد نفرته زمامه
فهم عين وأنت لها سوادٌ وهم بيتٌ وأنت له دعامه[1]

والقصيدة ستون بيتاً وستأتي وهي متداولة مشهورة ولها معارضات على وزنها وقافيتها كثيرة ، وإنما يهمنا منها الآن تلك الأبيات الثلاثة التي ينصح فيها الإمام أن يلين جانبه للأمراء من بني « حمزة » ، وكأن « ابن هتيمل » وهو الشاعر الزيدي المتحمّس للإمام المهدي قد سمع شيئا من التذمّر أفضى به إليه أحد « الحمزات » ، أو كأنه قد شاهد من معاملة الإمام لهم ما لا يرتضونه وقد ألفوا البذخ ، وعاشوا حاية فروسية وشعر وأمارة وترف ، وكأنه كان يخاف من أن ينقلبوا على الإمام ويتحولوا إلى خصومه من الغُزّ والرسوليين ، وأصدقائهم من الأمراء الشعراء بني حاتم .

وقد ورد له المؤرخ الخزرجي قصيدة نونية بديعة قالها أيضا بعد وقعة « قارن » ومطلعها:

أَغْلَقْتَ فضلة قلبك « المرهون » وجهلت فاستأمنت غير أمين

والذي يهمنا الآن ، ونودّ الإشارة إليه أنه بعد أن أغرق في مدح ابن الحسين كعادته قد تعرض لوصف فرحته بأن الخلافة حسب معتقده قد عادت إلى أصحابها الشرعيّين فقال:

وأرى الإمامة بالنبوة أصبحت مقرونةً كالحاجب المقرون
يهنى بني الحسن المثنى أنهم قد عوّضوا المحقوق بالمظنون
رجعت خلافتهم إليهم بعد ما ألقى « الأمين » بها إلى « المأمون »
مللكٌ تقمّصه « ابن هند » فاغتدى بعد « ابن هند » في بني « ميسون »

---

(١) أئمة اليمن ١/١٥٦ — ١٥٧ .

وغدت « بنو العباس » تزعم مثله « بالفتح » و« الفضلين » و« الإفشين »
خلعوهم بالطابع المسعود من « مهديهم » والطائر الميمون
بأغر أعلم هاشمي قائم في الله بالمفروض والمسنون

ثم عاوده الخوف على أمله هذا ، وخشيَ أن يتلاشى إذا نشب الصراع بين الإمام وأمراء « بني حمزة » ، فاستأنف النصح من جديد للإمام بأن يصانع « الحمزات » وأن يمزج الفظاظة بالرحمة ، والقسوة باللين وكأنه كان يدري بطموحاتهم فقال:

خذ في علاج ذوي النهى بفظاظة في رحمة وبقسوةٍ في لين
فلقل ما اعتدل القنا ما لم يكن تثقيفه بالنار والتسخين
واشدُد قواك بآل « حمزة » واعتضد بالشمس طالعةً على الشاهين

ولعل الشاعر « ابن هتيمل » كان يخشى ما حصل بالفعل بعد انضمام الأمير الفارس الشاعر أحمد بن عبد الله بن حمزة إلى الملك المظفر يوسف بن عمر ، وكان ما كان ! أتراه كان يلمح الأمور بمنظار الغيب ؟ أم هو حرصه على تحقيق نظريته الشاملة عن « الخلافة الإسلامية » ؟! والتي لم يجمجم بها بل صرح قائلا في نفس القصيدة:

ما نحنُ في شيء ولم نظفر إذا لم تَسلُ عن « شُطب » « بقنسرين »
فاترك جيادَك تغز من « صنعاء » إلى « مصر » إلى « حلب » إلى « جيرون »
فعلى « العراق » وأهلها لك لهفةٌ لحقت معرّتها « بصين الصين »

ولا شك أن « ابن هتيمل » قد ذهل لمقتل الإمام وبأيدي من كان ينصح له بمداراتهم وإكرامهم ، ولا شك أنه قد أفرط في خيالاته ، وأغرق في تصوراته حين طلب من الإمام ما هو شبيه بالأحلام ، وما يكاد يكون مستحيلا .

والذي يظهر من سيرة أحمد بن الحسين وتصرفاته أنه كان متشددا ، بالغ الشحّ في وَرَعِه ، لا يترخص ولا يستجيز معالجة شئون الحياة الدنيا بوسائل يرى فيها خللا على دينه ، أو يقدر أنه سيسأل عنها أمام الله ، ولا يملك جدالاً عنها أو مبرراً لها ، وكان لا يقر من يقولون: إن الغاية تبرر الواسطة ، ولا إن المكر والمخادعة من الدهاء ، وكأن مستواه ديناً وإخلاصاً وورعاً ، كان فوق مستوى مجتمعه الذي كان قد تأثر بما طمّ العالم الإسلامي يومئذ من الترف واللهو ، وتقاليد العجم والهنود والشركس ، والمغول والغزّ والتركمان . ولذلك فلم يغتنم فرصة استجابة العناصر اليمنية لدعوته ، ولم يستطع مسايرة من أرادوا بإخلاص نصرته وتأييده عند ظهوره من أمراء اليمن ومشايخها وسلاطينها ، الذين كان الأيوبيون قد قلصوا سلطاتهم ، وقلموا أظافرها ، وهم يحاولون وتحت زعامة الإمام الجديد أن يكونوا دولة يمنية يحكمها أبناؤها ، لا تخضع مقدراتها لسيطرة « الغُز » و « المماليك » ، ولا تسيّر من « بغداد » أو « القاهرة » ، شريطة أن يكونوا هم في واجهة هذه الدولة ، وأن يكون لهم من مصالحها الحظ الوافر ، والنصيب الذي يحافظ على مظاهر العظمة والامتياز .

موقف بني حاتم وقصيدة التمرد

ولم استنتج هذا من موقف الإمام أحمد بن الحسين مع « الحمزات » ، ولا من نُصح الشاعر « بن هتيمل » له فحسب ، بل ومن موقفه من سلاطين آل « حاتم » الهمدانيين ، فقد حدث أنه حين زحف واحتل صنعاء بعد قتل السلطان نور الدين عمر الرسولي أن نفذ حد القصاص في رجال من همدان رغم تشفّع سلاطين آل حاتم الذين كانوا قد مالوا معه وأعلنوا طاعته ، فأدى ذلك إلى نفورهم عنه ، وانضمامهم إلى معسكر الأيوبيين ، ثم تآمرهم وأصدقائهم « الحمزات » مع «

المظفر » عليه . في قصة مفصلة في كُتُب التاريخ . وقد صور دوافعها تصويراً شعرياً أحد شعراء آل حاتم ، وتفرد بسردها مؤلف « السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن » وهو من الأمراء الحاتميين قال: « لما بلغ هذا العلم — يريد مقتل السلطان نور الدين — إلى صنعاء انتهز الأشراف الحمزيون الفرصة ، ونهضوا بأجمعهم إلى صنعاء في حملة الإمام ، وأقبل العرب من كل جهة فمال الأمير أسد الدين إلى ((براش)) هو ومماليكه ، وهرب أجزل العرب إلى الإمام ، وجاء الإمام فدخل صنعاء ، وكان يحارب أسد الدين على براش ، وخيل أسد الدين تغير في الطريق ، وأوقع الإمام في الناس ، وكان معه من بني حاتم جماعة فقتل منهم من جُشَم رجلين أو ثلاثة على تهمة قتل من غير حقيقة ، فأنِفَت همدان من ذلك ومالت إلى حصن « ذي مرمر » وإلى « العروس » ولم يبق معه منهم أحد . . .

وقال شاعرهم:

حلبتُ زماني يابنَةَ العم أشطرا ... وقلّبت آرائي بطوناً وأظهُرا
ورمتُ فلم أقدم على ما أرومه ... مخافة أرضي الشامتين وأضجرا
ولا ساعدتني همة « مُذكريةٌ » ... على أن أرى عن مذهبي متنكرا
فمن يبلغ « المنصور » عنا شكيةً ... ويبلغ « يحيى بن الحسين » و « جعفرا »
ومن مُبلغٌ عنا النبيَّ محمداً ... ومن مُبلغٌ عنا البتول وحيدرا
بأن إماما قام بعد ابن حمزة ... أقام حقوق الدين حولا وأشهرا
فلما استقلّت في أزالِ ركابُهُ ... أناخ على الإسلام حتى تدعثرا
أباح دماء المسلمين ومالها ... وكان رجالها أن يقوم وينصرا
فيا معشر الإسلام لم يبق مُنصفٌ ... ولا مُنكرٌ يدعو إلى الله مُنكِرا
فإن تثأروا أو تنكروا كان عاجلاً ... وإلا قصدنا الأريحيَّ « المظفرا »
كبير بني غسان وابن كبيرهم ... وحامي حماها أن يُضام ويُقهرا

فتىً هَمُّه فتحُ الثغور وسدُّها ... إذا كان همُّ النِّكس كأساً ومزهرا
حَمَى الملك بالبيض الصوارم والقنا ... فأنسى بكسرى في الملوك وقيصرا
وشاد العُلى حتى استقرت أصولها ... وشاد عليها مفخراً ثم مفخرا
هُنالك تلقى النيل والخير والغنى ... وجُردا تبارى في الأعنَّة ضُمرا
وزُرنا براشاً والجواد محمدا ... فمن زاره لم يغدُ في الناس مُعسرا
هُماما كنصل السيف يهتز للعلى ... وتغشى نواصيها ورداً ومصدرا
ويجلبُها ما بين أحمر صلدم ... وأدهم كالليل البهيم وأشقرا
ويرمي بها ركني أزال فلا ترى ... لجولتها إلا صريعا معفرا
كفعل أبيه يوم جرّد سيفه ... عشية لاقى الألف أبلجَ مسفرا
ومنا له الأسعادُ بالطعن في الكلى ... وضرب الطّلى حتى ترى النقع أكدرا
وما ذاك للمهدي بُغضا ولا جفا ... ولا مخرجا من مذهب كان أزهرا
ولا خُطةً نخشى من الله إثمها ... ولكنه أبدى العقوق وأضمرا
وأرضى « سعيد الشوحطي » وجنسه ... وأغضب من صيدِ القبائل معشرا
وقد قال فيهم شاعرٌ ذو فصاحة ... غدا بشديد الرأي والفعل أخبرا
ولا تُغضبوا بالعزل أقيال معشر ... إذا غضبوا عُلَّ القنا وتكسرًا
أيضحي سليلُ المذبحي مقدَّما ... وتاج بني يام بن أصبى مؤخرا
إذن سقيت همدان كأسا مريرة ... ولا حُرمت كأسا من الموت أحمرا
ألا فأشهدوا أنى عذرتُ « ابن أيهمٍ » ... رئيس بني غسان لما تنصرًا
فوالله لولا الله لا شيء غيره ... ليركبُ فيها كبره من تكبرا
فقل لذُرى قحطان لله درُّها ... وخُصَّ بها همدان قومي و « مُذكرا »
علام وفيم اليوم تُغضي على القذى ... أكان لها عُذر هناك فتعذرا
هو الموت أقصى ما يخاف ويتقى ... فما لي لا ألقاه ندباً مشمرا

لله در الحكيم الذي قال: « إن الشعر ديوان العرب » فإن الشاعر في خطرة من خطراته وفي ساعة انفعال مما يرضى أو يسخط ، ليستطيع أن يسجل ما لا يستطيع المؤرخ تسجيله ، ويقول ويثبت ويرسم ما قد يتحاشى المؤرخ قوله أو إثباته أو رسمه ، ولولا هذه القصيدة ما وجدنا ما يصور الدوافع وراء انحياز بني حاتم إلى الرسوليين بعد أن كانوا قد اندفعوا في تأييد الإمام الجديد ، ولولاها لما عرفنا شيئاً عن المواطن « سعيد الشوحطي » ، والمواطن « المذبحي » واستنكاف سليل « تاج بني يام » عن أين يكون لأمثالهم أخاً في الله والحقوق والواجبات ، ولقد أحسن إلى التاريخ المؤرخ الحاتمي بإثبات هذه القصيدة التي لا شك أنه قد سمعها من قائلها ، أحد أعمامه أو أولاد أعمامه ، وإذا كان قد قال: إن الإمام قد قتل الرجلين أو الثلاثة من أصحاب بني حاتم الهمدانيين على تهمة قتل أي قصاصاً ، وقال: إن التهمة غير حقيقية ، فذلك يدل على أنه أيضا كان يتعصب لموقف آبائه وأعمامه ، ولا يضيره ولا يحقّر من إحسانه إلى التاريخ بإثبات هذه القصيدة التي رفع بها من قدر ابن الحسين وهو لا يدري ، أن يتعصب لأهله وذويه !

إنها قصيدة حية تنبض بشتى العواطف والمشاعر المتضاربة ، وتنقل لنا الصورة الواقعية للمجتمع اليمني الذي أراد أحمد بن الحسين أن يقيم فيه حكما إسلاميا أساسه العدل والمساواة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إنها صورة حية لا نفتقر معها إلى حدس أو تخمين ، لكي نحكم على أن ذلك المجتمع كان غير مستعد لما يريده ابن الحسين ، فهو لما أقام حداً شرعيا على رجلين من إحدى القريتين « عظيمين » قصاصاً لأنهما قتلا عمدا عدوانا شخصين أو أشخاصا مسلمين ، ربما كان « سعيد الشوحطي » أو ابن د المذبحي » أحدهما أو كليهما ، أو مع آخرين من « جنسهم » ليسوا من السلالة « اليامية » ، لما عمل ذلك قد أتى بالفاقرة «

وأباح دماء المسلمين » في رأي ابن التاج اليامي ! وسليل « مُذكر » ! وهو لما أراد صيانة حقوق الأمة وأموالها بعد أن ظلت دهراً إقطاعات يستغلها ويأكلها ويلعب بها أمراء الغُز والسلاطين والأشراف والمشايخ .بكفّ أيدي العابثين ، وعزلهم إبعادهم عن مراكز القوة والسلطة ، قد أغضب أقيال معشر إذا غضبوا علّ القنا وتكسرا !! إذ كيف يصبح « ابن الشوحطي » و « ابن المذبحي » مساوياً قيمةً وإنسانيةً وحقوقاً لابن « مُذكر » و « حاتم » و « حمزة » و « يام » فيُقاص به ؟! ولذلك صرخ صرخته الجاهلية مُذكرا بحادثة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع « جبلة بن الأيهم » وقال:

ألا فاشهدوا أني عذرت « ابن أيهم » رئيس بني غسان لما تنصرا ! وإذن . . وقد قدم الإمام « سعيد الشوحطي » بأن اعتبره نفساً مسلمة من قتلها فكأنهما قتل الناس جميعاً ، وقد أخّر « سليل تاج يام » وقاصَّة بابن « المذبحي » فلتشرب كأس الذل والهوان همدان ، ولتسُقَ الموت الأحمر ، أو فلتثأر ، أو فلتنتصر إن استطاعت ، أو فلتقصد « الأريحي المظفرا » . . الذي فاق « كسرى وقيصرا » . . وسيلقى « الحاتميون » و « الحمزات » و « المشايخ » و « السلاطين » عنده ومنه النيل والخير والغنى والخيول المطهمة ، وسيقطعهم الأراضي ، ويملكهم رقاب البشر ، ولن يؤاخذهم إذا نهبوا أو سلبوا أو قتلوا « ابن المذبحي » أو « سعيد الشوحطي » ومن هو من « جنسهم » من اليمنيين ! الذين ليسوا من نسل « مذكر » و « حمزة » و « يُعفر » و « جعفر » ! ذلك هو المجتمع الذي أراد « ابن الحسين » « أبو طير » « صاحب ذيبين » ، ابن الأمة اليمنية المسلمة ، العالم الفقير ، الزاهد العابد الورع ، أن يقيم فيه حكماً إسلامياً وأن يمثل فيه دور الخليفة الراشد « عمر بن الخطاب » ! أو دور « عمر بن عبد العزيز » !

و « شاعر همدان » هذا الذي لم يصرح باسمه المؤرخ « محمد بن حاتم » لا أشك ولا أرتاب أنه أحد سلاطين بني حاتم ، فهو إما أن يكون الأمير الشاعر الفارس مُدرك بن بشر بن حاتم الذي سبق أن وصف معركة عصر بين الأشراف والغز وأنشأ قصيدة على لسان الأمير بدر الدين الرسولي مطلعها:

سلا ذات سمط الدر والمارن الأقنى لدى عصر من أصدق الضرب والطعنا

وأرسل بها إلى الملك المسعود في مصر وكانت من أسباب ضغن ((الأيوبيين)) عليه كما أسلفنا ، والذي كتب قصيدة عزاء إلى الأمير محمد بن حمزة مطلعها:

غضّي رناك عن الهزبر المخدر وقفي قليلاً لا أبالك وانظري

أو هو السلطان « علوان » بن بشر بن حاتم الذي كتب إلى الأمير محمد بن حمزة قصيدته الميمية التي مطلعها:

أسادات الورى من كل حيٍّ وأسمى في المعالي من يسامى

والتي ينصحه فيها بموالاة « الأيوبيين » و « الرسوليين » ، أو لغيرهما من أولاد وأحفاد « حاتم بن أحمد » فقد كان جلهم فرساناً يجيدون الشعر والقريض ، كما كان « الحمزات » .

والقصيدة لا شك « حاتمية » لأنه يفاخر فيها بأحد جدودهم « مُذكر » وبجدهم القديم « يام بن أصبى » .

ويقول أيضا: إنه قد زار « أسد الدين الأمير الرسولي » .

وزرنا « براشاً » والجواد محمداً فمن زاره لم يغد في الناس معسرا

ويذكره بفعل أبيه « ابن رسول » في وقعة « عَصُر » مع الأشراف « الحمزات » .

كفعل أبيه يوم جرّد سيفه عشية لاقى الألف أبلجَ مُسفرا

وذكره أنهم قد كانوا من أنصارهم في تلك الوقعة:

ومنّا له الإسعاد بالطعن في الكلى وضرب الطلى حتى ترى النقع أكدرا

وكل ذلك يرجّح أنها للفارس الشاعر مدرك الحاتمي اليامي صاحب قصيدة: سلا ذات سمط الدرّ والمارن الأقنى .

والقصيدة كما قلنا تنبض بشتى المشاعر المتباينة ، والعواطف المتضاربة ، فهو شيعي الهوى والمذهب ، وهواه ومذهبه يريدان منه أن يخلص للإمام الحسني وأن ينصره ويجاهد معه ، ولكن المنصب والجاه والسلطة والعزة العنصرية حسبا ونسبا ، وها هو الإمام بدأ يعزل بعض السلاطين والأمراء ويستعيد الإقطاعات والحصون التي استولوا عليها ، ويُنفّذ الحدود الشرعية حتى على الأقيال والأشراف ، فتحدثه نفسه الأمارة بالإقدام على شيء خطير ، لا ندري ما هو ، ولكنه يتردد ، يهمّ ولا يفعل ! ويروم ولا يقدم « على ما يرومه » ! مخافة أن يشمت به الشامتون ، ويُقلب آراءه بطناً وظهراً ، فيرى أن شكواه إلى ذكرى السابقين من الأئمة كالمنصور ابن حمزة ، والهادي يحيى بن الحسين ، وإلى « جعفر » . . ولعله عنى الإمام جعفر الصادق ، بل وإلى « البتول فاطمة » و « حيدر » علي بن أبي طالب ، وإلى الرسول الأمين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، مِن هذا الإمام الجديد الذي لم يرع حقه ولا جاهَهُ ولا منصبه ، ولا شرف محتده ، قد يجعل له ولقومه تبريراً لما سيقدمون عليه من الشقاق على الإمام والالتحاق بالمظفر وآل رسول ، وهو عمل لا شك أهون مما كان قد حدثته نفسه الأمّارة به ، ورامه ولكنه لم يقدم على فعله ، وجمجم به شعراً و لم يفصله ، لأنه لو فعله لتنكر لمذهبه كما يقول:

ولا ساعدتني همة « مُذكرية » على أن أرى عن مذهبي متنكرا

وإذن فأخفّ الضررين على همته وعلى مذهبه ، وعلى الإمام الجديد ، هو أن يخرج على الإمام ويلتحق بالمظفر:

وما ذاك للمهدي بغضاً ولا جفا ولا مخرجاً عن مذهب كان أزهرا !
ولا خطةً نخشى من الله أثمها ولكنه أبدى العقوق وأضمرا
وأرضى «سعيد الشوحطي» وجنسه وأغضب من صيد القبائل معشرا
وأضحى « سليل المذبحي » مقدما وتاج بني « يام بن أصبى » مؤخرا !

وكل هذي التبريرات توحي بأن آل « حاتم » مثل آل « حمزة » لو وجدوا مدرارة ومحاباة من قبل الإمام أحمد بن الحسين حتى ولو أقّل مما ينتظرون من « المظفر » وآل « رسول » لما فارقوا سوحه ، ولظلوا له وزراء وقادة ، وشيدوا معه دولة كتلك التي شيّدها المظفر ، وورثها أولاده من بعده أكثر من قرنين !

ولكن العالم الزاهد الورع في ابن الحسين لا يهتم بالملك والدولة إذا كانت على حساب دينه ، ولا يساوي ملك قرنين أو ثلاثة قرون لحظةً من راحة ضميره إذا شعر أنه قد نهى عن منكر أو أمر بمعروف أو حكم بما أنزل الله .

لقد مات شهيداً و لم يخلف من قرابته وأولاده أئمةً و لاملوكاً يحكمون اليمن أكثر من قرنين ومنهم الصّالح المحمود السيرة ، والطالح الغشوم ، كما رأينا في ملوك وسلاطين بني رسول حتى اضمحلّوا سنة ٨٥٨هـ /١٤٥٤م ، وقد انتصر المظفر ببذله لسلاطين آل حاتم ، وأمراء الأشراف ما يطمعون فيه من حطام الدنيا ، و لم يساوِهم ولا أمثالهم من الأقيال بالمواطن « سعيد الشوحطي » ، والزعوي « ابن المذبحي » ، وعاش بعد « ابن الحسين » ثمانية وثلاثين عاماً حاكما بأمره ، ودانت له كل أصقاع اليمن ، ونصّب ولده الأشرف ملكاً بعده ، وورثه بعده أحفاده . . ولكن نهاية الجميع كانت واحدة .. الموت ! والموت سهل ؛ ولكن ما

بعد الموت من حساب وعقاب وجزاء وثواب ، هو ما توقاه أحمد بن الحسين ورفض أن يُساوم فيه ، فأيهما المنتصر ؟ وأيهما الأسعد حظا ؟

قصة « الحشاشين » ومحاولة اغتيال الإمام

في سيرة الإمام أحمد بن الحسين قضية غربية تثير الدهشة والعجب ، وهي قصة الحشاشين ومؤامرتهم على اغتياله ، وقد تفنّنت الروايات في سردها ولا سيما في تعليل أسباب حدوثها وبواعثها ومن كان وراءها والمدبّر لها .

وليست سيرته التي ألّفها أحد أعيان عصره السيد شرف الدين يحيى بن قاسم الحسني في متناول يدي الآن فألخص ما كتبه عنها كشاهد عيان ، ولكن المؤرخ السيد محمد بن زبارة قد كفانا المؤنة فأوجزها بقوله: « وفيها — أي سنة ٦٥٣هـ — كتب السلطان المظفر إلى ملك بغداد العباسي يشكو ميل الناس إلى الإمام وطاعتهم له ، فبعث إليه برجلين من الحشيشيين ، وهم قوم من جهات خراسان والديلم ، من شأنهم المخاطرة بنفوسهم والإقدام على من أمروا بقتله غيلة من الملوك ولو كان فيه هلاكهم ، فلما وصلا إلى المظفر أرسلهما إلى الإمام في هيئة المصلحين وأغراهما بقتله » .

« فوصلا إلى الإمام في ربيع الثاني من هذه السنة وهو في حصن خلب بالقرب من حصن ثلا فأكرمهما ، ولبثا في مقامه أياماً ، ثم دخلا لموادعته ، ولم يكن عنده إلا الفقيه قاسم بن أحمد الشاكري ، والفقيه عبد الله البهولي ، والشيخ عبد الله الصعدي . فقال لهما الإمام : تكلما حاجتكما فتكلم أحدهما بكلام غير مستقيم وقال: مرادي ألقي إليك حديثا سرّاً ودنا من الإمام فاتهمه ، ومال إلى الفقيه قاسم الشاكري يساره ، فانتهز الحشيشي الفرصة وجذب سكينا من باطن ثيابه وانحط على الإمام فطعنه في موضع المحجمة من كتفه الأيسر حتى دخل

السكين زيادة على أصبع ، وأراد أن يطعنه ثانيا ، فقبض سكينه الفقيه قاسم الشاكري وأوثقه وضغطه إلى الجدر ، ثم كان قتل الحشيشي وصاحبه ، وشفي الإمام من تلك الجراحة بعد أن منعته من صلاة الجمعة نحو شهرين . وقد ذكر تفصيل خبر هذه الحادثة القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في ترجمة الأمير جعفر بن أحمد بن جعفر بن القاسم العياني في كتاب مطلع البدور وذكر بعض الأشعار التي نظمت في تهنئة الإمام بسلامته من ذلك قصيدة أولها:

هنيئاً كلما مرّ الجديد ... بما أولاك ذو العرش المجيدُ
ولا زالت تصاحب كل يوم ... معاليك السعادة والسعودُ
أمير المؤمنين فداك قومٌ ... رضي فعالهم غدرٌ عنيدُ

وقصيدة منها:

ألا تَبت يمين فتى ترامت ... به من أرض بغداد الأكام
أراد السوء بالإسلام كفرا ... وطغيانا فعاجله انتقامُ[1]

هذا ما لخصه زبارة وقد رجعت إلى مطلع البدور فوجدت ابن أبي الرجال قد نقل القصة كاملة برمتها عن السيد يحيى بن القاسم مؤلف سيرة الإمام ابن الحسين وخلاصتها ما نقله زبارة ، ولا زيادة إلا ما فصّله عن ما سماه فرقة الحشيشية وأنهم من الملاحدة القرامطة المعطلة يأتون من تخوم خراسان ، وأصل نشأتهم ، ومركز قيادتهم وكيفية تدريبهم ، وذكر أن رسول المظفر إلى الخليفة العباسي رجل يقال له ابن أبي الفهم ووصف الرجلين المنتدبين لا غتيال الإمام بأن أحدهما: رجل قد طعن في السن ، أعور العين ، طويل القامة ، جليل المشاش ، شيطان مريد والآخر : غلام حدث السن في سن الشباب كامل الخلق » وقال:

---

(١) أئمة اليمن١/ ١٦٨-١٦٩ .

إنهما قد وصلا مرسلين من المظفر إلى صنعاء مع ابن أبي الفهم إلى صنعاء وفيها اجتمعوا بالسلطان أحمد بن علوان ابن بشر بن حاتم اليامي وفيها دبّروا المؤامرة التي لخصها زبارة وأن الفدائيين قد أرسلا إلى الإمام في شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٥٣ مع خطاب من السلطان الحاتمي يقدمهما إليه كرسولي صُلحٍ من المظفر ، وإنه هو نفسه يريد الوصول ويطلب الذمة الأكيدة ، مما لم يبق لدى الإمام أي شك في رغبة القوم في الصلح . وكان ما كان وسلم الإمام وقتل الرجلان ، وقيلت القصائد التي نقل المؤرخ زبارة منها ما نقل ، والقصيدة الدالية من شعر السيد جعفر بن أحمد ، ومنها يذكر موقف الفقيه نظام الدين قاسم الشاكري وشجاعته في القبض على الحشاش :

وسلمك الآله ولا ظهيرٌ ... ولا حول لديك ولا ودودُ
سوى الفذ النِّظام وأي كافٍ ... تقر بفضله بيضٌ وسود !
وجاد بمهجة كرمت ! وأنّى ... بمهجته هنالك من يجودُ
وقام بكل ما ترضى وتهوى ... مقاماً ، ما له أبدا جحود

وأما الأبيات الميمية فهي من قصيدة للقاضي مسعود بن عمر العنسي ومطلعها .

بحقّ ذمام عهدكم وعهدي ... وحرمة صحبتي كيف الأمامُ ؟
ألا كيف الذي تهوي الرواسي ... لدعوته وينصدع السلام ؟
وكيف يد كمثل يمين عيسى ... إذا مَسَحَتْ أُزيل بها السقام ؟

ومنها:

ظللتُ وقد أتاني العلم أخفى ... بردني عبرتي ولها انسجام
وبتّ على الفراش كأن جنبي ... تعَرّض دون مضجعه السهام

يراقبني السّها فأقول مهلاً: ترفّق بي ؛ فإني لا أنام . . !
أأنسى أنعم المهدي عندي فأنكرها ؛ إذاً بئس الذمام ؟!

وبعد البيتين الذين ذكرهما زبارة البيت التالي:

كما فعل ابنُ ملجم في علي ؛ وأخَّرَ عن خليفتنا الحمام !

ومن التهاني التي ذكرها ابن أبي الرجال أبيات للإمام الحسن بن بدر الدين قال: « وكان إذ ذاك أيام سيادته لكنه الغرة الشادخة في العترة » وهي:

راموك والله رام دون ما طلبوا وكيف يُفرقُ شملٌ وهو جامعُهُ
عوايدٌ لك تجري في كفالته لا يجبر الله عظماً أنت صادعه
كم قبل ذاك من فتق منيتَ به والله من حيث يخفى عنك راقعه
ضاقت جوانبه واشتد مخرجه وأنت فيه رحيب الصدر واسعُهُ
رداً إليه وتسليماً لقدرته فمن يجادله أم من يدافعه [1]

من كان وراء مؤامرة الحشاشين ؟

تلك هي قصة محاولة الحَشيشيَّين — حسب تعبير المؤرخين اليمنيين — وقد قلت إنها قضية غربية تثير الدهشة والعجب ، ولا يستطيع من له إلمام بالتاريخ الإسلامي العام ومعرفة بتاريخ كل الدول والطوائف والسلطنات التي حكمت اليمن أثناء العصر العباسي الثاني إلا أن يتساءل: هل حقاً كان الخليفة العباسي المعتصم وراء مؤامرة اغتيال الإمام أحمد بن الحسين وبطلبٍ من الملك المظفر الرسولي . كما تدعي سيرته ، وشعر العنسي ، ونقله ابن أبي الرجال وزبارة دون تعليق ؟

---

(١) مطلع البدور٣/٣٨٣-٣٩٥ .

أما أنه قد قيل ذلك واشتهر وأشيع أثناء الحادثة وبعدها ، فلا شك في ذلك ، وإن الألسن قد تناقلت الخبر وكان حديث المجالس والرسائل والقصائد الشعرية . وبالغ المدبّرون الحقيقّيون ، والواقفون وراء عملية الاغتيال ، في تثبيته مغالطةً وتضليلا ؛ كما أغرق أنصار الإمام وأشياعه في نشره تعظيماً للإمام ، وتهويلاً للمصاب ، وتنديدا بالعباسيين والرسوليين خصوم « الإمام الزيدي » ! واستعمل « الباطنية » كل وسائلهم لتصديق ذلك . وقد ساعد الإشاعة وجعلها أشبه بالواقع الذي لا واقع سواه أن الرجلين الحشيشيَّين قد قتلا فوراً ودفن السر معهما . ولكن يخامرني الشك في أن الخليفة العباسي المستعصم هو الذي أرسل الفدائيين من الحشاشين إلى الملك المظفر ، وذلك ما ينسجم مع واقع الخليفة العباسي يومئذ ، وقد اكتسح المغول المعمورة ، و هولاكو الجبار يناشد المستعصم الضعيف الأهوج المشغول بالجواري واللعب بالحمام ، وربما لا يليق بالقادة . . أن يأتي إليه ضارعاً ذليلاً وإلا فسيواجه ما لا قبل له به ، وسيزحف إلى بغداد ويجعلها حصيداً هشيماً ! أسَيَهْتم المستعصم في مثل هذه الحال بالاتصال بزعيم الحشاشين في أصبهان أو ألموت ، أو أي قلعة من قلاعهم ويستأجر منه فدائيين ليذهبا إلى اليمن ويغتالا الإمام الزيدي لصالح السلطان الرسولي ، ويتجاهل ، وينسى ما هو فيه وأهله وذويه من محنةٍ وبلاء ؟! كلا . . . كلا ؟

ومع ذلك فإن التاريخ يحدثنا بأن هولاكو كان قد قضى على الدولة الباطنية التزارية دولة الحشاشين سنة (٦٥٣ هـ / ١٢٥٦م) وقتل آخر زعمائهم ركن الدين خورشاه قبل أن يزحف على بغداد فَمِن مَن يا ترى استأجر الخليفة العباسي الفدائيين الفارسيين ونحن نعلم أن الفدائي من فرقة الحشاشين الباطنيين التزاريين ،

كان لا يضحي بنفسه إلا من أجل رئيسه الذي قد ضمن له بالخلود في جنات النعيم ؟!

مع العلم بأن الخليفة العباسي – وأي خليفة قبل المستعصم – لم تكن له أي سيطرة أو سلطة على دولة النزارية الباطنية في فارس منذ أسسها زعيمهم الحسن بن الصباح الحميري ، بل كان الخلفاء العباسيون يعيشون في رعب من الفدائيين الحشاشين .

ومن البعيد أيضا أن يكون المظفر من السذاجة بحيث يعتمد على حشاشين أحدهما كما وصفه مؤلف سيرة أحمد بن الحسين « رجل قد طعن في السن ، أعور العين ، طويل القامة ، جليل المشاش ، شيطان مريد » ، والآخر « غلام حدث السن » ويرسلهما باسم وفدٍ للمفاوضة والصلح مع الإمام وبقصد الدخول عليه واغتياله ، وينتظر أن الإمام سيقبل ذلك أو يصدقه . لا أتصور أن المظفر الداهية يتصرف مثل هذا التصرف !

وأنا لا أقول هذا إنكاراً للحادثة ، فلا شك أنها قد حصلت ، ولا أقوله دفاعاً عن المظفر ، وأنه لا يتورع عن الموافقة على اغتيال أحمد بن الحسين ، ولا يرتاح إلى هلاكه . . ولكنني أشك في أنه وبمساعدة المستعصم العباسي الذي يرشح نفسه للسحل والموت في بغداد على يد ((هولاكو)) قد كانا وراء محاولة هذا الاغتيال.

المؤامرة باطنية ((حاقمية)) يمنية !

وإذن فمن هم الذين كانوا وراء عملية محاولة الاغتيال ؟

هناك نص في سيرة ((ابن الحسين)) وصف به مؤلفها الفدائيين اللذين حاولا قتل الإمام وهو كما أورده ابن أبي الرجال كما يلي: ((وهم فرقة من الملاحدة والقرامطة المعطلة يأتون من تخوم بلاد خراسان يعزوهم أهل تلك الناحية إلى بلدة

تعرف ((بألُموت)) من نواحي الديلم لا يسكنها إلا ((الباطنية)) . وإذاً فقد كان الرجلان من فرقة ((التزارية)) الباطنية الذين يعرفون ((بالفداوية)) والحشاشين ، وهناك في السيرة نص ثاني يقول: ((إن الرجلين حين وصلا إلى ((صنعاء)) قد استقبلهما السلطان أحمد بن علوان بن بشر بن حاتم اليامي ، وأن أحمد هذا قد خرج معهما من ((صنعاء)) وتقدموا إلى ((كوكبان)) ، ثم كاتب الإمام ، وأراه الرغبة من السلطان المظفر في المصالحة وأن يسلم له حصن ((كوكبان)) وأظهر أنه يريد الوصول إلى الإمام ، وأنه يبعث مع الرجلين برسالة مطالباً ((الرفاقة والذمة الأكيدة)) من الإمام حتى يصل إليه آمنا لأنه كان مع جملة إخوانه وأعمامه سلاطين بني حاتم مؤيدين للمظفر مناوئين لابن الحسين .

وإذن فالرجلان كما أظهرهما أحمد بن علون السلطان اليامي إنما هما رسولان من ((المظفر)) إليه يأمره بالاتصال بالإمام لعقد صلح ، وإذا وافق فإن الرجلين قد خُولا بأوامر إلى أمير ((كوكبان)) لكي يسلمه للإمام ، والمفوض في عقد الصلح نيابة عن المظفر هو السلطان أحمد بن علوان وليس ذلك الشيطان المريد جليل المشاس الأعور الطاعن في السن)) ! وهذا هو المظفر الذي لفقه السلطان أحمد اليامي للمؤامرة .

وإذاً فقصة رسالة المظفر إلى الخليفة العباسي في عام (٦٥٣ هـ) وقد اكتسح هولاكو فارس ، وهو في طريقه إلى ((بغداد)) بعد أن قضى على كل ممالك خراسان بما فيها دولة التزاريين الباطنية ((الحشاشين)) ، ليُذفّف على دولة الخلافة العباسية ، قصةٌ مفتعلة ، لا تستقيم ولا تثبت أمام ما نعرفه من أحداث التاريخ ولا يقرها المنطق السليم .

ونحن نعلم أن الدعوة الفاطمية في اليمن منذ أواخر أيام السيدة بنت أحمد قد نهجت نهج أنصار الدعوة الفاطمية في فارس وخراسان والشام ولجأت إلى التستر ، وقالوا بالإمام المستور ((الطيب)) ولم يعترفوا بإمامة الخليفة الحافظ في مصر ، وساروا في ذلك على منوال أنصار ((نزار)) بن المستنصر في فارس . وإن اختلفت الدعوتان في اسم الإمام المستور ومن هو ممثله في الأرض !

ويقول مؤرخ الصليحيين الدكتور حسين الهمداني: بعد مقتل الإمام الخليفة الآمر بالله التجأت الدعوة بمرور الزمن أكثر فأكثر إلى ((التستر)) وذلك إنها فقدت تأييد الدولة ، ولقد كادت الدعوة تصير نسياً منسياً لو لم يلجأ أهلها إلى التستر بمعاقلهم المنيعة في جبال ((حراز)) و ((نجران)) و ((اليمن الأسفل))[1].

وقد أشار الدكتور الهمداني أيضا إلى أن الدعوة بعد ذلك قد انقسمت على نفسها ، فبينما ظلت السيدة وأتباعها وفيةً للدعوة القديمة الرسمية . . ثم لما رأت مؤامرة الخليفة الحافظ عبد المجيد على دولتها قررت استقلال اليمن من سيطرة وهيمنة الدعوة في مصر ، وانفصال هيئة الدعوة من مركزها بالقاهرة انفصالا تاماً ، وقالت بالإمام المستور .[وذلك ما عمله مؤسس الباطنية التزارية في فارس] . . بينما مال ملوك آل زُريع الهمدانيين في عدن إلى الدعوة المجيدية التي انتشرت أخيراً في معاقل اليمن .

فالموقف الذي وقفه الحسن بن الصباح الحميري هو نفس الموقف الذي وقفته السيدة ثم دعاة الفاطمية وأقطابها من بعدها بعد أن قضى عليها- أولا — ابن مهدي ثم الأيوبيون سياسياً ، وحاربهم الأئمة أحمد بن سليمان وعبد الله بن حمزة

---

(١) الصليحيون / ٢٥٠ .

وأحمد بن الحسين أخيراً في المنطقة الوسطى ((يريم)) و ((إرياب)) وما صاقبها عقائدياً وعسكرياً . فلماذا لا نظن أن السلطان أحمد بن علوان الحاتمي قد ظل وفياً لمذهب جده عمران بن الفضل اليامي وكذلك إخوانه وأولاد عمه ، وكانت صلاتهم بالأشراف الحمزات وتأليبهم على الإمام سواء كان يحيى بن المحسن أو أحمد بن الحسين نتيجة دراسة وتخطيط كي يتمكنوا من إعادة السلطة والنهوض بأمر دعوتهم الباطنية عندما تحين الفرصة ، كما فعل جدهم عمران مع الملك علي محمد الصليحي ؟ ولماذا لا يكون هذان الرجلان الفدائيان الحشاشان قد شردا ضمن من شرد من فارس إلى اليمن إثر احتلال ((هولاكو)) لحصون مملكتهم في ((ألُموت)) ، وحملا معهما شريعة التزارين الحشاشين التي من وسائل تنفيذها ((الفدائية)) واغتيالات زعماء الدول والفرق التي تحاربهم ، واستغل ذلك السلطان اليامي ولا يبعد أنه قد فاتح السلطان المظفر في موضوع اغتيال الإمام وأنه سيزوره باسم عقد صلح ومعاهدة مع السلطان المظفر فأذن له وكان ما كان ، وهذا الافتراض هو الأقرب إلى منطق الأحداث التاريخية ، ونحن نعلم أن الدعوة الإسماعيلية منذ نشأتها وحتى أيام الإمام أحمد بن الحسين في القرن السابع لم تحارب عقائدياً وعسكريا من قبل أي فئة في اليمن مثلما حوربت من قبل ((الزيدية)) وأئمتها ، وقد أصبح الباطنيون بكل فئاتهم يعتقدون مطمئنين إلى إعتقادهم أن خصمهم الحقيقي هو ((الزيدي)) الشيعي وإمامه الذي ينكر الرجعة المهدوية ، والعصمة لغير الأنبياء ، وكل البدع التي فتنوا بها المسلمين في فارس والشام ومصر واليمن وغيرها ، وأنه لا ملوك ((الغز)) ولا ((الترك)) ولا الطامعون الطامحون من مشايخ اليمن سيستطيعون أن يحولوا بينهم وبين ما يبتغون على المدى الطويل ، لأنهم بالمصانعة والمطاولة والخداع والتستر والمكر والتقية سيستطيعون أن يعيشوا ، ويمارسون

شعائرهم ويرتبون أمورهم حتى يحين الآوان ((ويدعو الداعي)) فيندفعون من سراديبهم كالصقور والذئاب ، كما اندفع علي محمد الصليحي من قلعة ((مسار)) في ((حراز)) وطوى اليمن طياً .

وقد كانوا لا يستنكفون أن يتظاهروا بالولاء والطاعة والإخلاص لكل حكام اليمن ، ما عدا أئمة الزيدية ! وقد أشار إلى ذلك الدكتور الهمداني فقال: ((إن الداعي علي بن حنظلة [٦١٢ – ٦٢٦ هـ [قد التزم مع أعوانه سياسة عدم التدخل في الخلاف القائم بين الملك المسعود الأيوبي وأعوانه آل رسول وبين الأشراف ، وعلى الرغم من ذلك لم ينجح الداعي وأهل دعوته من مخالفة الأشراف ، فكان الداعي مثل من سبقه من رؤساء الدعوة مضطراً أن يلتجئ إلى حماية السلطان وأمراء آل رسول طبقاً لقانون المحافظة على البقاء)) [١] .

وإذن فالمؤامرة كانت ((باطنية)) ((يمنية)) ومن قبل ((الحاتميين اليامين)) وليست هذه نظرة جديدة ارتأيتها وأنا أحرر هذه الفصول إذ قد قلتُ في منظومتي التاريخية:

ما جاء ((حشّاشهم)) من ((أصبهان)) ولا ((بغداد)) بل جاء من ((صنعاء)) أو ((عدن)) .

ومما يؤكد ما أذهب إليه ما يرويه مؤلف السمط الغالي ((الحاتمي)) وهو ((أن بني حمزة وبني حاتم والأمير أسد الدين محمد الرسولي – الذي كان قد لجأ إلى براش بعد دخول الإمام أحمد بن الحسين صنعاء سنة ٦٤٨ هـ – كانوا قد اجتمعوا واتفق رأيهم على دخول صنعاء والقبض على الإمام ، وكان ذلك بغير رأي أحمد بن عبد الله بن حمزة ، فلما علم أنكر القضية وأقسم بالله على أخته وأولاده

---

(١) الصليحيون /٢٩٥ .

وأصحابه لئن فعلتم ما توسمتموه لأضعن السيف على فؤادي ، وقد كان الأمير أسد الدين هو وبنو حاتم على أكمة ((الزبيب)) المشرفة على ((صنعاء)) ومعه كافة همدان ، فلما لم يساعدهم الأمير أحمد بن عبد الله على ذلك أمروا الأمير أسد الدين بالعودة إلى براش)) وعاد الحاتميون وبقية الحمزيين إلى التظاهر بالإخلاص للإمام ؛ والأمير أحمد بن عبد الله إنما عارضهم في إلقاء القبض على الإمام وقتله ، أما في المخادعة فكان هو الذي دبر المصالحة بين الإمام وأسد الدين وبعد أن تم الصلح وما أرادوا به إلا خديعة أحمد بن الحسين كان ابن حمزة هو الذي أشار على أسد الدين بالرجوع إلى ابن عمه الملك المظفر وقال له:((لن ينفعك إلا ملازمته والوقوف تحت أمره)) ، ثم خادع الإمام وأشار عليه بأن يجهز جيشاً يرأسه أسد الدين لمحاربة المظفر ، وكان قد أحكم التدبير مع أمراء بني حاتم وأسد الدين على أنه إذا قرب من ابن عمه صالحه ودخل في طاعته ، وانطلقت الحيلة — كالعادة — على الإمام الصادق المخلص ، وجهز مع أسد الدين قوةً ومعه فيها الأمير عبد الله بن سليمان بن موسى الحمزي والأمير أحمد بن علوان بن بشر بن حاتم اليامي وجماعة من أخوته بني حاتم ، وكانوا قد علمو وتيقنوا أنه لن يثبت لهم أمر إلا بالتعاون مع الملك المظفر ، ما إن تقابل الجيشان حتى سعى الأمير أحمد بن علوان بالصلح بين المظفر وابن عمه وكان اللقاء الذي وصفه الحاتمي بقوله: ((ولم يكن أحسن منه لقاء ولا آنق ولا أبهج)) ، وانقلب الجميع جيشاً يقوده أسد الدين الرسولي وبنو حاتم ليحاربوا الإمام الذي اضطر إلى مغادرة صنعاء إلى ((سناع)) وكان ما كان مما سجله المؤرخون والتفاصيل في ص ٢٧٧ — ٢٧٩ من السمط وص ٤٣٥ من غاية الأماني ، ومحاولة القضاء على الإمام قديمة ، وكان أحمد بن

علوان الذي دبر قضية محاولة اغتيال الإمام مع ((الحشاشين)) من أكبر أقطابها ومدبريها .

خروج الرصاص على الإمام واستشهاده

في عام (٦٥٥ هـ) اجتمع الشيخ الفقيه العالم أحمد بن محمد الرصاص الحوثي أستاذ الإمام أحمد ، وأحد أكابر الداعين له والمؤيدين لدعوته مع بعض العلماء والفقهاء ، وطعنوا في سيرته ونقموا عليه بعض تصرفاته ثم خرجوا إلى بلاد عذر وحجور ، وأطلقوا ألسنتهم وأقلامهم معترضين ناقدين ، ودارت بينهم وبين الإمام الرسائل ، ثم رجح أن يبعث إليهم الشريف الحسن بن وهاس الحمزي لمناظرتهم وكان بعض المخلصين من منتشاري الإمام قد نصحوه أن لا يكون ((ابن وهاس الحمزي)) هو ممثله فلم يسمع ، ولما وصل إليهم خادعوه وناظروه حتى صار من جملتهم ، ولما بلغ الأمير أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة خبرهم كتب إليهم ، وقوى عزائمهم ، ثم خرج إليهم من صنعاء والتقوا في ((البون)) واجتمعت كلمتهم على حرب الإمام ، وكتبوا إليه يطلبون منه الاجتماع بالبون للمناظرة ، وكان رد الإمام أن يتركوا الشقاق ويصلوا إليه ، وتفاقم الأمر لما هاجموا حصن ((ذروة)) وهو من معاقل الإمام ، وفيه بعض أهله وانتهبوه وهتكوا حرمة من فيه ، واتصلوا بالملك المظفر وقد كان الأمير أحمد بن عبد الله بن حمزة كتب إليه يخبره بميل العلماء عن الإمام ويطلب منه المدد والعون على حرب الإمام ، قال المؤرخ زبارة: ((فأمده بمائة ألف درهم مظفرية مع الشريف الحسن بن حمزة فوافاهم قبيل قتل الإمام بوقت يسير فطرحت تلك الدراهم بين الخيام ، قال بعضهم: ولقد رأيت الدرهم المظفري فإذ اهو فضة خالصة وزنه قفلة أو زيادة ، مكتوب في الدائرة الوسطى: بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله محمد رسول

الله أرسله بالهدى ودين الحق ، وفي الدائرة الخارجية: ليظهره على الدين كله ، أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي رضي الله عنهم ، وفي الدائرة الوسطى من ظاهره: السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور ، وفي الخارجية: الإمام المعتصم بالله أمير المؤمنين ، ضرب بزبيد سنة ٦٥٠ خمسين وستمائة)) [١] .

وبعد ذلك تجهز الإمام لملاقاتهم بجيش جرار والتقى الجيشان في ((شَوابه)) في أوئل شهر صفر ٦٥٦ هـ . وكان الإمام في ثلاثمائة فارس وألفي راجل ، ولكن يظهر أن الدراهم الفضية المظفرية كانت قد أدت رسالتها فما أن جابهوا جيش الأشراف وعددهم لا يزيد على ثمانين فارساً وأربعمائة راجل حتى انهزم أصحاب الإمام موضع قريب من الموضع الذي هو فيه بحيث يظن أنهم لا يخذلونه كما قال المؤرخون ! قالوا: ((فثبت ثباتاً حسناً وقاتل قتالاً شديداً ، حتى عُقِر فرسه ، وأصيب بسهم في وجهه فوقع على الأرض ورماه محمد بن هاشم عم الشريف الحسن بن وهاس وأجهز عليه جماعة واحتزوا رأسه . . .)) إلى آخر القصة .

وكتب الأمير أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة إلى الملك الرسولي يبشره:

تَجَدُّدُ السعادة أوجب شكر نعمة الله تعالى ثم للمقام العالي خلد الله ملكه ، صدورها من المصاف بشوابه ، ورأس أحمد بن الحسين بين يدي:

وأبيض ذي تاج أصابت رماحنا بمعترك بين الفوارس أقتما
هوى بين أيدي الخيل إذ فتكت صدور العوالي تنضح المسك والدما

قال السيد محمد زبارة: ((وفي هذه البشارة من روح البغض والتحامل ، وقوة الشر الكامنة ما لا يخفى ، ولا قوة إلا بالله)) .

---

(١) أئمة اليمن ١/١٧٣ .

وقد سجل السيد صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير حادثة قتل الإمام فقال في بسّامته:

وزلزلت عضد المهدي أحمدنا ... بأحمد ورمته منه بالكبر
فخضبت شيبةً لابن الحسين دما ... وعفّرتْ وجهه الوضاح بالعقر
وكلفت حسناً تحسين أقبح ما ... جرت به من صروف الدهر
وسامه الشيخ من حوث مجاهرةً ... بعد الولاء على صاع من الفطر
دارت رحى حربهم للدين طاحنة ... فليت أن رحاها تلك لم تدر
ضحوا بأبيض يستسقى الغمام به ... قد بايعوه فكانوا أخسر البشرِ
مالوا إلى أحمدٍ عن أحمد وبغوا ... على الإمام وقالوا جار في السيرِ

وقد وصف الأمير محمد بن حاتم حادثة استشهاد الإمام في كتابه السمط الغالي الثمن وصفاً مفصلا ، انظره في ص ٣٢٣ إلى ص٣٣٢ .

وقد ناح شعراء اليمن على الإمام وبكوه بكثير من القصائد ولو جمعت كل المراثي التي قيلت فيه وفي التنديد بقاتليه والخارجين عليه ، لكونت ديواناً ضخماً ، وقد رثاه شاعره وأكبر شعراء اليمن في عصره القاسم بن هُتيمل بعدة قصائد ، منها النونية التي يقول فيها:

أقسمت أحلف صادقاً وأنا الذي ... ما قط أحلف حانثاً بيميني
إن الشجاعة والسماحة والندى ... حلّت بقبرٍ في رُبا ((ذِيبين))
حيث الإمام ((ابن الحسين)) مخيم ... يا حبذا من طاهر ودفين
حيث ابن فاطمة الإمام مضمَّخٌ ... بدم الشهادة ثاوياً في الطين
ذاك الذي أحيا شريعة جده ... بحسامه وأذل كل قرين

(١) أئمة اليمن ١/ ١٧٤ .

ونفى الضلالة والجهالة وانثنى لجهاد أهل البغي و ((التَّبطين))
فبغت عليه أمةٌ ضليلةٌ ظلماً بغير دلالةٍ ويقين
قتلت إماماً كان سيد مجدها وأعزها من هاشم و ((معين))
ما كان يوم ((شوابةٍ)) في عصرنا إلا كيوم ((الطف)) أو ((صفين
قد كانت الأيام مشرقة به وسنينه أزرَت بكل سنين
فثوى فأظلمت البلاد وعطلت تلك الدسوت وخاف كل أمين
فعليه مني ألف ألف تحية وعلى معاديه لظى ((سجّين))

وهو طويلة مشهورة .

ومن قصيدة قال ابن أبي الرجال إنها طويلة قيلت في الرصاص وأتباعه:

الويل كل الويل للرصاص ولحزبه الداني معاً والقاصي
يا ويلهم يوم القيامة في لظى من شدّ أغلالٍ وسَفع نواصي
يدعون يوم الدين هل من منقذٍ طلبَ المناصِ ولات حين مناص
حرصوا على قتل الإمام وهم على الكفار والفساق غير حراص
رخصت نفوس بني النبي عليهم ونفوسهم في الشرع غير رخاص
فأذاقهم ذو العرش غبّ فعالهم وكذاك سوف يذيق كل مُعاصي
لم تمض خمسة أشهرٍ حتى فنى من لم يبوء بالتوب والأخلاص

مصير الثلاثة الكبار

وقد باء الأقطاب الثلاثة الذين تآمروا على الإمام أحمد بن الحسين ومن شايعهم بالخسران ، ولم يتمتعوا بعد استشهاده بما كانوا يطمعون فيه من جاهٍ وسلطان ، وتخرمتهم المنون ، واجتاحهم الكوارث واحداً واحداً ، وقد تفنّن المؤرخون اليمنيون في وصف مصائرهم ، وما حل بهم بما شاءت لهم مشاعرهم نحو

الإمام الشهيد ، ولا سيما فيمن عوجل بالعقوبة الدنيوية وهم الثلاثة الكبار ((الرصاص)) و ((ابن وهاس)) و ((ابن الإمام عبد الله)) .

١ – من هو الرصاص ؟ وما كان مصيره ؟

أما ((الرصاص)) وقد كان كما ذكرنا أحد أساتذة الإمام ابن الحسين ومن أكبر أعوانه ، وكان يُكبِرُه ويُجله ويعطيه ما لا يعطى غيره ، لما يعرفه من حبه للدنيا ! فإنه توفي بعد مضي سبعة أشهر من قتل الإمام ، وذلك في رمضان عام ٦٥٦ هـ ، وكان من العلماء الذين يُرجع إليهم ، وكتابه ((جوهرة الأصول وتذكرة الفحول)) من أشهر كتب الزيدية في علم الأصول ، وعليه شروح كثيرة ، وقد ترجمه المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال في ((مطلع البدور)) فقال:

((الشيخ العالم المجتهد الأصولي أحمد بن محمد بن الحسن الرصاص ، كان عالماً متبحراً لا يشق غباره)) ، وبعد أن ذكر بعض مؤلفاته وآثاره أورد رسالته التي كتبها إثر دعوة الإمام أحمد بن الحسين إلى علماء العالم الإسلامي التي افتتحها بهذه الأبيات:

هل رَكْبُ مكة حاملون تحيةً ... تهدى إليكم من محبّ مغرم

أغضى الجفون على معين ساجم ... وطوى الضلوع على جوى متضرّم

إن لم يبلّغها الحجيج فلا رَمَوا ... بالجمرتين ولا سُقُوا من زمزم

وذكر فيها من صفات الإمام الحميدة ما يؤهله للخلافة الإسلامية العامة ، نشأةً وعلماً وكرماً وسلوكاً وأخلاقاً ، وهي رسالة طويلة وتؤكد ما قاله ابن أبي الرجال معقباً: ((وكان هذا الشيخ آية من آيات الله ، فصيح اللسان ، لا يتردد أحدٌ في سعة علمه)) .

لولا ما كان منه نحو إمامه الذي شهد باستحقاقه الإمامه . ثم قال: ((وقد ذكر بعض العلماء أنه ندم ، وقد نقل توبته الحفيد العلامة حميد بن أحمد حميد)) [١/ ٢٤٨ – ٢٥٦] وقد علل بغض المؤرخين أسباب خروجه على الإمام ونقمته عليه ، وأن منها أنه طلب توليته على بلاد ((الظاهر)) فلم يسعده الإمام بذلك .

وقال السيد يحيى بن الحسين: ((وفي شهر رمضان من السنة المذكور[ة] مات الشيخ أحمد بن محمد الرصاص الخارج على الإمام أحمد بن الحسين ، فكان بين موته وقتل الإمام سبعة أشهر ، واندلع لسانه على صدره حال النزاع نعوذ بالله من سوء الخاتمة ، وأيّ كبيرة أعظم من الخروج على إمام حق ؟ بل وأي معصية أعظم من قتله ؟ نسال الله العصمة والتوفيق بمنّه وكرمه)) [١] .

وقد وصف يحيى بن الحسين أيضا معركة ((شوابة)) في كتابه ((المستطاب)) عندما ترجم للشيخ أحمد الرصاص باستيعاب وإطناب ، وختم الترجمة بقوله: ((وروي أن لسانه بلغت عند موته إلى صدره ، ولم يستطع الكلام ولا الوصية ، ولم يروِ أحد عنه توبة والله أعلم)) [٢] .

٢– الإمام ((ابن وهاس)) الحمزي

سبق أن قلنا إن الإمام أحمد بن الحسين كان قد أرسل الأمير الحسن بن وهاس الحمزي ليمثّله في مناظرة الناقمين عليه من العلماء الذين خرجوا مع الرصاص ، بالرغم من أن بعض مستشاريه قد نصحه بإرسال شخص آخر ، وقد تحقق سوء ظن ذلك المستشار ، وخابت ثقة الإمام ، فما هو إلا أن التقى بالشيخ

---

(١) غاية الأماني ١/٤٤٦ .

(٢) المستطاب ليحيى بن الحسين / ٧٩ – ٨٢ .

الرصاص وأصحابه حتى انضم إليهم ، وقد مَنَّاهُ الرصاص بالإمامة ورشحه لها ، وقد كان فعلاً من العلماء ومن ذرية الإمام حمزة بن أبي هاشم الذي هو الجد الجامع لكل الأشراف ((الحمزات)) .

وفي اليوم الثالث من قتل الإمام أعلن الحسن بن وهاس دعوته ، وبايعه الشيخ الرصاص ومن إليه والأشراف الحمزات ، وسار إلى صعدة وخوّل الأمير أحمد بن عبد الله وإخوانه وأولاد عمه التصرف في شئون نصف ((بلاد الشام)) ، ولما علم الملك المظفر بدعوة ((ابن وهاس)) بعد أن كان قد تلقى بشارة الأمير أحمد بن عبد الله بن حمزة بقتل الإمام انزعج وساء ظنه ، فبعث ((رسول المهمات)) الأمير أحمد بن علوان بن بشر الحاتمي إلى الأمير أحمد بن عبد الله إلى صعدة ، وكأنه قد فهمه أن أمر ((ابن وهاس)) لن يتم ، وعاد السلطان الحاتمي إلى المظفر بالأخبار التي ترضيه وتطمئنه ، ويقول المؤرخ زبارة: ((ولم تمض مدة يسيرةحتى اختلف الحمزات مع الحسن بن وهاس وكره الناس حكمه ثم ألقى القبض عليه الأمير داود بن عبد الله بن حمزة وظل في سجنه بحصن ((ظفار)) عشر سنوات ، وخلع نفسه في سنة ٦٦٨ هـ ومات بصعدة سنة ٦٨٣ هـ .

٣ – الأمير الفارس الشاعر

أما ثالث الأقطاب فهو الأمير العالم الأديب الفارس الشاعر أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة الذي تردد اسمه كثيراً فيما سبق من الفصول ، وقد كان أحد قواد معركة ((شوابة)) وبعد استشهاد ((ابن الحسين)) أرسل ((البشارة)) إلى المظفر كما سبق ، ثم توجه نحو صعدة فلبث بها شهرين وعشرة أيام وفاجأه الأجل المحتوم في أوائل شهر ربيع الآخر من نفس العام ٦٥٦ هـ .

والأمير أحمد بن عبد الله من الشخصيات البارزة أثناء تلك الفترة ، ومن المؤثرين في أحداثها السياسية والأدبية والإجتماعية ، وكان ذا فطنة وذكاء وشجاعة وكرم ، ولا يسع من يتتبع مجريات حياته ، وخطوات سيرته ، إلا أن يعجب به ، ويوليه تقديره ، ويتمنّى لو أنه لم يتورط في حادثة قتل ذلك الإمام العظيم الصالح أحمد بن الحسين ، ولا سيما وقد كان أول الملبّين لدعوته عام ٦٤٦هـ بل ومن المشجعين له على القيام ، ومدحه بقصائد كثيرة منها تلك التي يقول فيها:

أضاء على الإسلام نورك بوجهك ليل الهم وابتسم الدهرُ
وقد علم الأعلام من آل أحمدٍ بأنك أنت الفلك لما طغى البحر
وأنك لاوانٍ ولا أنت طائش ولا مضمر سر الحقود ولا وعرُ

ولا شك أن الإمام ابن الحسين بتشدده ، وتصلبه ، في الحق ، قد أجبره على اتخاذ موقف العداء الذي انتهى به إلى مأساة القتل الحزينة ، والتي لا أشك في أنه قد حزن لها حزناً بالغاً في أعماقه وربما كانت من أسباب موته ندماً وكمداً !

نشأ وشبّ وترعرع في كنف والده ، ومن يطّلع على كتابه الذي شرح به قصيدة والده في الخيل وأوصافها يعرف مقدار تبحّره في العربية وعلومها ، ومعرفته بأيام العرب وأخبارهم ، وسعة اطلاعه وتمكنه من علوم الفقه والحديث والتفسير .

وقد ترجمه ابن أبي الرجال في ((مطلع البدور)) فقال: ((الأمير الكبير الشريف الخطير المتوكل على الله أحمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان)) ((كان من أكبر الأمراء والسراة الجلّة العلماء ، محقق في اللغة والنحو والأنساب وأيام العرب وله في سائر العلوم قدم ثابتة ، مع ولوع بالمكارم والشرف والفصاحة وكان أبوه يصحبه في صباه ، وألهمه طريق أهله الهداة ، فتلقي البعض ، وأعرض عن البعض)) !

ثم أورد قصيدة وجهها أبوه الإمام إليه ناصحاً وهي التي يشير ابن أبي الرجال إلى أنه ((تلقى البعض)) من نصائحها ، ((وأعرض عن البعض)) وهو يعني بذلك مخالفته للملك المظفر ، ومناوأته للإمام أحمد بن الحسين ، وهذا هو نص قصيدة والده الإمام :

ألا ليت شعري يا أحمد ... وفي القول منتقدٌ يُنقَدُ
أتصبح كالبيتِ للزائرين ... وكالبدر حفّت به الأَسْعُدُ
وكالليث يزأرُ للدارعين ... ونار الحروب بهم توقدُ
وكالبحر تطفو قراقيرُه ... ويدفعها اللجب المزبدُ
وتحمي حماك وتبنى علاك ... ويزهو بك الدستُ والمسجدُ
وتعتقب الخيل عند ... وقد صرع الأَصيدَ الأصيدُ
وتردي الكمي بعوّارةٍ ... وتُقحم فيها السنانَ اليدُ
وتضرب بالسيف ثبت ... وكف الشجاع به ترعدُ
وتلوي جيادك خلف الجياد ... وقد ضاق بالشارد المشردُ
فتمنعها وهي مطرودة ... فترجع من حينها تطردُ
وتحلم حين يطيش الحليم ... وتصدر قومك إن أوردوا
ويأتيك للعلم مسترشدٌ ... ويأتيك للمال مسترفد
فتُنبي أخ العلم بالغا مضات ... حتى يعود بها يُرشدُ
وتعطي أخ المال ما يبتغي ... من المال فهو غداً ينفذُ
وتحمي على الظالمين الجهاد ... بضرب يشيب له الأمرد
وتخفض للصالحين الجناح ... وإن لامك الناس أو فنّدوا
وتغلظ قولاً على الفاسقين ... وإن شايعوك وإن أسعدوا !
وتنهضُ مضطلعاً بالقيام ... عليهم وسيفك لا يُغمد

ودين جدودك دين الآله وغيرهم جاحدٌ ملحدُ
وجدك ((يحيى)) سليل وهادي الأنام فلم يهتدوا !
وجدك حمزة من جانب فهذا الهلال وذا الفرقد
فما عذر مثلك إن لم تكن كأبائكَ الشمّ يا أحمدُ !

فهذه القصيدة التي يتساءل فيها الوالد الإمام ، وقد لمح في ابنه أحمد دلائل النجابة فتصوّرَه وقد أصبح مثابة للقصاد ، وبدرا يحف به أهل الفضل ، وليثاً يخوض المعامع غير هياب ، وكالبحر كرماً يحمي الحمى ، وتزهو به محافل الإمارة ، ومحاريب الصلاة ، ويضرب بالسيف ، ويُروي الكمي ، ويعتقب الخيل ، ويلوي الجياد ، وتصوَّره عالماً فذاً ومعطاءاً كريما ، ويخفض للصالحين الجناح ، وأظن أن كل ذلك قد كان وأن الإبن قد أجاب على تساؤلات أبيه بالايجاب ، وهو ما يعنيه المؤرخ ابن أبي الرجال بقوله:((فتلقى البعض)) ، لكن مناوأته أولا للإمام يحيى بن المحسِّن وثانياً للإمام أحمد بن الحسين ، ومحالفته للملك المظفر ، وتآمره مع أسد الدين وسلاطين آل حاتم ضدهما لا يجيب على تساؤلات الوالد بأنه سيُحمي على الظالمين الجهاد ، ويغلظ القول على الفاسقين . . وإن شايعوه وأسعدوه ، بما يُرضيه وتقرُّ به عينُه ! وهو ما قصده ((ابن أبي الرجال)) بقوله: ((وأعرض عن البعض)) ، ويقول أيضاً في ترجمته له مُعقباً: ((ولقد كان من الشرف بمكان عظيم ، ولم يضع من قدره إلا ما كان من أمر الشهيد السعيد أحمد بن الحسين عليه السلام وقد نقل عنه ((التبري)) ما يدل على الندم)) .

ثم أورد نص البشارة التي بعث بها الأمير أحمد من ميدان معركة ((شوابة)) إلى الملك المظفر ؛ ووافق النص الذي ذكره المؤرخ الأمير محمد بن حاتم في ((السمط)) وهو كما يلي: ((يُجدِّد الخدمة ، ويشكر النعمة لله تعالى ثم للمقام

العالي السلطاني خلّد الله ملكه ، ويُنهى صدورها من المصف بشوابة ورأس الإمام أحمد بن الحسين بين يدي وخاتمه في أصبعي :

وأبلج ذي تاجٍ أشاطَتْ رماحنا ... بمعترك بين الفوارس أقتما

هوى بين أيدي الخيل إذ فتكت ... صدور العوالي ينضح المسك والدما

وكان من سعادة مولانا السلطان ويُمن طيره ، أن قُتل عدُّوه على يد غيره » .ثم عقّب على ذلك ابن أبي الرجال بقوله: « والله المستعان من هذه الشنعا ، والزلة التي أساءت منظرا وسمعا » .

ولا ندري ما هو مستند ناقل ندمه على فعله ، وهل قال في ذلك شعرا ؟ وهل نشتم من قوله للمظفر: « وكان من سعادة مولانا السلطان ويُمن طيره ، أن قتل عدّوه على يد غيره » شعوره بأن قتل الإمام كان جريمة لا يرتضيها لصديقه وحليفه السلطان ؟

أبيات الشامت « ابن يحيى » العنسي

وقد ذكر كل من « الحاتمي » وابن أبي الرجال أن الأمير علي بن يحيى العنسي الذي بعث إليه الأمير أحمد بن عبد الله خبر استشهاد الإمام قد بعث أيضاً إلى الملك المظفر بالبشارة التالية شعراً:

قتل ابن الحسين لا قدّس اللّه ... تعالى ربّ السماء ترابَهْ

قَتَلْتهُ ياأيها الملك النّد ... ب « بنو حمزة » بوادي شوابَهْ

يالها يالها الا بيّض اللّه ... تعالى وجوهها من عصابه

وقد حاول بعض القراء تغيير هذه الأبيات البشعة ، فجعل البيت الأول هكذا: قُتل ابن الحسين قدْ قدس الله إلخ والبيت الأخير هكذا: فتباً لها ولا بيض الله إلخ . وذلك تحريف واضح .

وعلي بن يحيى العنسي كان من ولاة « المظفر » وله أخبار وأشعار ، وقد كانت نهايته السجن بيد المظفر مع ابن عمه أسد الدين الرسولي .

هل من عذر لابن حمزة ؟!

ولعل من الإنصاف لشاعرنا الفارس أحمد بن عبد الله بن حمزة أن نذكر بعض ما دفعه إلى مناوأة الإمام ، وقد ذكرنا من قبل نصائح « ابن هتيمل » له بالعطف والرفق ، وأن يعتمد على الأمراء من بني « حمزة » ، وقلنا: إن ابن هُتيمل ربما كان يرى في ذلك المصلحة للإمام والدولة ، ويخشى من انضمام أمراء بني حمزة إلى « بني حاتم » ، و « آل رسول » فيتألّب الجميع عليه ، ويظهر أنه لم يصغ إلى تلك النصائح ، وللأمير أحمد بن حمزة أبيات كتبها إلى الإمام يستعطفه بها وهي تشير إلى أن الإمام لم يعامله المعاملة التي تليق به كرئيس للأشراف ، وابن إمام سابق وأمير فارس طموح ، يقول فيها:

أعيذك أن تنافسني مطالاً ... وقد صدَقَت سواي بك الظنون
وكان الحق لو أنصفت أني ... وقد أُخّرتُ أولهم أكونُ
يعزّ عليّ أن ترضى بسخطي ... على زمني وإرضائي يهون
ذوى غصني لحبسي عن سمائي ... ولم تَنضُر على العطش الغصون
سأستر تحت أثوابي هزالاً ... إذا أبديته شَمت السَّمين
ومهما تستعِن غيري فإني ... عليك بحسن رأيك أستعين

وهذا استعطاف مرير ، هو إلى العتاب والاحتجاج أقرب منه إلى الاستعطاف ، إنه مخاطبة قرين لقرين ، وند لندّ ، في الشرف والمكانة والطموح . . ولعله كان مخلصاً في ولائه الأصيل للإمام ، ولعله كان أكثر دراية من الإمام بأحوال الناس ، والمشايخ خبايا آل حاتم والرصاص وأضرابهم ، وأكثر معرفةً بمتطلبات الحياة الهائجة

، وقد خالط وعاشر الغزّ والمماليك وزعماء الأيوبيين وآل رسول ، ويريد من الإمام أن يتطور مع ما تتطلبه الظروف ، وهو في نفس الوقت يرى أنه أحق من غيره بأن يكون الأول بين أعوان الإمام المقربين إليه ، وليس من السهل على مثله أن يُعرّض وهو الأمير الفارس بأن غصنه قد ذوى ، وأنه يستر حاجته خشية شماتة الأعداء ، ومع ذلك فإنه سيستعين بحسن رأيه ، وهو تعريض موجع أليم ! ولا نعتقد أنه كان يستجدي المال ، ولا أن أحمد بن الحسين قد بخل به عليه ، فقد حكى المؤرخون أنه كان كريماً جواداً ، حتى قيل: « إنه كان يحثو المال حثوا ، وأنه حُصِر ما وهب من الخيل فبلغت ألفا وستمائة وسبعين فرساً ، وأنه أعطى ابن هتيمل عشرات الألوف من الدراهم والدنانير » ، ولكنا نظن أن الإمام قد قصر فلم يُقدِّره حق قدره ، وقدّم عليه من يَظن الأمير أنه كان أولى بالتقديم منه ، ولنستمع إليه يشكو إلى صديقه الشاعر مسعود بن عمرو العنسي وهو ابن قاضي أبيه الإمام المنصور:

يا خليلاً مولَعاً بالوفاء ... وصفيّي إذ خانني أصفيائي
ليتَ إن النسيم إن هبّ وهناً ... من « ظفار » ينبيك عن أنبائي
لا الديار الديار بعد التّنائي ... يا بن عمرو ولا الورى بالوراء
جهل الناس حقّنا وتناسوا ... كل عهدٍ وجاهروا بالجفاء
ما ذنوب الذي هم في المحاريب ... وما ذنوب النساء
ويتيم ومقعد وضرير ... من غصون النبوة الكرماء
ظلموا الفاطمين ظلماً وألغوا ... فيهما اليوم حق أهل الكساء
تلك في صعدة بتولٌ وهذي ... في « ظفار » شبيهة « الزهراء »
قل « لعوّان » ما جرائم قوم ... لم يكونوا للدين بالأعداء
أنْبِهِ بالذي ذكرتُ وكررْ ... فعساه يشجيه بعض شكائي

وعليه مني سلام محبّ ذاكر في الصباح والإمساء
وإمام الزمان كرَّمَهُ الله بريٌّ - فاعلم - من السفهاء
خالفوا أمره وجاءوا بما قال وما لم يقل من الأسواء
غير أن الإنكار قد كان فرضاً من إله السماء على الزعماء
فكأني - يابن الأكارم - ما ألبَستُ قومي ملابس النعماء
كيف كانت رعايتي لبني الزهراء وحفظي لحرمة العلماء
وظلالي الظليل في كل حي من نزار ويعرب العرباء
ظن قومي أني عجزت وما حاولت إلا السكون للدهماء

إنها نفثة مصدور يتميز غيظا ، ولعل بعض حاشية الإمام قد تعمّد التقليل من شأنه ولا ندري من هو هذا « عوان » أو « غوان » ؟ ولا شك أنه كان موظفا على خزائن الدولة ، وأنه كان مقرباً إلى الإمام ، وأنه قد أساء إلى الأمير أحمد ، ولا شك أن الأمير كان في ضائقة مالية ، وأنه مضطراً قد أفضى إلى صديقه الشاعر وابن « قاضي أبيه » بما لا يستطيع أن يفضي به إلا إلى صديق عزيز كريم ، ومع ذلك فهو يطلب منه أن يُخبرَ « عوان » بما ذكر عساه أن يرعوي ، وأن يهدي إليه سلام المحب الذاكر ، وما أسرع ما يتحول المحب الذاكر إذا لم ترع حقوقه إلى منتقم ثائر ، وهو يذكر في شكواه إحدى محارمه « البتول » في « صعدة » ، والأخرى « الزهراء » في « ظفار » ، والعجائز اللواتي في المحاريب:

ويتيم ومقعد وضرير من غصون النبوة الكرماء

ثم يذكّر صديقه بمواقفه ، وهو في سدّة السلطة والحكم ، وكيف كانت رعايته للأشراف وحفظه لحرمة العلماء ، وظلاله الوارفة يفيء إليها الجميع ، ثم يصرخ صرخة المتوعّد:

ظن قومي أني عجزت وما حاولتُ إلا السكون للدهماء

ولعل هذه الشكوى لم تؤثر في « عوان » ، وربما إنها لم تصل إلى مسامع الإمام « البريء » كما يقول الأمير من أعمال السفهاء ، وإذاً فإلى إثارة الدهماء ، وبعد أن بلغ السيل الزّبا فلا بد من الخروج وإلى أين ؟ إلى الملك « المظفر » الرسولي الذي يتربص بحكمة ودهاء بالجميع ، « المظفر » الرسولي خليفة « الأيوبيين » الذي أفنى والده الإمام عبد الله بن حمزة جل عمره في محاربتهم وقتالهم ، معرضاً عن وصية أبيه التي تقول:

وتخفض للصالحين الجناح وإن لامك القوم أو فندوا
وتغلظ قولاً على الفاسقين وإن شايعوك وإن أسعدوا
وتنهض مضطلعاً بالقيام عليهم وسيفك لا يغمد
فما عذر مثلك إن لم تكن كآبائك الشمّ . . يا أحمدُ

تلك هي كل المبررات الدنيوية التي يستطيع من يريد أن يفتش عن عذر لذلك الفارس الشاعر .

الخروج وقصيدة الرفد « الحاتمية » !

وغضب الليث الجريح ، وما أبشع غضبة الليث الجريح ولا سيما إذا جاع ! ولا بد أنه قد تذكّر وصايا أبيه وكان لها مع ضميره حديث طويل حزين ، ولا بد أن وساوس الضرورات قد توافدت على صماخه كالفراش و « الوطاويط » تقلقه في ليله ونهاره ، ويقظته ومنامه ، مهمهمة ؛ تقول: « الضرورات تبيح المحظورات » ، و « النار ولا العار » ، وأن سوء حال « البتول » في « صعدة » و « الزهراء » في « ظفار » ، ومن يعولهم من يتيم ، ومقعد ، وضرير ، يقلقه ويسهّده ؛ لقد بلغ السّيل الزبا ، وجاوز الحزام الطبيين . .و:

إذا لم يكنْ إلاّ الأسنة مركبٌ فلا رأي للمضطر إلاّ ركوبها

واندفع تحت إلحاح تلك الضرورات ، وأصواتها المزعجة ، وأعلن خروجه على الإمام وانضم إلى أسد الدين ابن عم المظفّر ووالیه في صنعاء ، وأصدقائه الشعراء السّلاطين من آل حاتم ؛ علوان بن بشر ، وابنه أحمد « رسول المهمّات » ، وعلي ، ومحمد ، والآخرين ، وسُرّ المظفر وآل رسول وبنو حاتم بانضمام الأمير الفارس ، وأمدهم الملك المظفر بالعدّة والعتاد والمال ، وزحفوا لمحاربة الإمام الذي كان لا يزال مسيطراً على الجوفين وبلاد صعدة ، وقد اجتاحوا « براقش » و « الزاّهر » ، ثم ساروا إلى « صعدة » وأخرجوا الإمام منها ونهبوا نهباً شديداً ، وأسروا نائب الإمام فيها الحسن بن وهّاس الحمزي ، الذي سيخرج على الإمام فيما بعد ويحضر معركة « شوابة » ، ويدعي الإمامة ، ويُحبس كما أسلفنا ، وكان خروج الأمير أحمد وتتابع كل تلك الأحداث سنة ٦٥١هـ .

وكان لا بدّ للأمير الشاعر أن يشكر الملك المظفر الذي أمدّه وساعده ، وان يمدحه بقصيدة عصماء ، ولكن لسانه لا تزال معقودة تتلعثم بنصائح والده الإمام عبد الله ، وأصداؤها ما تزال تتردّد على صماخه ، وأصواتها الخافتة تُقلقه حين تختلط بفحيح وساوس « الضرورة » ومبّرراتها عندما أهين واحتاج ! وكأن أصدقاءه سلاطين آل حاتم قد نصحوه بأن يشكر الملك ، فإنه ينتظر ذلك منه ، وكأنّه قد أفضى إليهم بأنّه قد أُحصِر ، ولم يستطع الشعر ، ولا وجد إليه سبيلا ، فيتبرّع السّلطان علوان بن بشر بنظم قصيدة

على لسانه ويرفده بها ويتقمّص شخصيّة الأمير الزيدي ابن الإمام عبد الله بن حمزة ممتدحاً السلطان الملك المظفر الرسولي وشاكراً له على إنجاده قائلاً:

سلامٌ مشوقٍ ودّه ما تصرّما ... يزورك من نجد وإن كنت مُتهما
سلامٌ كنشر الروض باكره الحيا ... فاضحى أنيقاً مشرقاً متبسّما
يخصّك من قرب وإن كنت نائياً ... ويهدي تحياتي فرادى وتوأما
فيا أيها الملكُ المظفر و الذي ... حَمى قصبات المُلْك أن تتهضّما
ويا دافعَ الجلاءِ والخَطْب منهم ... وقد جنّ ليلُ الحادثاتِ وأظلما
ويا مُخْجِلَ الأنْواءِ والبَرْقُ خُلّبٌ ... إذا جاد برقٌ من نوالٍ وأسحما
ملكت فلم تفخَرْ ونِلْتَ فلم تطُلْ ... وجدتَّ فلم تترك على الأرضِ مُعْدما
وَصُلْتَ فلم تترك عليها مُعانداً ... ولو أنه يرقَى إلى الجوّ سُلّما
إليك أبا المنصورِ أهديتُ أحرُفاً ... أبثّك أخباراً وإن كنتَ أعلما
وأثني بما أولَيْتَني من صنائعٍ ... وأستنجدُ الأخبارَ كي أشْفي الظّما
وأستنهِضُ العزمَ السّعيدَ وطالما ... حَلَلْتُ به عقداً من الهمّ مُبْهَما
لأنْقُمَ ثأراً أو لأكْبُتُ حاسداً ... وأقضي لُبانات النّفوس وأنعما
فشمّرْ لشَيْد المجدِ إذ أنتَ أهْلُه ... وَتَمّمْ على اسمَ الله تُدْعَ مَتمّما
فلم يبقَ في الأقوام إلاّ حُثالةٌ ... تُهبُّ بها ريحُ الصّبا إن تنسّما
نهضنا بجيش منك يَطْمِي عُبابُه ... يضيق به رَحْبُ الفضا حيث يمّما
يجوبُ بقاع الأرض شرقاً ومغرباً ... ويَطْوي رباها مَخْرَمَاً ثم مَخرَما
ويغْشى لَظَى الحرب العَوانِ كأنه ... طنين ذباب عنده إن تَرَمّا
نَزلنا بوادي الجوف نَرْعَى خميلَه ... ونذكُرُ عهداً فيه كان مقدّما
فلما قضَيْنا عنده كلّ حاجة ... وجُبْنا المراسي وهو كان مُحرّما
صَعِدنا .. بها أعمالَ صعدةَ سُبّحاً ... تبارى كأمثالِ السّراحين سُهّما

ولاحت على الأقطارِ أعلامُ يوسفٍ   كأنّ شُعاعَ الشمسِ منها تبسّما
وصاحت طيورُ السّعد من كلّ وجهةٍ   تُبادِر بالتّرحابِ إذ كُنَّ وجُمّا
فلا مللك إلاّ وأرخى قياده   ولا قائمٌ إلاّ تولّى وأحجما
ولا حيَّ إلاّ استيقضوا بعد هجعةٍ   وكانوا سكارَى قبل ذاك ونُوَّما
ولله درُّ الأريحَيِّ محمّدٍ   شقيقِك محمودِ الثّنا مانعِ الحِما
فتاللهِ ما جشّمته من مُلِمّةٍ   على مثلِ حدِّ السّيفِ إلاّ تجشّما
ولا قلت مَهْلاً ياخليلي وقد بدا   له الشّرُّ إلاّ كفَّ ثمّ تبسّما
فيا ابن الملوك الغُرِّ من آل جَفْنَةٍ   غدا مجدُهم فوق السّماءِ مخيّما
لأنت صفيُّ الودِّ إذ أنت أهلُهُ   ولا أرتضي إلاّكَ ركناً ومُنْعما
فلا يقطعَنْ بيني وبينك قاطعٌ   إلى أن نزورَ جنّةَ الخلدِ فاعْلَما
حلفتُ بربِّ النّاسِ حِلْفَةَ صادقٍ   مؤكّدةً لم أخشَ في ذاك مأثَما
وبالمصطفى جدّي وبالمرتضَى أبي   ومن طاف بالبيتِ العتيق وأحرَما
لو أني رأيتُ الدّينَ لله خالصاً   وأعطيتُ مُلْكاً يملأ الأرضَ والسّما
لما سمحَتْ نفسي بدين محمّد   ولّما أذُقْ من باردِ الماءِ مَطعَما
فلمّا رأيتُ الحقَّ مُلْقى زمامُه   وليس سوى الدّنيا مراداً ومَشتَما
تنكّبتُ عن تلك السّبيلِ ولم أعُجْ   عليها ولا في رفضِها متندِّما
وعُدْتُ لشيدِ المجد أرْعَى سَوامَه   ولم أذْكرْ نجداً ولا أبرقَ الحِما
ويمّمتُ محمودَ الطّرائقِ يوسفاً   فللّه مَلْكاً ما أعزَّ وأكرما
لقد فخرت غسّانُ منه بماجدٍ   حَماها وأعلاها سِماكاً ومِرزما
مجيباً إلى داعي التكرم والندى   وإن هو لم يُدعَ ابتدا وتكرّما
فدام قرير العين في خفض عيشةٍ   ولا زال مأوى للوفود ومُنتَمى

المعارك مع الإمام وقصيدة « لعلّ الليالي »:

وما هي إلاّ أسابيع حتى أطمأن الأمير إلى ما هو فيه ، وخفتت أصوات نصائح أبيه ، وتلاشت أطيافها ، واستمرأ الحياة التي يعيشها مع الأمراء والسلاطين ، وخاض معهم حروباً حامية الوطيس ضدّ الإمام أحمد بن الحسين ، ولنستمع إلى وصف دقيق للأحداث التي أعقبت احتلال « صعدة » ، ولزيارة الأمير أحمد للملك المظفر إلى « زبيد » ، ومدحه بقصيدة « الرفد الحاتمية » ، وكانت كالكأس الأولى فعربد شيطان شعره ، وأنساه تمتمات نصائح أبيه ، وأدار كأس الشعر حمزياً محضاً ؛ يقول محمد بن حاتم في السمط الغالي الثمن في وصف ما جرى للأمير أحمد بن عبد الله والأمير أسد الدين الرسولي:

« ثم دخل الأميران أسد الدين وشمس الدين إلى صنعاء من صعدة بمن معهما من الأسراء يوم الجمعة ثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمائة . وفي شهر شعبان من هذه السنة طلعت الخزائن ومعها الأوامر بخروج الأمير أسد الدين صحبة الأمير شمس الدين إلى الظاهر ، فخرجا بالعساكر (المنصورة) ، وقصدوا بلاد حاشد – وهي مخلاف ابن وهّاس ، فخربا فيها ، واسترهنوا ، ثمّ نهضوا إلى مصنعة بني القَديم فأخذوها ، ونهضوا إلى البون ، ثم إلى الظاهر ، وأخذوا موضعاً يسمى الأبرق قهراً بالسيف . ثم قصدوا الإمام أحمد بن الحسين إلى موضع من بلاد حمير يسمّى الهجر ، وقد كان جمع جموعاً كثيرة إلى نقيل الخصبات وأمرهم بحفظه .

ففرّق الأميران عساكرهما في جوانب النّقيل ، فطلعوا على عساكر الإمام ، فولّوهم الأدبار ، ومنح الله النصر والظّفر العساكر المظفّريّة . فهزموا عسكر الإمام ، وقتلوا فيهم القتل الذّريع ، وهرب الإمام بعد أن أشفى على الهلاك . وفي ذلك اليوم قتل الفقيه حميد بن أحمد (المحلّي) وطائفة من شيعة الإمام وفقهائه ، وتحصّن الإمام في حصن خلب بالمصانع . . . ثم رجع الأميران إلى الظاهر من معين على التقدم جهة « حوث » فاختلف عليهم عسكرهم ، ومالت الأسديّة إلى العودة إلى صنعاء ، فلم يُمكن إلاّ تخوّفهم والقفول إلى صنعاء . فدخل الأمير أسد الدين صنعاء ، وأقام الأمير شمس الدين في الرحبة إلى أن تجهّز للنزول إلى أبواب السلطان . وكان تجهّزه للنزول في شهر شوّال من السنة المذكورة ، فنزل هو وأخوه الأمير داوود وكافة أصحابه ، وكان الركاب السلطاني المظفّريّ في زبيد المحروسة .

فلمّا وصلوا (الأشراف) خرج مولانا السلطان في لقائهم ، وحشد العساكر من كلّ أوب حتى سدّت الفضاء ، وكان له من المقابلة والاتحاف ، ما استغرق الأوصاف ،وحُملت الاقامات عليهم في مدّة مسيرهم حتى وصلوا الباب الشّريف ، فضُربت لهم الخيام والمطابخ على باب الشُّبارق مدّة إقامتهم ، وحُملت الفواكه لهم من كل جهة ، واجتمعوا بمولانا السلطان ثلاثة أيام ، وكانت إقامتهم شهراً ، وأطلّ عيد الأضحى ، وهم بالباب الشّريف .

وامتدح الأمير شمس الدين مولانا السلطان بقصيدة ، وهي:

لعَل اللّيالي الماضياتِ تعودُ ... وتبدو نجومُ الدّهر وهي سعودُ
عفا منزلٌ ما بين نُعْمانَ واللّوَى ... وجُرّت به للرّامساتِ برودُ

وكانت به العينُ الغواني أوانساً ... فأضحت به العين الوحوش ترود
مجر أنابيب الرماح ومبتنى ... قباب ظباء ريقهن برود
فيا دارنا بين العيينة والحمى ... هل الروض روضٌ والزرود زرود ؟
هواي بنجدٍ والمُنى بتهامةٍ ... متى يلتقي بالمُتهمين نَجودُ ؟
وإنّ فتىً دامت مواثيقُ عهده ... على مثل ما لاقَيْته لجليدُ
ولمّا شرى البرقُ اليمانيُّ هاج لي ... جوىً واشتياقاً ليس فيه مَزيدُ
فهل لجنوبِ الرّيحِ أن تلثِمَ الثّرى ... بنشر تحيّاتٍ لهنّ صُعودُ
على أربعٍ بين الصّعيدِ وصعدةٍ ... وبين براشٍ لي بهنّ عُهودُ ؟
مشاعرُ حجّ الطالبين فلا الأذَى ... قريبٌ ولا نُجْحُ الرّضاءِ بعيدُ
كرمْن فلا يخشى الغوائل عندها ... منيبٌ ولا يخشى الهوانَ طريدُ
ملاعبُ أمهارِ الجيادِ و ملتقَى ... مجامعِ لا تَشْقَى بهنّ وفودُ
وأبراجُ أشباهِ المها في كناسِها ... عليهنّ من نسجِ العفافِ برودُ
نعمنا بها أيّام لا البغيُ نافثٌ ... بنارٍ ولا بين الرّجال حقودُ
ظِلالِيَ فيها للورى غيرُ قالصٍ ... وبرّيَ حوضٌ لستُ عنه أذُودُ
وقوميَ يومَ الرّوعِ حَيْنٌ وفي النّدى ... بُحورٌ وحلماً كالجبالِ رُكودُ
ونحن نطولُ النّاسَ عِزّاً وتَنْتَهي ... إلى الأُفقِ أيدينا ونحن قُعودُ
إلى أن دعا داعٍ إلى البغي للورى ... وأعلن منهم كاشحٌ وحَسودُ
ودلّ عليّ الحلم قومي وأنسيتْ ... ممالكُ لم تُنْظمْ لهنّ عُقودُ
وأنكر إحساني الذين جلودهم ... عليهم إذا استشهدتُّهنّ شُهودُ
وكم مات من قومٍ فحُيُّوا بحكمنا ... وكم أخلفتْ سُحْبٌ ونحن نَجودُ
بسطْنا على العُرْبِ المكارمَ بسطةً ... لنا أبطرَتْهم والضّلول جَحودُ
ولمّا صبرنا ظنّت النّاسُ أننا ... على كلّ خسفٍ سادرون هُجودُ
فما سنّ فينا النّاسُ إلاّ ظُلامةً ... كما سنّ في قتل الحسينِ يَزيدُ

لقد جحدتْنا النَّاسُ كلٌّ فضيلة كأنا نصارَى ملّة ويهودُ
ولَمّا قصدتُ الْملكَ ذا التّاج يوسفاً علمتُ بأنّ الهمَّ ليس يعودُ
دعوتُ فلبّاني فتىً لا مزيَّدٌ مَلولٌ ولا واهي اليدَيْنِ بليدُ
ومالِيَ لا أرخيَ الرّكاب إلى ذرى به الشُّهْبُ شُهْبٌ والصَّعيدُ صعيدُ
وألقيتُ كفّي في أناملَ لم تخُنْ عُهوداً ولم تُخْلَفْ لهنّ وُعودُ
وما ابنُ أبي حفصٍ بدون الذي دعا له الحميريُّ المْلك وَهو فريدُ
أعاد إليه مُلْكَ غُمْدانَ وابتَنَى مفاخرَ في الدُّنيا لهنَّ خلودُ
مكارمَ سَنْتها الملوكُ ويوسفٌ لآثارِ ما سنّ الملوكُ يُشيدُ
صبرتُ على حمل العظائم فانتهَتْ إليك العُلا إنّ الصّبورَ سعيدُ
فَسوحُك مقصودٌ وكفّك قاهرٌ وجندُك منصورٌ وأنت حميدُ
وفي كلّ يومٍ أنت تبدو على العدى بخطب وتُبدي في النَّدى وتُعيدُ
سبيل فتىً لا الموتُ يَطْرُقُ همُّه ولا الموتُ ممّا يتقى فَيحيدُ
وَيَعْلَمُ أنَّ الدَّهْرَ ليس بدائمٍ وأنّ خلودَ المكرُماتِ مُفيدُ
أنخنا بك الآمالَ وَهْيَ ركائبٌ لارسائها لطفُ الإلهِ يقودُ
وقد كُنْتُ عرّيتُ الرّواحلَ برهةً وأطرقتُ حتّى لا يقالَ مَريدُ
وداويتُ لابْنِ العمِّ داءً وجدتُّه على الصّبرِ ينمو خطبه ويزيدُ
فأدنيتُ من أمواجِ بَحْرِك غمرة أصولُ بها في مَن بغى فَيبيدُ
وحفَّ بسرجي التّركُ والعربُ بعِزّك ركني اليوم وهو شديدُ
كذاك السعيدُ الخيرُ بالخير واثقاً بربٍّ له كلُّ الملوكِ عبيدُ
بمن بشّر المظلومَ في كَلماته بنصرٍ له أهلُ السّماءِ جنودُ
فدُم في ظلالِ الملك ما هبّتِ الصَّبا وما حنّ في جنحِ الظلامِ رُعودُ

وعلى أثر ذلك جهز مولانا السلطان الأمير شمس الدين للحركة ، وحمل إليه من الأموال والخلع ما استغرق أمله ، فيقال إنّ الذي أنعم عليه من النقد: مائتا ألف دينار إلى غير ذلك من الخيول والكسوات وغيرها ، وجرّد معه مائة فارس من المماليك بالحلقة ، مقدّم المماليك بلال القبطي ، ومقدم الحلقة الأمينّي ، فأخذ بها الأمير شمس الدين الجوف ، واستباحه .

(ثم جرت بعد ذلك أشياء أفضى الأمر بها إلى قتل الإمام أحمد بن الحسين)[1]

.

صدى القصيدة في المجتمع اليمني

في تاريخ اليمن الأدبي قصائد مشهورة تهز المجتمع اليمني سياسياً ، ودينياً ، وطائفيا . مثل « دامغة الهمداني » ، و « دالية نشوان الحميري » و « بسامة ابن الوزير » . وقصيدة « لعل الليالي » هذه لأحمد بن عبد الله بن حمزة .

وهناك المئات من قصائد الضجّة في تاريخ اليمن ! وقد عارض القصيدة المذكورة شعراء « الزيدية » بل إن المؤرخين الزيود يتحاشون أن يثبتوها دون القصائد المعارضة لها أو التنديد بها ، وقد استمعنا لما أورده الأمير محمد بن حاتم مؤرخ آل رسول ، فلنستمع لما يقوله أحد مؤرخي الأئمة في وصف ما جرى من قبل الأمير الفارس الشاعر الخارج على إمام الحق ! ووصف رحلته إلى الملك المظفر وقصيدته « لعل الليالي » ، يقول السيد يحيى بن الحسين في « غاية الأماني » وهو يتحدث عن أحداث عام ٦٥٢هـ :

---

(١) السمط الغالي ٣٠٧- ٣١٦ .

« فيها أرسل المظفر إلى الأميرين أسد الدين [الرسولي] ، وشمس الدين [الحمزي] بجراية عظيمة ، وأمرهما بالخروج من صنعاء لحرب الإمام ، فخرجا إلى مخلاف ((وهاس)) من بلاد حاشد وأخربوا فيها عدة مواضع ، ثم سارا إلى مصنعة آل أبي القديم فأخذاها ، وتوجها إلى البون ثم إلى الظاهر فأخذا موضعاً عرف بالأبرق ، ثم قصدا الإمام إلى ((هجر)) من بلاد حمير ، وكان الإمام قد جمع جموعاً كبيرة وجهزهم إلى نقيل الخصبات فغشيهم عسكر الأميرين من جوانب النقيل ، فهزموهم أشد هزيمة ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ومن أعيانهم الذين استشهدوا الفقيه العلامة حميد بن أحمد المحلّى صاحب التصانيف المشهورة رحمه الله ، وكان من أعيان أصحاب الإمام ، وأسر الشريف أحمد بن يحيى بن حمزة ؛ ثم رجع الأميران إلى صنعاء وسار الإمام إلى ((مِدَغْ)) ، وفي شهر شوال سار الأمير أحمد بن المنصور بالله وأخوه داوود في جماعة من بني حمزة إلى المظفر ، فوافوه في زبيد ، فقابلهم بالإنعام والإكرام ، وضرب لهم الخيام والمطابخ على باب ((الشبارق)) فأقاموا عنده شهراً كاملا ، ووفد عيد الأضحى وهم لديه فأنشأ شمس الدين قصيدة رائعة يمدح فيها المظفر ، تركنا ذكرها كونها في مدح ((سلطان جائر)) »[1] .

هذه القصيدة التي يقول المؤرخ ((الزيدي)) مع أنه كان من أكثر اليمنيين المؤرخين إنصافا: إنه ترك ذكرها لأنها في مدح سلطان جائر ؛ مع أنه يكتب تاريخه بعد حوالي خمسمائة عام ، قد ذكرها غيره كالخزرجي والجندي ومحمد بن حاتم ، وابن أبي الرجال لم يوردها إلا في ترجمة الفقيه أحمد بن أسعد الزيدي الذي عارض

---

(١) غاية الأماني ١/ ٤٤٠-٤٤١

القصيدة بأخرى على نفس الوزن والقافية ، كما ذكر قصيدة مناقضة أخرى للعلامة القاسم بن أحمد بن الشاكري . ومطلعها:

أأحبابنا ؛ إن الهوى لجديدُ وإن مكـــاني مـــنكم لبعيـــدُ

ولا تدانى قصيدة شاعرنا الفارس تصويراً وتعبيراً ووجدانا وبيانا .

نعم ؛ لقد هزت قصيدة الأمير الحمزي المجتمع اليمني ، وانتشرت في أوساطه انتشار النار في الهشيم ، وأحدثت ردود فعل مختلفة في ذلك الشعب الممزق ، عقائد ومذاهب وأهواء وطوائف ، ولّما وصلت إلى علماء وأدباء وفقهاء ((صعدة)) وهم يدينون بالحب والولاء للإمام أحمد بن الحسين ، ويعتبرون المظفر الرسولي ((تركمانياً)) دخيلاً على اليمن ورد مع ((الغز)) و ((المماليك)) خافوا أن يكون الأمير أحمد بن الإمام عبد الله قد أرسلها إلى ((الزيدية)) في ((العراق)) و ((مكة)) ، وخشوا أن يظن شيعة العراق ومكة وغيرهما الظنون في أهل اليمن ، لأن قائلها ابن إمام زيدي عظيم ، وله مركزه الديني الكبير ؛ فانتدب القاضي الأديب الفقيه أحمد بن أسعد الزيدي وعارض القصيدة وناقضها بأخرى ، بعث بها علماء صعدة مع رسالة إلى علماء العراق و ((مكة)) ، يقولون فيها: إن الأمير شمس الدين أحمد بن عبد الله بن حمزة لا يمثل في قصيدته إلا نفسه ، وإن أهل اليمن على ولائهم للإمام وإن ((ابن حمزة)) كما يقول ((ابن أبي الرجال)) قد انحط من ذروته وتهافت بالوفادة إلى السلطان التركماني)) ، وهذه هي قصيدة الشاعر أحمد بن أسعد الزيدي التي تصور ((الصدى)) الحزين المؤلم في نفوس شيعة ((أحمد بن الحسين)) :

منازل فيها قائمٌ وحصيدُ قفار بها عـــوذ الوحـــوش هجـــود

وآثارهم بين العُيينة والحمى عليهن من نســـج العفـــاء بـــرود

ولم يبق ما بين الصعيد وصعدة ... أنيس من الحي الذين تريدُ !
ينوح عليها « المترفون » فوجدهم ... إذا ذكروا تلك العهود جديد
ويبغون في الدنيا خلوداً وجنةً ... وليس لحي في الحياة خلود
يودّون من فرط الصبابة والأسى ... لو أن الليالي الخاليات تعود
قضى الله أن تفنى الديار وأهلها ... وردّ الذي يُفني القضاء بعيد !
تبدل « شمس الدين » بعد يقينه ... من الريب ما لا يرتضيه مجيد
ولّما دعا داع إلى الحق صادقٌ ... سرت فيه أضغان له وحقود
ووالى عليه الكافرين ولم يزل ... لكل إمام كايد وحسود
وفي [طمع] مازال يعمل كيده ... ومن كايد الرحمن فهو مكيد
فأهلك أحبار الورى وهداهم ... كما فعلت بالأنبياء يهود
وكم نالت الأحياء منهم فبعضهم ... قتيلٌ وبعض في البلاد طريد
وشاد مع الكفار مهدوم دينهم ... وهدم ما كان الهداة تشيد
ومالت به الأهواء شمالا وإنه ... لعارٌ عليه . . والذوائب سود . .
فكيف بشيخ قد حنى الدهر قدحه ؟ ... كفى ذائدا بعد المشيب يذود !
وما انفكّ يقتاد الجنود لقائم ... كريم له أهل السماء جنود
إمامٌ دعا بالحق لّما تنكرت ... رسوم الهدى وانهد منه مشيد
إذا سار سار النصر أوصال صولةً ... غدت « عدنٌ » مرعوبةً و « زبيد »
فساد الورى طراً غلاماً ومثله ... إمام لأولاد البتول يسود
وأضحى زمام الملك بين أنامل ... له كغوادي المزن حين تجود
ودانت له الأملاك قسراً فمنهم ... شقيٌ ومن شاء الهدى فسعيد
وطرد « شمس الدين » كل مطرد ... فأمسى بأطراف البلاد يرود
وأصبح يزجى الأرحبيات وافداً ... حميلا كما تزجي الركاب وفود
يحنّ إلى سوح « المظفر » مولعاً ... بتقريضه حتى يقال « لبيد »

وحفت به غلف العلوج وحوله ... دنانٌ وأوتارٌ تـرن وخـود
فمن مبلغ عني الأمير وحزبه ... لقد سار دربًا مـا اقتفـاه رشـيد
وكابر ما قد شاءه لوليه ... مليـك له كـل الملـوك عبيـد
وأفرى رجالا من قريش كأنهم ... إذا اشتجرت سمر الرمـاح أسـود
بهاليل من آل النبي عليهم ... سرابيل من نسج الحديـد سـرود
وقد كان يرجو من بنيه مشيعاً ... فأدى القضا ما كـان منـه يحيـد
فياليت شمس الدين أمسى محله ... ببلقعـة تطـوى عليـه لحـود
ألم يأن أن تخشى القلوب وتتقي ... سعيراً لها صم الصـخور وقـود ؟
وأن تنتهى أهل النهى عن جرايرٍ ... عليها رقيـبٌ لا يضـل عتيـد ؟
ويكفي بني الزهراء أن نحوسهم ... لقائمهم — لو يعلمـون — سـعود
وأن قتيل الظالمين معذبٌ ... وأن قتيـل المـؤمنين شـهيد
وأن لهم فيه سمواً وعزة ... يدين لهـا نـافي الإلـه جحـود
إمامكم المهدي حقاً وإنه ... لأكرم مـن تهفـو عليـه بنـود
له شرف يعلو الورى وجدوده ... لكم حين تعداد الجدود . . جدودُ
تقي نقي العرض قد تعلمونه ... بكسب المعـالي مبـدئٌ ومعيـد
لأهل التقى منكم شفاء ورحمة ... وللضد مـنكم علقـمٌ وصـديد
مليك تحامته الملوك مهابةً ... وكـادت له صـم الجبـال تميـد
ودانت له الأقدار عفواً فلم يعش ... له بـين قطـر الخـافقين نديـد
وأشبه ذي وجه بوجه محمدٍ ... وفيـه علامـات عليـه شـهود
مطهرة أخلاقه وطباعه ... وعلم علـى علـم الأنـام يزيـد
فضائله سارت بها الركب في الورى ... ومنكم عليهـا حاضـرٌ وشـهيد
دعاكم إلى نفي المعاصي فمنكم ... وليٌّ حمـى عـن دينـه ومريـد
وهامت بكم آراءكم فكأنها ... عن الرشد أغـلال لكـم وقيـود

وسامحتم في دينكم كل ملحد ... وما الناس إلا ملحدٌ وعنيد
وكانت لكم في الإحتساب زخارف ... من القول لم ينظم لهن عقود
أبحتم بها الأرواح والمال برهةً ... عليها رجال ركّعٌ . .وسجودُ
فلما دعا من أكمل الله أمره ... نأ منكم مستبصر وعنود
أذب عن المهدي ديناً وإنني ... إلى الله بالود الصحيح أهود
وإن حال من دون الإمام مخاوفٌ ... عسير علينا جوهنّ وبيد
لعمرك ما قد قلت فيه مقلدا ... ولي بصر- لولا الخطوب حديد
وصاحبته عشرين عاماً وإنه ... ليُقبسُ من أنواره ويُفيد
أتوق إلى نفي المناكير شيقاً ... ولكن حظي في الأمور زهيد
وعند بني « الزهراء » من دون دينهم ... طعانٌ ومني خطبةٌ وقصيدُ
على آل طه رحمة الله . . إنه . . . ... حميدٌ لطيف بالعباد . . مجيدُ

لقد سببت قصيدة « لعل الليالي » الكثير من الأتعاب واللوم والتهم لشاعرنا الفارس ، والتي نظن أنه ما نفث بها إلا بعد حديث نفسي طويل كما ذكرنا ، ويدل على ذلك إشارته المريرة إلى ما عاناه من ((ابن العم)) ، وهي إشارة توحي بأنه كان يفضل الإصغاء إلى ((وصية)) والده الإمام ، ولكن الضرورة قد ألجأته ، ولم تدع له مجالا لِصَبرٍ ، وما أبشع « الضرورات » التي تقتحم بالبعض حواجز المبادئ ، وتدفع الطامحين إلى ممارسة أعمال يكرهونها طبعاً وعلماً ومذهباً ؛ أوليس قد قال:

أنخنا بك الآمال وهي ركائبٌ ... لأرسائها لطف الآله يقودُ
وقد كنتُ عرّيتُ الركائب بُرهةً ... وأطرقت حتى لا يقال: مريدُ !
وداريتُ لابن العم داءً وجدتُه ... على الدهر ينمو خطبه ويزيد

وقصيدة أحمد بن أسعد « فائقة » كما قال « ابن أبي الرجال » ، وقد كانت سخريته لاذعة عندما قال:

تبدل « شمس الدين » بعد يقينه ... من الرّيب ما لا يرتضيه مجيدُ
ولّما دعا داعٍ إلى الحق صادقٌ ... سرت فيه أضغانٌ له وحقودُ
ووالى عليه الفاسقين ولم يزل ... لكل إمامٍ كائدٌ وحسودُ !
وما لت به الأهوا شمالا وإنه ... لعارٌ عليه والذوائب سود !
فكيف به شيخٌ حنا الدهر قدحه ؟ ... كفى ذائداً بعد المشيب يذودُ !

ولعل أقسى ما ورد في القصيدة مناقضته لقول الأمير:

وحَفّ بسرجي التركُ والعربُ ... بعزّك ركني اليوم وهو شديدُ
كذا يستعينُ الحرُّ بالحرِّ واثقاً . . ... بربٍّ له كل الأنام عبيد !

فقال القاضي أحمد ساخراً:

يحنّ إلى سوح « المظفرِّ » مُولعاً ... بتقريضه كيما يقال « لبيدُ » !
وحفّت به غُلفُ العلوج وحوله ... دنان وأوتار ترن وغيدُ !

لا شك أن « الشاعر » الفارس ابن الإمام قد عض سن الندامة !

وقد رثاه بعد وفاته صديقه الشاعر مسعود بن عمر العنسي بعدة قصائد منها رآئية مطلعها:

يا زفرة في الحشا تعلو وتنحدرُ ... ترفقي فعسى أن يكذب الخبرُ
يا قائلاً: قال: مات ابن الإمام ... تعنى سواه بفيك الترب والحجرُ !

وله من أخرى:

يا دهر حسبك من توهين أسبابي يا دهر أفنيت أركاني وأحبابي »[1]

ابن هتيمل والامام

للشاعر المفلق والأديب المترسل القاسم بن علي بن هتيمل المتوفي سنة (٦٩٥ هـ) قصائد كثيرة في الإمام أحمد بن الحسين ، منها أشهر قصيدة غزلية له ، والتي يحفظها أدباء اليمن وشعرؤاه ، بل حتى عامة الناس يعرفونها ، حتى لقد غناها جمع من المطربين اليمنين ، وأوردها الدكتور محمد عبده غانم في كتابه « شعر الغناء الصنعاني » .

وهناك من يقول بأنه قالها في الأمير أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة ، سيما أنه ذكر ظفارا ، وظفار كانت حصن الأمير أحمد ، وهي هذه:

أنا من ناظري عَلَيك أغارُ وارِ عَنّي ما حالَ عنه الخمارُ
يا قَضيباً من فِضَّةٍ يُقطف النَّر جَسُ من وجنَتَيه والجلّنار
قمرٌ طُوقَ الهلال ومن شمـ سِ الدَّياجي في ساعديه سِوار
صُن مُحياك بالنقاب وإلا نَهَبَتْه القلوب والأبصار
فمنَ الغَبنِ أن يُماط لِثامٌ عن ثنياك أو يُحَلّ إزار
عَجَباً منك تحت بُرقُعك النّا رُ وفيه الجَنّاتُ والأنهار ! !
لك فينا الخيارُ في القتل والمن جميعاً وما عليك خيار
مَن مُعيري قلباً صحيحاً ولو طَر فَة عَينٍ إن كانَ قلبٌ يُعارُ
لا الزمان الزمانُ فيما عَهدنا هُ قديما ولا الديارُ الديار
بَعضُ هذا يُبلي الجَديدَ ويُفني الـ ـمَرءَ لو أن عُمرَهُ أعمار
والليالي الطوال تنحتُ من جنـ ـبيَ ما أبقَتِ الليالي القِصار

(١) تاريخ اليمن الفكري ٣/١٨٢-٢٢٩ .

أمَلالاً نَوى (نوارٍ) فما كا ... نَ جَمـيلاً أن تجتَوينا (نَـوار)

أبصَرَت مَفرقي فأفزَعَها لَيـ ... ـلٌ تمشّى في جانبيه النهار

إنما العيشُ والهوى قبلَ أن يَنـ ... ـجُمَ ثـديٌ أو أن يَـدُبَّ عَـذار

وعُرامُ الشباب أشهى إلى النَّفـ ... ـسِ وإن كـان في المشيب الوَقـار

لا يَصُدُّ الملاحَ عن صِلَة العُشّا ... قِ إلا القَـتيرُ والإقتـار

حفظ الله (أحمداً) حيثُ ما كا ... نَ وجادَتـهُ ديمَـةٌ مـدرار

الشريفُ الشريف والجَوهَرُ الجو ... هَـرُ الخـالِصُ النَّضـارُ النضار

سيدٌ أمُّه (البتولُ) وجَدّا ... هُ (المـثنى) و(أحمـدُ) المختـار

و(علي) الرضى أبوهُ وعمّا ... هُ (عَقيـلٌ) و(جعفـرُ الطيـار)

نَسَبٌ ما (نزارُ) زائدةٌ فيـ ... ـيهِ ولكـن تَزيـدُ منـه (نِـزار)

باعثُ الخيل والكتائب ملء الأ ... رضِ لا يَشـغَلُ المغـارَ المغـارُ

شُزَّباً ذو الخمارِ والدّاحسُ البَحـ ... ـرُ أبوهـا والـوردُ والخطـار

كل يومٍ تُحذى من الصخرة الصما ... ء نَعـلاً لَـم يحـذها البَيطـار

أبناناتُك المَواطِرُ سُحبٌ ... قـد تَهـادَت في سَـحِّها أم بحـار

ملَّكَتكَ الأحرارَ فانسَبْك الخَلـ ... ـقُ عبيـداً لكـم وهُـم أحـرار

الضِّراب الحَريقُ والنائلُ الدَّفّا ... عُ دأبـاً والجفنَـةُ الإكسـار

ولَعمري ما أقنَعتني (ظفارٌ) ... لـك إن كـانَ أقنعتـك (ظفـار)

دونَ أن تجمعَ الخَراجَ من العُر ... ب وتُجبَـى (العـراقُ) والأمصـار

ويُلاقى الكُماةَ والجَحفَلَ الجَرَّ ... ار فيهـا الجَحفَـلُ الجَـزار

يا ابنَ بنتِ النبي هب أنني في الـ ... ـوُدّ فـيكم (سـلمانُ) أو (عمـار)

أنا من لا يزيدُ فيه ولا يُنـ ... ـقِصُ منـه القليـل والإكثـار

ما عسى ان أقولَ فيكم وقولُ اللـ ـهِ فيكم فما عَسَى الأشعار [1]

وقال أيضا من قصيدة:

تؤُمَّ إماماً أعجزَتْ معجزاته سواهُ وبانَت عن كتائبه الكتب
فَتى ردَّ مغصوب الخلافة بعدما تداولَها قومٌ خلافتهم غصب
أخو الحرب لا يُمسي وإن تمَّ فتحه وقد وضعت أوزارها عنده الحرب
تهاداه أصلاب النبوة وارتمى به البطن ثم البطن والصلب والصلب
يَني الفلك الدوار جريا ولا يني نوالاً وينبو المشرفي ولا ينبو
إذا هَمَّ لم يَطعم فقد عاش عيشةً بهيميَّة من همُّه الأكل والشرب
نهايةُ أهل الفضل إذ لا نهايةٌ وحسبُ ذوي الآمال إن طُلب الحسب
أ(أحمدُ) يا مهدي (عيسى بن مريم) دَعِ الشرق إن الشرق علَّتُهُ الغرب
تشاغلتَ عن فرضٍ بنَفلٍ فلا تَرُض ذَلُولا ورُض صَعباً ليتبعَك الصعب
فما الرأي أن تُهنا الصحاح وإنما من الرأي أن تُهنا من الجَرَبِ الجُرب
وما لك شِمتَ الصارم العَضْبَ لم ضربتَ به فالصارم الصارمُ العضب
إذا قاد نصر الله جيشك خارجا بفتحٍ فلا يُثنيه فجٌّ ولا درب
فلا تعتقد أن المعاقل عصمةٌ لذي نخوة فالمعقل الطعن والضرب
حقنت دماءً لو أذنت بسفكها لما جَفَّ منها التُّربُ ما بَقيَ التربُ
وأعززت دين الله إذ ذَلَّ حزبه بطاغيةٍ حزبُ الضلال له حزب
فمن عاش من (آل النبي) كَلالَةٌ ومات ولم يُعقب فأنت له عَقبُ
منعتَ بنات المجد حتى عَضَلتَها من الناس لا نُكحٌ لهن ولا خطب
فإن عُلقَت منك النواصب رهبة فلا عجبٌ أن يَرهَبَ الأسدَ الكلب
وإن سرقَت منك الكرامُ سجيَّة فمن ضوء نور الشمس تسترق الشهب

---

(١) ديوان ابن هتيمل ١/٣٢٧ – ٣٣٠ .

فلا تُطمِعِ السادات فيما ورِثته ... فكم طَمَعٍ في الإرث أسقَطَهُ الحَجب [1]

وقال أيضا من قصيدة:

يا (وهبُ) كيف مُعَرَّجي بمدينة ... أمسيتُ فيها خائفاً مُترقبا
أنزِل (بحُوثَ) فإن سيرةَ (أحمد) ... فيها كسيرة (أحمدٍ) في (يثربا)
من يَنسبُ (الزهراءَ) أمَّا بَرَّةٌ ... و(محمداً) جداً و(حيدرةٌ) أبا
وإذا رأيتَ الزئبقي بكفه ... في الروع خِلتَ الشمس تحمل كوكبا

وقال أيضا من قصيدة:

أ(أحمدُ) إني شاكرٌ لك حامد ... وإنيَ موعودٌ وأنك واعد
وأنك قد عودتني منك عادةً ... هي اليوم لي في المشرقين عوائد
وكم لك عندي من يدٍ وصنيعة ... يُقرُّ بها جِلدي لو أنيَ جاحد
فإن تُولِني خيراً فإنك أهله ... وإن تكتسب مجداً فإنك ماجد
وما أنتَ إلا رحمةٌ إن تقاصرت ... فوائدُ منها أيدتها فوائد
إذا التاثَ أمرٌ قَلَّدَتك أمورها ... (نزارٌ) به تُلقى إليك المقالد
أعُدُّك لي ردءاً وحرزاً من الرَّدى ... إذا عانَدَ القومَ الزمان المعاند
شهدتُ (أبا المهدي) أنك في ... أجَلُّ بَني دَهرَيكَ والله شاهد
أدِر فيَّ فِكراً وانحرف بلطافَة ... فلا ناقصٌ مما علمتَ وزائدُ
فإن قليلَ الخيرِ بالحُبِّ صالحٌ ... وإن كثيرَ الخير بالبُغض فاسد [3]

وقال أيضا يمدح الإمام أحمد بن الحسين ، والأمير أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة:

---

(١) ديوان ابن هتيمل ١/٨٢ – ٨٤ .

(٢) ديوان ابن هتميل ١/ ١٠٠ .

(٣) ديوان ابن هتيمل ١/١٩٧ – ١٩٨ .

كم تستمدُّ بصبرٍ ما له مدد ... وكم تجمِّدُ دمعاً والفراق غدُ
دَرِّج فؤادك واعلم أنها نيةٌ ... تُبلي هواك وأثوابُ الهوى جُدُدُ
أما يسرُّك أن تلقى وأنت على ... إثر الأحبةِ لا قلبٌ ولا كَبِدُ
في كل داميةٍ أرشٌ فما لِدَمي ... يا قوم ليس له أرشٌ ولا قَوَدُ
باتوا طرايقَ في يومِ النوى قِددا ... قلبي طرايقُ فيما بينهم قَددُ
إذا يئستُ فشارفتُ السُّلوّ نكى ... قُرحي وهيّجَ شوقي طائرٌ غرد
وكيف يَبرُدُ حَرّي أو يَبُوحُ جَوى ... صَدري وبَين ضُلُوعي جَمرَةٌ تَقِد
لا أكذبُ اللهَ في نَفسي مَحبَّتَهُم ... عني أأجحدُ شيئاً ليس يَنجحد
وليلةٍ قصُرت من طولها ووفت ... ذاتُ الوشاح لنا فيها بما تعد
باتت تُغالطني الشكوى فحين نَضا ... صَبغُ الدُّجُنَّة قامت وهي ترتعد
وصافحت ببنانات أُقبّلُها ... حيناً وأعقِدُها لِيناً فتنعقد
سَلّ الهموم فإن ضافَتك طارقةٌ ... من هَمِّها فَقراها العُرمُسُ الأجِدُ
راحت إلى (ابن أمير المؤمنين) بنا ... حُوصٌ سواءً عليها السهلُ والجُدد
تَظَلُّ تحت رواق القصر مُشرَعةً ... للجودِ يصدرُ عنها ذا وذا يَرِد
من حيثُ مَربِعُها العافي ومَكرِعها ... الصافي من الشمس لا جَدبٌ ولا ثَمِد
دع عنكَ (أحمدَ) لا تعدل به أحدا ... فليس يعدله في فضله أحد
فرعُ الإمامة والكفؤ الذي خُطِبت ... بِكراً له فتَحرَّى وهو مجتهد
القاتل الفاعل الطَّلق الغضنفرةُ ال ... ـبَرُّ الرحيم الكريم الفارس النجد
أذاكَ ؟ أم مَلَكٌ في البُرد ؟ أم بَشَر ... في تاجه قمرٌ في درعه أسد ؟
يَخِفُّ للجُود قلبا وهو مُتّئِدٌ ... حِلماً ويُسرف فيه هو مقتصد
كالغيث يغشاك قَطراً وهو مُقتربٌ ... دانٍ ويأتيك سَيلاً وهو مُبتعد
إن الخلافة وجهٌ ما به كَلَفٌ ... بـ (الأحمدَين) وعينٌ ما بها رَمَد
تكامَلَت بهما حتى كأنهما ... من التمازُج فيها الروح والجسد

أضحت بفضلهما كالكفِّ عُضوان ذا ساعد فيهـا وذا عَضُـد
والمشرَفيُّ بحدَّيه صَرامتُه يومَ الضِّراب وليست كاليـدين يـدُ
إن يعرف البدر حق الشمس فليس يَجهلُ حـق الوالـد الولـد
يا (أحمد بن أمير المؤمنين) هَديـ ـتَ المسلمين إلى نَهج الهدى فهدوا
رَضيتَ ما رَضي المهدي أكبادُ قومٍ وراها الغـيظُ والحسـد
فما لِبَعض بني (المنصور) طوَّحَهم عنكم وحادَ بهم عن نصركم جَنَـد
أمرٌ ثناهُ لكم ثانٍ فمن غَبَنٍ في الرأي أن يَتساوَى الغنُّ والرشـد
فهذه دولةٌ أنتم لها عُمُدٌ ولا يقـومُ خِبـاءٌ مـا له عَمَـد
أحين صرَّحَت الأيامُ حقّكمُ محضاً وصارَ جُفـاءً ذلـك الزبـد
وراسلتكم (تَعِزٌّ) من تذللها بالرغم وانتظرتكم (حيس) و(الجَنَد)
وأذعنت فرقُ الإشراك واعتقدت بالسيف ما لم يكن بـالحق يُقتصَـد
نمتُم ؟ وعظَّمَ حالَ العُجم كونُكمُ صَـددتم وهـمُ في داركـم صُـيُدُ
لا تُهملوا فرصة في اليوم مُمكنة فقد يجـيءُ بمـا لا تشـتهون غـد
أخيفةً ؟ فرسول الله ما عذبَت له حـنينٌ ولا طابـت له أحـد
جاهد بآلك واعلم أنهم فئةٌ أثفيـةٌ يتـوقَّى وقعهـا الوتـدُ
اللابسي زَردَ الإحسانِ مُحصنة من الملامـة إذ لا تُحصِـنُ الـزُّرُدُ
قومٌ هُمُ الجَوهرُ الشفاف إن نُقدُوا وسادةُ الناس إن قـاموا وإن قعـدوا
لا يُفصَلُ الخَطبُ إن غابوا لغيرهم ولا يُردُّ إلى السـادات إن شـهدوا
أغنيتني وخطوبُ الدهر قد ما لي فلا سـبَدٌ عنـدي ولا لبـد
وما وجدتُ سوى شُكري مكافأة وهل تُكلِّفُ نفسٌ فوق مـا تجـدُ [1]

---

(١) ديوان ابن هتيمل ٢٠٦/١ — ١١٠ .

وقال أيضا:

أجِر أضلُعي من حرِّها ووقودها ... ومن هجرِ (أروى) وامتدادِ صُدودها
وكرِّر إذا حدثتَ عن بانَة (اللّوى) ... حديثَك عن (نعمانِـ(ـها و(زرود)ها
ففي كَبِدي نارٌ تَؤُجُّ وتَنطفي ... وتَخمَد نارُ البعث قبل خُمودها
أراني إذا قُلتُ الصبابة تنقضي ... وتَنقُصُ أشواقي غَلت في مَزيدها
أُراشي جُفوني أن تنام وترعوي ... دموعٌ أذابَ البينُ راقي جُمُودها
ومن عَجَبِ الدنيا وما حَكَم الهوى ... به أن تَودَّ النفس غير ودُودِها
فهل من مُعيدٍ وقفَة عَرضت لنا ... بجنبِ الغَضا إن يُسِّرَت لمعيدها
عَشيَّةَ ولَّت (أم عمرو) وأعقَبت ... شجاً في وريدي من شَجاً في وريدِها
وقد ألصَقَ التوديع وخَدي خدَّها ... على غَفَلَةِ الواشي وجيدي بجيدِها
أمِن خلِسَةٍ في الرأس كالبَرق أعرضَت ... طَلا الغيدِ عني باحمرار خُدودها
خضابٌ تُقاضيني الليالي نُصُولَه ... بما كرَّ من، بيض الليالي وسودِها
غَدوتُ بغيضاً من تلَوثِ لِمتي ... وكنتُ حبيباً قبل بالي جَديدها
فكم حسرةٍ للشيب عنديَ ليتَني ... وَردتُ غمارَ الموت قبل ورُودها
أراحت إلى المهدي عازب همِّنا ... قلاصٌ بُراةُ الطيرِ تحت قُيودها
غَريريَّةٌ لم يبقَ إلا عظامها ... تُقَلقلُ منها في بقايا جُلودها
بَرى نَحضَها طُولُ السُّرى ومسافةٌ ... تَهائمُها مَوصولةٌ بنجُودها
فجاءت بنا (المهدي عيسى بن مريم) ... وحَطَّت بمبدي أنعمٍ ومُعيدها
بذي مُعجزات إن طَلبتَ شَهادة ... على كَونها فالله خيرُ شُهودها
أجَلُّ ابن أنثى طُرِّقَت بجَنينها ... وخيرِ ابن أمٍّ فاخرت بوليدها
أخي شَتوَةٍ تُمسي وتُضحي جِفانه ... مُكَلَّلَة من شَحمها وثَريدها
إمامٌ إذا استسقيتَ جُوداً بعينه ... وقد ضُرِّجَت كُحلاً سقاك بجُودها

وأشهدُ في بُردِ من المجدِ تشهدُ النـ ـــبُوَّةُ عنه أنه من بُرودها
كمالٌ يريكَ البدرَ ليلةَ تَمِّه كَمالاً ووجهَ الشمس يوم سعودها
يقابل في الأنساب بينَ (عَلِيِّـ)ـها و(فاطِمـ)ـها لا (هندِ)ها و(يَزيدِ)ها
وخيرُ ليالي الحَولِ ليلةُ قَدرها وأفضلُ من أيامها يوم عيدها
متى اختلفت (آل النبي) ونافرت لسيدها في مشهدٍ ومسُودها
أقرَّت وقالت إنك ابنُ (حسينـ)ـها بحقٍ عَميدُ القوم وابن عميدها
حلفتُ أميرَ المؤمنين أَلِيَّةً يُؤكِّدُ خوفُ الله برَّ أكيدها
لأعتقتَ بعدَ الرِّق أمةَ (أحمدٍ) وقد عَبَثت أحرارُها بعبيدها
نَسختَ مُلوكَ الدولتين بدولةٍ طَريفُهم مُستهلكٌ في تليدها
فأفٍّ على (مَروانـ)ـها وأفٌّ على (مَهديـ)ـها و(رشيد)ها
أطارت عليها من نآى من (نزار)ها ومن شَذَّ من (قحطانـ)ـها ابنة (هود)ها
أفاءت عليك الخالعينَ كتائبٌ عديد الحصى والرمل دون عديدها
يَرُدُّ نسيمَ الريح ركزُ رماحها ويَحجُبُ عينَ الشمس خَفقُ بُنودها
ومَلمُومَةٌ مَهديَّةٌ قاسميةٌ يَغُضُّ حَديدَ الطَّرفِ لَمعُ حديدها
تدُوسُ فراخ الطير بينَ وُكُورها وتشدَخ هامَ العَصم فَوقَ ريودها
فكم أنِفت من برٍّ كَفِّكَ عُصبة وبِرُّك من أغلالها وقُيودها
أرات بك السوآى وقد كانَ غيرها أعزَّ لها واللهِ غيرُ مريدها
فأسبِل عليها ظلَّ سترك واغتَفِر جنايَة جانيها وحَسدِ حسودها
ولا تلتهب إن أخلَبت في بُروقها عَليكَ ولا إن أجلبت في رُعُودها
فأنت بحمد الله دُرةُ تاجها إذا اعتَصبت يوماً وفِلقَةُ عودها
أبوك أبو السبطين خيرُ أُبوة وجَدُّك سِر (الله) خيرُ جدُودها
وما لَك والسلم الذي عُدِمَت به نكايةُ أهل البغي بَعدَ وجودها
وحَولَك ساداتٌ خَلَت من حُصونها حَذاراً وغاباتٌ خَلت من أسُودها

وحاشاك أن تُحيي رمائمَ أمة تقضَّت تَقضّي (عادِ)ها و(ثمودِ)ها
تَعدَّت حُدوداً ثَمَّةَ ابتدَعَت لها شرائعَ ظُلم أبدَعَت في حدودها
تَدينُ إذا دانت بدين مَجُوسها وتَنطِق إن قالت بقولِ يَهودِها
إذا سلمت (صنعاؤ)ها و(براشـ)ـها فما الظَّنُّ في (كدرائـ)ـها و(زَبيـد)ها
لك الخيرُ قد أنضيتُ حَوصَ رَكائبي بما جاوزت من (صعدةِ) وصَعيدها
أتَتكَ بأفواقِ القوافي عَرائسا مُوشَّحة من شَذرِها وفَريدها
ولا عجبٌ إن فُقتُ يَوماً قريبها وأدركتُ بالمهدي حظٌّ بعيدها
فأصبحتُ لا المغضُوضُ دُونَ عطاءٍ ولا المخفُوضُ دُونَ (وليـد)ها [1]

وقال أيضا من قصيدة:

حسبي غنى وكفاني كل نائبة أني على الله والمهدي متكل
القاسميِّ الذي لا شَيءَ ينقُصُه من المَثالبِ إلا أنه رَجُل
والعارضُ الهَطِلُ المُحيي بديَمَته ما لَيسَ يَجمَعُ فيه العارضُ الهَطِل
خير ابن أم إلى عِرق التُّراب أباً فَخماً وأفضلُ من يَحفَى ويَنتعلُ
مُرٌّ وحُلوٌ إذا كَيَّفتَ حالته في الحَرب والسلم فهو الصّابُ
بَحرٌ يَطِمُّ على العافي عَوارِفُه ما من مواهِبه الضَّحضاحُ والوَشَلُ
وضيغَمٌ غِيلُهُ في كل قَسطَلَة بيضُ القواضب والخطِّيَّة الذُّبُل
حَذار تَلقاهُ والهنديّ في يَدِهِ فإنه أجلٌ في كَفِّه أجلُ
لا يَنتَحي لك مَطلا في مواعِده ولا يَصُدُّك عن أمواله العِلَلُ
شَجاعَةٌ وسماحٌ لا يُداخِلهُ في الشرِّ والخيرِ جُبنٌ لا ولا بُخُل
كأن فيضَ يديه فيضُ غادِيَة وطفاءَ صَيِّبَة شُؤبُوبُها وَبَلُ
يُلقي الرجال إليه الأمر إن جَهِلوا فيه الصوابَ وإن أعيَتهُمُ الحيَلُ

(١) ديوان ابن هتيمل ١/ ٢٩٧ – ٣٠٢ .

أبقَى (الحسينُ من (المهديّ) ما به الأواخرُ عـن (عـدنانَ) والأُولُ
الله جارُكَ حتى لا تُمدَّ يدٌ إلا وفي كَفِّها عـن نـيلِكُم شـلل
أما (حَضُورُ) و(يَوماها) اللذان بها كانا لكم فيهما (صِفين) و(الجَمَـلُ)
مُثلتَ للتُّركِ في جَرداء لو صَدَقت فُرسانُها جَـبلاً لَـم تَمثُـلِ الجَبَـل
أقبلتَهُم غُررَ الخيلِ الجيادِ وقد أتـتكُمُ بجُنُـودٍ مـا لَهـا قِبَـلُ
ثم انثَنَى (وائلاً) تغلبه رَدعتُهُ على الحقيقـةِ إن الـنَّكسَ لا يَئِـلُ
يَرعاك بالطَّرفِ شَزراً وهو مُنهَزِمُ فاعجَب لأحولَ ما في عَينِـهِ حَـوَل
يَفديكَ أنكدُ ما في وجهِهِ بَلَلٌ مِـنَ العُبُـوسِ ولا في كفِّـهِ بَلَـلُ
إذا بَقيتَ وأبقَتكَ الخُطوبُ لنا فَكُلُّ داهيـةٍ تـأتي بهـا جَلَـلُ [1]

وقال أيضا من قصيدة:

مَتى عَهدُكم بالهَضب (هَضب ومـا ظـنُّكُم بالإسـحلِ المُتمايـل
وكيف الغَضَى من بعدنا أفرُوعُهُ ذَاوِبـلُ أم يـنطقنَ غـير ذَاوبـل
قِفُوا حدِّثُوا عن ظلّه الطّلقِ وعـن فَيئـةٍ في بَـردِه بالأصـائل
وإن عرضَ السّربُ الممَنَّعُ صيدُه لكم فانشدوا عقلي بـ(بَرقَـةَ عاقـل)
أأهلَ الغَضَى لو أنَّ نَفسي تُطيعُني لَنـهنَهتُها بالعـذلِ دون العـواذل
أُحبُّكمُ حُبَّ الجَبانِ لنفسه وإن كان حظـي مـنكمُ غـير طائـل
إذا رُمتُ نَيلاً منكمُ كان نَيلُكم مَكـانَ الثُّرَيـا مـن يَـدِ المُتنـاول
وعودُ إذا ما أيبَسَ المَطلُ عُودَها رَجَوتُ اخضرارَ العُـودِ في عـام قابـل
جَفظتُ وضَيَّعتُم فلو كُنتُ عاقلا عَـرَفتُكُمُ لكنَّـني غـيرُ عاقـل
فلا والقُدُودِ الهيفِ تأسُلُ في النَّقا فتهتَـزُ هَـزّاتِ الرمـاح الأواسِـل
إذا رَجرَجَت ما في المآزرِ رَنَّحَت رُدَينيَّـةُ الأحقـاف مـا في الغلائـل

(١) ديوان ابن هتيمل ٢/ ٧٣٣ — ٧٣٥ .

تُجيلُ جياعَ الوَشح وهو نواحِلٌ ... أغـارَت عَليهـا مُشـبَعاتُ الخَلاخِـل
لقد نَعَشَ المهديُّ أُمَّة (أحمدٍ) ... بِدَولَـةِ حـقٍّ لا بدولـة باطـل
تَدارَكَهُم باللُّطف والشركُ عامر ... ـمنازل والإسـلامُ عـافي المنـازل
إمامٌ أماتَ الجَورَ بالعدل فاعتَمد ... على جـائرٍ في عِشـرَةِ المـال عـادل
وذُو فِقَرٍ رَدَّت بَديهَةُ خَطبِهِ ... فَصـاحَةَ (سُـحبانِ) فَهاهَـةَ (باقِـلِ)
جَمالٌ إذا استعرَضت بعضَ ... تَحَقَقـت أن البَـدرَ لـيس بكامـل
أهاتيكَ في كَفِّيه عشرُ غَمائِمٍ ... مـواطِرُ أم هاتيـكَ عَشـرُ أنامـل
حياً تَنبُتُ الأيتامُ تَحتَ ربابِهِ ... وتُوسِـرُ منـهُ معسـراتُ الأرامـل
أجَلُّ الوَرَى ما بينَ ماشٍ وراكبٍ ... وأفضَـلُهُم مـا بـين حـافٍ وناعـل
فقُل للحرُوري المُدِلِّ بحِلمِهِ ... عَلَيـهِ وراجـي عَفـوَهُ بالوَسـائل
حَذارِ من الموتِ الوَحيِّ وسَطوِهِ ... علـيكم بسـيفِ اللهِ في يَـدِ قاصِـل
لَئِن طِبتَ نفساً عن أبيكَ بموعدٍ ... غُـرُورٍ وغَـرسٍ آجـلٍ غـير عامـل
فَيَهنيكَ لا هُنِّيتَ أن لا حَليلةٌ ... أَتَتـكَ ولا فَـكٌّ لمـا في السلاسـل
وإنك من بعد الذين فَقَدتَهم ... لأوهَـنُ مـن كـفٍ بغـير أنامـل
فإن السيوفَ المُرهفاتِ كعهدِكُم ... حِـدادٌ وإن الخيـل قُـبٌّ الأياطـل
خُذُوا حَظَّكُم من غِرَّةٍ حَمَلَتكُمُ ... على خَطَرٍ من مُشـكِلِ الأمـرِ هائـل
بَقيتَ أميرَ المؤمنينَ لدولةٍ ... أظلَّـت بسَـعدِ طـالعٍ غـير آفِـل
فأنت لِـ(آلِ المصطفى) ووصيّه ... (زُهيرٌ) لِـ(عَبسٍ) أو (كُلَيبٌ) لِـ(وائل)
ولولاكَ ما كانت مَشاربُ ... عـذاباً ولا عاشـوا كـرامَ المآكـل
رأيت الليالي أعقَبَت نَكَباتُها ... خُمُـولَ نَبيـهٍ أو نباهَـةَ خامـل
أدالَت على الشمس السُّها ... وأطعَمَـت الغربـانَ حَـظٌّ الأجـادل
وأعجَبُ ما جاءت به فَصلَ ... بخَفضِ الأعـالي وارتفـاع الأَسـافل
فهل أنتَ مُعدٍ لي عَلَيها وحاجِرٌ ... فَكَـم وارِثٍ منـها عَلَـيَّ وواغِـلِ

فإنك مَشهُورٌ بغير دَلالَة كما الصبح مشهورٌ بغير دلائل
أتتكَ وما حَلْيُتها جيدَ مُنكَسٍ مَلِيّ ولا حَلْيُتها جيدَ عاطل
فدُونكَ هذا الرَّقمَ لا رَقمَ حاذِقٍ صِناعٍ وهذا السِّحرَ لا سِحرَ بابِل (١)

وقال أيضا من قصيدة:

يا سائلي عن (أحمَدٍ) ولِـ(أحمد) شَرَفٌ أقامَ عَلَى السِّماكِ مُقيمه
رَجُلٌ مِنَ المَلاءِ العظيم أبوَّةً وجُدُودُهُ وخؤُولُهُ وعُمُومه
تَنميه (هاشِمُـ)ـهُ و(عَبدُ منافِـ)ـهِ و(قُصيُّـ)ـهُ و(ذبيحُـ)ـهُ و(كَليمُهُ)
أتُريدُ تنسبُ (فاطِماً) و(عَليَّـ)ـه لك أم (مُحَمَّدُ)هُ و(إبراهيمُـ)ـهُ
نَسَبٌ يُؤَيِّدُهُ عَلَى استعلائه حَسَبٌ صَميمُ المرسلين صَميمُهُ
وكَفَى بمن هَديُ الإمامةِ هديُهُ شَرَفاً ومن خيمُ النبوة خيمُه
صَدرُ الخميس وقَلبُهُ وعِمادُهُ في الرَّوع وابنُ زَعيمِه وزَعيمُهُ
قمرٌ يُزَرُّ عَلَى الكمال قَميصُه وعَلَى الجَلالَةِ الكمال أديمُهُ
ومظفر الطلبات لو عادَ النُّجو مُ الأُفقُ ما بَعُدت عَلَيه نُجُومه
مُتفرِّقُ المعروف لا مَرزُوقُه يُخطيهِ نائلُهُ ولا مَحرُومُهُ
وإذا سَحابُ نَدَىً كَذَبنَ غُيُومُه آمالَ شائمه صَدقنَ غُيُومُه
يا ابنَ الذين لهم حَجُونُ البيتِ والـ ـبَيتُ العتيقُ وحِجرُهُ وحَطيمُه
مُلِّكتَ مُلكاً لَم يَسِر (مأمُونُـ)ـهُ معشار سيرَته ولا (مَعصُومُـ)ـهُ
أنصَفتَ منكَ ومن سِواكَ بمَشهَدٍ ما أنتَ ظالِمُهُ ولا مَظلُومه
ونَشَرتَ عدلا عَمَّ حتى نالَ أهـ ـلَ المَغرِبَين خصُوصُهُ وعُمُومُهُ
فليَهنَ هذا الدهرَ أني فَردُهُ عِلماً وشاعِرُهُ وأنتَ كَريمُه (٢)

---

(١) ديوان ابن هتيمل ٢/ ٧٩١ – ٧٩٥ .

(٢) ديوان ابن هتيمل ٢/ ٨٧٧ – ٨٧٩ .

وقال أيضا:

إذا جئت (الغَضى) ولَكَ السلامَة ... فطـــارِح بالتحيـــةِ ريمَ (رامَـــة)
وقُل لِلوائليَّةِ هل لِرُوحي ... وما أتلَفت مـــن جَسَـــدي غَرامـــة
حَلَلتِ (تِهامَةً) وحَلَلت (نَجداً) ... فأينَ وأينَ (نَجـــدٌ) مـــن (تهامَـــة)
وخفتِ من الكَواشِحِ أن تُلمي ... بنا فَمُـــري خيالَـــك يـــا (أُمامَـــة)
أَغارُ عَلَى ثَناياكِ اللَّواتي ... تُقَبِّلُهـــا الأَراكَـــةُ والبَشـــامَة
ومَن لي إن حُرمتُ لَماكِ أني ... أَشَـــمُ الـــرُّوحَ مـــن لَثمـــي لِثامـــة
وما أنا والمُدامَةُ وهي حجرٌ ... ومفسَـــدَةٌ وريقَتُـــكَ المُدامـــة
ولا ومَحاسِنٍ عَقَدَت هَواها ... بِحُبّـــاتِ القُلُـــوب المُســـتَهامَة
لَهُنَّ جَوايَ في قُربٍ وبُعدٍ ... وعَهـــدي في الرحيـــل وفي الإقامـــة
ومُرهَفَةُ المُوشَّحِ بنتُ عَشرٍ ... لَها صَـــدرُ الغُـــلام عَلَـــى الغُلامـــة
ثَلَجتُ بظلمها وقَدات صدري ... يشـــبُّ لَظَـــى صَـــبابَته ضِـــرامة
أمُهديَةَ المَلامَةِ ما لِنفسي ... وحَســـرَتِها ومـــا لَـــكِ والمَلامَـــة
تُريدُ لِيَ العَواذِلُ غيرَ طَبعي ... فـــلا حُـــبٌّ لَهُـــنَّ ولا كرامـــة
عَلامَ وفيمَ أَمنَحُ خَيرَ عُمري ... أَضـــاليلَ المُـــنى سَـــفَهاً عَلامـــة
عَليكَ بأَحزمِ الآراء تسلم ... فكـــم رأي عواقبُـــهُ ندامـــة
ولا ترأم محلَّ الضَّيم واشمَخ ... بـــأنفٍ لا تُذَلِّلُـــه الخزامـــة
إلى المهدي (أحمدَ) ناقَلَت بي ... مراقـــي العـــدو تحسِـــبُها نَعامـــة
شَبيهُ سَمَيِّه خُلُقاً وخَلقاً ... وهَـــدياً في الطريـــقِ والاســـتقامة
حَقيقٌ أن تَحِنَّ الجِذعُ شوقاً ... إليـــه وأن تُظَلِّلَـــهُ الغمامـــة
وأَروَعُ يَغبِطُ البُرج المَذاكي ... عليـــه ويَحسَـــدُ التـــاجُ العِمامـــة
قَرَنتَ بأهل (قارن) يومَ سوءٍ ... أَزَحتَ بـــه الـــزعيم مـــن الزعامـــة

وما أبقَى حُسامُك من عُراهم ... ومـن سَـرَواهم إلا دعامـة
فقد باتت دماؤهم شراباً ... له ولُحُـومُهُم ظَلَّـت طعامـه
أَبعدَ شواهدِ التِّينِ يَعصي ... مـن الـثَّقَلَين مـأمومٌ إمامَـه
أتاكَ كَضفدع الغمرات قفزاً ... فقـامَ كَسَـمهريّ الخَـطِّ قامَـه
وما عُرفَ (المسيحُ) بغير هذا ... أمُعجِـزَةُ النبـوة في الإمامـة
وما انفردَ (ابن مَريَم) عنكِ إلا ... بـ(ـعازرَ) فهوَ قد أحيـا رمامَـة
خُذِ (الحمزات) بالألطاف ... جَناحَـكَ للقَرابـةِ والرحامـة
فهم عينٌ وأنتَ لها سَوادٌ ... وهُـم بَيـتٌ وأنـتَ لـهُ دعامـة
ولا تعجَل فَرُبَّ حَميَ أنف ... تُمَكُّـنُ – بعـدَ نَفرَتِـه – زِمامـه
فما استنتَجتَ رأيَهُمُ عقيماً ... ولا اسـتمطرتَ غـيمَهُمُ جِهامـة
ورُبَّتما غَزوت فكانَ منهم ... لجسمك فوقَ سـردِ الـلام لامَـه
فما من سيدٍ رَفَدُوهُ إلا ... حَمَـوهُ خَلفَهُـم ومَضَـوا أَمامـه
وناهز مُترفَ الأبوين واضرب ... خيامَكَ حَيثُ مـا ضَـرَبُوا خيامـه
فكم من هامةٍ للكفر وَدّت ... لمـا طـارَت عليـه تكُـونُ هامـة
وأعجَبُ أنهم هَمَدوا فقامت ... علـيهم قبـلَ مَـوتِهمُ القيامـة
وإلا فانضُ سيفَ الدين تَفعل ... بـ(صنعا) فِعلَ (خالدَ) بـ(اليمامـة)
فَلَم يَفتَح (أبو بكرٍ) ثُغُورَ الـ ... ـعدَى إلا بقتـلِ (أبي ثُمامَـة)
فما أنتم إلى قَوم أحلُّوا ... من المحظُـور مـا عَلِمـوا حَرامَـه
ولا قاضيكمُ (ابن أبي دؤاد) ... إلى قاضـيهمُ (ابـنِ أبي عُقامـة)
أميرَ المؤمنينَ إليك سِحراً ... كلامَ الشـعر لا يَحكـي كَلامـه
تُقيمُ على سَليفِ الدهر طوقاً ... ويَخلُدُ في جَـبين الشـمس شـامة
فرأيُكَ في وليّ أحوَذي ... لَـهُ مـن كُـلِّ ذي عِلـمٍ عَلامـة
أَحَبُّ إلى الأئمة من (حَبيب) ... وأبلَـغُ في البَلاغَـةِ مـن (قُدامَـة)

جُعلتُ فداكَ أن فَخَّمتَ قَدري ... علـــى أهـــل الرِّئاســـة والفَخامـــة
فقد ولّى النبيُّ على (قُريشٍ) ... وأمَّـــرَ دُونَ ســـادتِهم (أُســـامة) (١)

وقال أيضا من قصيدة:

مَن فاتَهُ نَظَرُ النبي بـــ(ـــيَثرب) ... فعليه بـــ(ـــالمهديِّ) في (ذيـبَين)
هذا ابنُ ذاك وفي أبيه وجده ... ما كان من (مُوســـى) إلى (هـــارون)
هَديٌ كهَدي المرسلين كأنه ... وَحيٌ عن الـــرحمن عـــن (جـــبرين)
وكأن (أحمد) (أحمدٌ) وكأنه ... بَينَ الســـيوفِ (علـــي) في (صـــفين)
خَلِّ البطالَةَ واعتَرِف من راحتَي ... كَفَّيه من (ســـيحون) أو (جَيحُـــون)
وردِ الحَياةَ إلى المَمات مخيَّرا ... من غيـــثِ داجيـــةٍ وليـــثِ عَـــرين
نَعَشَ (المسيح) بِضَبعهُ لعنايةٍ ... ســـبقت فأخَّرهـــا القضـــاءُ لحـــين
وأرى الإمامة بالنبوة أصبحت ... مقرونـــةً كالحاجـــب المقـــرون
يَهنَى (بَني الحسن المثنى) أنهم ... قد عُوِّضُوا المَحقُوقَ بالمَظنُون
رَجَعَت خلافَتُهُم إليهم بَعدَما ... ألقى (الأمينُ) بها إلى (المأمون)
مُللكٌ تَقَمَّصَه (ابن هند) وانثَنَى ... بعد (ابن هند) في (بَني مَيسون)
وَغَدَت (بنوا العباس) تزعمُ مَيلَه ... بـــ(ـــالفتح) و(الفضلَين) و(الإفشين)
خَلَعُوهُمُ بالطالِع المَسعُودِ من ... مَهديِّهم والطائِر الميمون
وتَمَكَّنُوا في أمرِهِم بمُمَكِّنٍ ... في المُعجزات نهايةَ التَّمكين
بأغرَّ أغلبَ هاشمي قائم ... في الله بالمفروض والمسنون
أيَّدتَ عُميَ الشرق حينَ رَدَدتَهُم ... حُورَ العيونِ بآيةِ التبيين
زَمنٌ يدُبُّ بأربَع فأعدَتَه ... مثلَ القناة وكان كالعُرجُون
فَعَجبتُ من نونٍ يُقوِّمُ حظها ... ألِفٌ ومن ألِفٍ أُعيضَ بِنُون

---

(١) ديوان ابن هتيمل ٢/٩٠٦ — ٩١٠ .

ومنَ الكرامة أنْ غدا من فوره يَمشي إلى (دَماج) من (نِسرين)
إن النِّكاح إذا تَمنَّى عاجزٌ أُمنيَّةٌ إمْنيَّةُ العنين
خُذ في علاجِ أولي النّهَى بفَظاظَةٍ في رَحمَةٍ وبِقَسوَةٍ في لين
فلقَلَّ ما اعتَدَلَ القنا ما لَم يَكُن تَثقيفُهُ بالنار والتَّسخين
واشدُد قُواكَ بـ(آلِ حَمزَةَ) بالشمس طالعةٌ على الشّاهين
واضرِب بـ(عزِّ الدين) جَبهَةَ وَجُدُودِهِ واضرب بـ(شمسِ الدين)
فابعث جيادَكَ تَغزُ من (مصرٍ) إلى (حَلَبٍ) إلى (حَضَنٍ) إلى (جَيرُون)
فعلى (العراق) وأهله بك هَبوَةٌ لَحِقَت مَعَرَّتُها بـ(صينِ الصين)
اسمَع حَلالَ السِّحر من مُتصَرِّفٍ فيه بِدَرَّةٍ تَديه المَلبُون
لَفَظَ المطامع صائما عن غَثِّها حتى يَرَى إفطارَه بِسَمين
واضمُم يَدَيكَ على الثناء مُميزاً تَموزَ ذا الوَقَداتِ من كانون (١)

وقال أيضا:

فَحَطَّت بِشمسٍ دُونَها الشمسُ رُتبةً فتىً قَمَرٌ من دُونه القَمَران
مُدبِّرُ مُلكٍ لو تُمالُ قناته إلى غيره أضحَت بغير سِنان
وحائطُ ثَغرٍ ما يزالُ يَحُوطُه بيَوم طَعامٍ أو بيوم طِعان
وأروعُ يُلقَى البَيتُ غيرَ مُضَوَّجٍ لديه ويُلقَى الماءُ غيرَ دفان
تَحمَّلَ ثِقلاً لا يقومُ بِعُشرِه ولا العُشرُ من مِعشارِه الثقلان
هو الناسُ كُلٌّ فاغِنَ منه بِظِلِّه وخَلِّ فُلانا عنك وابن فلان
فوالله ما جارُ (السَّمَوءَلِ) جارَه عُلواً وجارُ (الأسوَدِ بن قنان)
أرائِمَ مَرقَى (أحمدٍ) ومَحَلَّه تَبلتَ فقد زَلَّت بك القدمان (٢)

(١) ديوان ابن هتيمل ٢/ ١٠١٧ — ١٠١٩ .
(٢) ديوان ابن هتيمل ١٠٣٢/٢ — ١٠٣٣ .

وقال أيضا من قصيدة:

يَهنَى الخلافَةَ أن الله عَوَّضها بـــ(أحمدَ بن الحسين) الزَّينَ بالشَّين
كانت تَحِنُّ إليه وهي مُحضَرَةٌ معضُولَةٌ عن نكاح الصِّدق بالمَين
أحيا القُلُوب وقد متنَ القلوبُ وقد رانَ الضلالُ عليها أيَّما رَين
ساسَ الأمورَ بلين في فظاظته فاعجَب لشدَّةِ فَظٍّ هيِّنٍ لَين
أغَرَّ يَفني الأعادي كُلَّ يوم وغَىً منه ومن سيفه الماضي بسَيفَين
لا يَرحَمُ النَّفسَ من أين ومن تَعبٍ ولا يُريحُ مذاكيه من الأَين
يا حُجَةَ الله والشمسَ التي طَلَعَت على البَريَّة من مُسوَدَّة العين [1]

وبكاه أخيراً في رثائية بكائية صادقة اللوعة ، شديدة الأسى ، هو والأمير أحمدبن الإمام عبد الله بن حمزة ، والأمير أحمد بن علي الكناني ، قال فيها:

لا الدَّمعُ يُنصفُ إن بَكَيتُ ولا الدمُ الرُّزءُ عن جَزَعي أَجَلُّ وأعظم
والأمرُ أكبَرُ أن يَهون لأجله جَيبٌ يُشَقُّ له وخدٌ يُلطم
ما الحُزن من شيء وما تجري به منّا الشُّؤون وما يَفُوه به الفم
هي حَسرةٌ لم يَلقَها متأخرٌ ممَّن عَلِمتُ به ولا مُتقدم
ومُصيبةٌ مَحَتِ السماحةَ فاستوت فيها البيوتُ فَصيحُها والأعجم
ما أغدرَ الإخوان يَضحكُ حَيُّهم عَجباً ويَشرَبُ للحياة ويَطعم
الموتُ أجملُ بالوفاء فلا تَمِل رأياً عن الرأي الذي هو أحزم
وإذا المُعمَّرُ عاش غير محمد حَسنَ البَشاشَة مات وهو مُذَمَّم
أُف على الدنيا فإن نعيمها بُؤسٌ وإن بناءَها مُتهدم
طَحَنَت (قريشَ الأبطحين) ولَم من (جُرهُم) أحداً فأودَت (جُرهُمُ)
وتَشَبَّثَت ببني (النبي) فعُطلت منها (المُحَصَّبُ) و(الحَطيمُ) و(زمزم)

---

(١) ديوان ابن هتيمل ٢/ ١٠٢١ .

قد كنتُ أُشفقُ مِن تَعَجُّلَ مَأتَمٍ فَردٍ فَعُجِّلَ مأتمان ومأتمُ
عَظُمَ المصاب بـ(أحمدٍ) وبـ(أحمدٍ) وهُمُ الذينَ هُمُ هُمُ
إن الأحامدَة الثلاثة قادَهُم رَسَن المنيَّة والقضاء المُبرم
ودعائم الإسلام طحطحها الرّدى فبأيِّ قاعدةٍ يُشادُ ويُدعم
بـ(الحقلِ) لي شَجَنٌ ولي شَجَنٌ بـ(حِلْيِ) مُشئمُ
حَدَثان بينَ المشرقين وثالثٌ لَهُما بمُنحرف الشمال مُخيّمُ
ومصارعٌ حَكَمَ المَنونُ بكونها سيّانَ فيها مُنجدان ومُتهِم
أسدٌ قضى نحباً وأُتبع رُزأهُ سِمعٌ أَزَلُّ وأُفعُوانٌ أرقم
هذا لنا بَدرٌ أَتَمُّ وذا لنا جَبَلٌ أَشَمُّ وذاك بَحرٌ خِضرَمُ
مُتَشابِهون أصالَةً وبَسالةً فكأنّما هذا لهذا تَوأَمُ
ما رُوحُ ذا أو رُوحُ ذا أو روحُ ذا إلا بِذا وبِذا وذا تَتَجسَّم
من أينَ للأرضِ القرارُ وقد خَلى منها (شمامُ) و(يَذبُلٌ) و(يَلَملَمُ) [1]

(١) ديوان ابن هتيمل ٢/ ٨٦٨ – ٨٧٠ .

خلل دستوري في نظرية الإمامة الزيدية

لأنه لا يوجد نص دستوري في المذهب الزيدي ينظم عملية انتقال السلطة من شخص لآخر ، دون شيوع الخلاف الذي يؤدي عادة إلى سفك الدماء والفتن وتمديد مبدأ النظرية عموما ، كان التاريخ الزيدي مليئا بالمآسي والأحداث الدامية والخراب والدمار .

لأنه كما أسلفنا لا يوجد نص دستوري ينظم العملية ، بل تُرك الأمر هملا ، مما فتح الباب أمام الطامعين والطامحين والانتهازيين مفتوحا على مصراعيه . فكل من وجد في نفسه قدرة للإستيلاء على كرسي السلطة تقدم إليه ، ولو لم يكن يملك من شروط الإمامة إلا الذكورة والانتساب إلى علي وفاطمة عليهما السلام . أو كان يرى أنه الأفضل والأكمل من الإمام الذي سبقه ، وإن كان السابق له على أكمل وجه بالنسبة لشروط النظرية الهادوية في الحكم .

وأستميح القارئ الكريم العذر في العودة إلى كتب التاريخ لأضرب أمثلة على هذه الدعوى .

١ــ الإمام الهادي

عندما ذهب إلى آمل بطبرستان ، وهي تحت حكم الداعي الزيدي محمد بن زيد ، وكان في جماعة منهم أبوه وبعض عمومته وأصحابه ، حيث كانوا يجلُّونه ويعظمونه بما لم يبلغ تعظيم بشر لإنسان ، بحيث أنهم لم يكونوا يخاطبونه إلا بـ(الإمام) على حد تعبير أبي طالب في الإفادة ، وعلا صِيتُه فأقبل الناس عليه وازدحموا حتى خاف الداعي محمد بن زيد

على سلطانه ، فأمر وزيره الحسن بن هشام أن يكتب للهادي بأن مـــا يجري يوحش ابن عمك !!

فقال: ما جئنا ننازعكم أمركم ، ولكن ذكر لنا أن لنا في هذه البلـــدة شيعة وأهلا ، فقلنا عسى الله أن يفيدهم منا . وخرجوا مسرعين وثيابهم عند القصار وخفافهم عند الأسكاف ما استرجعوها [١] !!

فأنت ترى هذا الجلال للهادي عليه السلام ، وحرصه على نفع الأمة ، ومع هذا يظن به الداعي أنه ما جاء إلا لينازعه سلطانه !!

٢- الإمام الناصر الأطروش

كان الداعي الحسن بن القاسم قائد جيشه ووزيره المفوض ، فلما فـــتح الناصر آمل ولى ولده أبا القاسم على منطقة هنالك ، فأثار ذلك حنـــق الداعي الذي كان طامعا فيها ، ومما زاد الطين بلة أن الناصر ولى ولـــده قيادة الجيش الفاتح لآمل فشب الخلاف واحتدم الصراع ، والذي أدى أخيرا إلى أن ألقى الداعي القبض على الإمام الأطروش وإيداعه في سجن قلعة اللازر ، مما أثار حفيظة العلماء والقادة وسائر الناس ، وكادت أن تقع الفتنة [٢] .

٣- صراع أحفاد الهادي

لم تلبث الدولة التي أسسها الإمام الهادي أن اندثرت على إثر صراع دامٍ تفجَّر بين القاسم بن الناصر الذي تلقب بالمختار لدين الله ، وأخيه يحيى بن الناصر الذي

---

(١) الإفادة /١٣٤ – ١٣٥ .

(٢) الإفادة /١٦١ – ١٦٣ .

تلقب بالمنصور بالله . وانقسمت القبائل بين مؤيد لهذا أو ذاك من طرفي الصراع على الإمامة ، ذلك الصراع الذي انتهى بدمار صعدة وخرابها [١] .

٤- الإمام القاسم العياني

وهكذا لم يعد للإمامة الزيدية مكانة تستحق الذكر ، إلى أن جاءت محاولة أخرى تستحق التوقف عندها ، بمجيء الإمام القاسم العياني سنة (٣٨٩ هـ) ، وكان قبله الداعي يوسف بن المنصور يحيى بن الناصر بن الهادي قد قام ببعض المناوشات المحدودة ، إلا أنه اصطدم بالزعامات القبلية ، وعلى الأخص قيس بن الضحاك اليعفري ، ولما توجه العياني إلى الشمال ما كاد يصل إلى نجران حتى تمردت عليه صعدة ، بتحريض من آل الهادي الذين لم يستطيعوا تقبل هذا المنافس الجديد على ما يعدونه ميراثهم . وتَزَعَّم هذا التمرد الداعي يوسف ، لكن العياني جمع ما استطاع من القبائل وسار بهم إلى صعدة وأخرب دربها وأخرج الداعي منها وولى عليها ابنه جعفر بن القاسم .

وكذلك تمرد على الإمام القاسم العياني الحسين بن القاسم الزيدي الذي قدم إليه من الطائف فأكرمه وولاه قيادة جيشه وفوض إليه أموره ، فأسر ولده جعفر واليه على صنعاء واستولى على صنعاء ، ولم يطلق جعفر بن الإمام القاسم العياني إلا بعد موافقة الإمام على توليته ولاية عامة من جبل عجيب في وسط بلاد همدان حتى ذمار جنوبا بما في ذلك صنعاء ، وأعلن ولاءه للداعي يوسف ، وعندها اضطر الإمام العياني للتخلي عن الإمامة ، واستقر في عيان حتى مات .

وللإطلاع على تفاصيل الأحداث يمكن الرجوع إلى غاية الأماني ١/ ٢٣٣ ، وكتاب سيرته ، ومقدمة مجموع كتبه ورسائله بتحقيقنا .

---

(١) مآثر الأبرا للزحيف /١٧٣ .

٥- الإمام الحسين بن القاسم العياني

بويع الإمام الحسين بن القاسم وهو حدث السن بعد وفاة أبيه ، فعارضه ابن خصم أبيه محمد بن الحسين بن القاسم الزيدي ، فبعد أن أرسل الحسين العياني أخاه جعفرا لتولي صنعاء ، وظلت المناوشات بينه وبين آل الضحاك قائمة ، حاول محمد بن الحسين الزيدي استعادة ما كان تحت نفوذ والده ، فدخل صنعاء وأخرج جعفر منها وأخرب بعض دورها ، مما اضطر الإمام الحسين العياني إلى تولي قيادة المعركة بنفسه ، ووصل في جمع من القبائل وحارب الزيدي حتى قتله . وعاد فاتجه نحو صعدة واستولى عليها وحارب آل الهادي وأخرب بعض دورهم . ودخل في معارك مع آل الضحاك انتهت بمقتله [١] .

وعانت البلاد اليمنية كلُّها من فوضى ضخمة في النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، لسقوط الدويلات القوية بالتهائم وأعماق الجنوب ، واستشراء الفوضى القبلية في الشمال .

يقول المؤرخ يحيى بن الحسين: « من سنة (٤٠٥ إلى سنة ٤٤٨ هـ) عمَّ الخَرابُ صنعاء وغيرها من بلاد اليمن لكثرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع الكلمة الواحدة . . . وأظلم اليمن وكثُر خرابُهُ وفسدت أحواله . . . وكانت صنعاء وأعمالها كالحرقة ، لها في كل سنة أو شهر سلطانٌ غالبٌ عليها ، حتى ضعُف أهلُها وانتقلوا إلى كل ناحية . وتوالى عليها الخراب وقلّت العمارة في هذه المدة حتى أصبح عددُ دُورها ألف دار بعد أن كانت مائة ألف

---

(١) مآثر الأبرار للزحيف /١٩٤ ، وغاية الأماني ١/٢٤٠ .

دار في عهد الرشيد . . . إلا أن صنعاء تراجعت بعض التراجع في زمن الصليحيين لما اجتمع لهم مُلك اليمن »[١] .

٦- الإمام أحمد بن سليمان

بعد عمر حافل بالأحداث الجسام ، وصراع محتدم مع الباطنية والزعامات المتنافسة على السلطة ، أراد الإمام المتوكل أحمد بن سليمان القضاء على مهازل الأشراف من أحفاد الإمام القاسم العياني في بعض نواحي وادعة والأهنوم ، ونشبت الحرب بينه وبينهم ، وحدث أثناء ذلك أن خرج في نفر قليل من عساكره فترصده القاسميون بقيادة الأمير فليتة بن قاسم القاسمي ، ووثبوا عليه فأسروه وسجنوه في مصنعة أثافت بالقرب من مدينة (خَمِر) ، ومن المفارقات العجيبة التي تثير العبرة أن نبأ أسره وسجنه ما كاد ينتشر حتى فزع الناس لذلك « وغضبت همدان عاصيها ومطيعها حتى قرامطتها لحبسه ، وأنفوا أشد الأنفة ونزلوا على الأمير فليتة القاسمي — الذي سجنه — متشفعين في أمره وقصدوه بشعر يقولون فيه:

نحن بني هاشم لكم خدمُ بحبلكم نلتوي ونلتزمُ
أنتم لنا كعبة نلوذ بها وسوحكم في جهاتها حرم
فلا تردّ الوجوه عابسةً عنك وقد قابلتك تبتَسمُ

فنزل إليهم فليتة ، فأقسموا لا برح حتى يخرج الإمام عليه السلام فأخرجه على كره منه »[٢] .

أما المؤرخ يحيى بن الحسين فيقول: إنه بعد أن أسره الأشراف « سار أولاد الإمام إلى السلطان علي بن حاتم يستنجدونه على الأشراف فكتب إليهم في إطلاق

---

(١) أنباء الزمن ١/ ١٤٦ — ١٤٧ ، وقارن بغاية الأماني ١/ ٢٤٠ .

(٢) الحدائق الوردية ٢/ ١٣٢ .

الإمام فأطلقه وسار الإمام إلى « حوث » فأقام فيه مدة ، ويقال: إنه وافق السلطان علي بن حاتم في « كوكبان » وشكر له ما أسداه إليه من السعي في تخليصه من أيدي الأشراف »[1] .

وإنه لمن سخرية الزمن وتصرفاته للغريبة أن تكون نهاية هذا الإمام « الزيدي » على أيدي أحفاد « إمام زيدي » ! وليس ذلك فحسب بل وأن يستنجد أولاد الإمام بالسلطان علي بن حاتم خصم أبيهم وابن خصمه ، وأن تغضب « همدان » وحتى قرامطتها الذين أفنى عمره في محاربتهم لحبسه ، ويقصدون سجّانه الشريف متشفعين بشعر حزين ! وإنه لمثلٌ بشعٌ تخزى له وجوه الطامعين .

ولا شك أن الإمام قد لسعه الأسى ، وكوى قلبه الحزن حتى أصابه العمى ، ولم تطل مدته فقد قضى نحبه في شهر ربيع الآخر سنة (٥٦٦ هـ) عن ست وستين سنة .

٧- الإمام عبد الله بن حمزة

تصدى لدعوى الإمام عبد الله بن حمزة ثلاثة من أحفاد الأئمة الذين سبقوه ، أولهم: الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان ، وكان أشد الناس مناوأة له ، وكان قد تملّك صعدة بعد وفاة أبيه ، وكان كما وصفه ابن أبي الرجال: « كان فارسا بطلا » ، وكما وصفه مؤلف سيرة الإمام عبد الله بن حمزة علي بن نشوان الحميري: « كان أميرا عظيما جريئا فارسا شجاعا مجابا مطاوَعا ، قد فتح المدن الكبار ، وناصب العجم وحاربهم بناحية الحقل ، وجيش إلى صعدة في حربهم الجيوش ، وعسكر العساكر ، وجند الجنود ، وبند البنود ، وكان له جرأة في

---

(١) غاية الأماني ٣١٨/١ .

الحرب ، وحذق ودهاء ، وارتكاب للهول العظيم ، وكان له هيبة في قلوب العامة »[١] .

ولما دعا الإمام عبد الله بن حمزة ، لم يلب دعوته وخرج إلى الملك المسعود والي السلطان الأيوبي فرحب به ، ونشر الدعوة للغز وصار يستحلف الناس للملك المعز إسماعيل بن طغتكين ، ولقب نفسه بالمعتز بالله ، وكتب إلى الإمام عبد الله بن حمزة كتابا ، وضمنه السب الفظيع ، ودعاه بمسيلمة الكذاب ، ثم تجهز لقتاله والتقى الجيشان في الجنات ، فانتصر جيش الإمام وقُتِلَ عسكر الأمير يحيى بن أحمد بن سليمان ، وأُسر الأمير يحيى وجيء به إلى الإمام فقيده ووكل به من يحفظه ، فعمل الأمير على وضع البنج في طعام الحرس للتخلص من السجن ، إلا أن أحدهم عرف الحيلة فلم يأكل ، وأبلغ الإمام . ثم قُتِل غيلة ، وقيل: حنقا بالعمائم[٢] .

الثاني من المناوئين: السيد علي بن يحيى بن الحسين من آل الهادي ، فقد خرج سنة (٥٩٦ هـ) مباينا للإمام والتحق بالمعز إسماعيل ، وهو في كوكبان ، وكفل له أخذ بلاد الشام ، وجهزه المعز وأعانه ، وحدثت مناوشات وفتن[٣] .

الثالث من المناوئين ، يقول المؤرخ زبارة في أحداث سنة (٥٩٧ هـ): « وفيها استقر الإمام في براقش بالجوف ، وصنف شرحة على الأربعين الحديث السيلقية ، ووصل إليه جماعة من الأشراف القاسميين يشكون من ولاية ابن جعفر بن القاسم العياني على بني عبد وظليمة وحجور ، فعزله الإمام عن ولايتها فغضب

---

(١) مطلع البدور ١/٣٥٩ .

(٢) مآثر الأبرا /٢٤٩ ، وغاية الأماني ١/ ٣٤٩ – ٣٥٠ ، وأئمة اليمن لزبارة ١/ ١١٩ ، والسمط الغالي الثمن / ٦٧ – ٦٨ ، والتحف شرح الزلف / ١٠١ ، الطبعة الأولى .

(٣) أئمة اليمن لزبارة ١/ ١٢١ ، ٣٥٣ .

. وكتب إلى الشهاب الجزري ثم سار إليه ، وحسَّن له أخذ مواضع من بلاد الإمام [١] .

٨- أما أحمد بن الحسين فراجع ما سبق .

٩- الإمام يحيى بن حمزة

والذي عارضه جماعة من معاصريه .

قال المؤرخ يحيى بن الحسين معيدا دعوة الإمام إلى أحداث عام (٧٣٠ هـ): « وفيها كان قيام أربعة أئمة من أئمة العترة الزكية عليهم السلام ، وهم: علي بن صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين ، والإمام الأعظم المؤيد بالله يحيى بن حمزة ، والواثق بالله المطهر بن الإمام محمد بن المطهر بن يحيى ، وأحمد بن علي بن أبي الفتح » [٢] .

١٠- وكذلك الإمام أحمد بن يحيى المرتضى الذي أسره معارضه علي بن الإمام الناصر صلاح الدين وهو ابن خاله ، وظل في سجنه سبع سنوات ، وبعد استعطاف وتلطف أطلق سراحه .

١١- وكذلك الإمام شرف الدين وولده المطهر اللذان تصاولا وتجاولا فترة من الزمن .

١٢- وكذلك المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان لما دعا عقيب موت علي بن صلاح ، تعارض هو وصلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم ، وعارضهما الناصر وهو أصغر منهما سنا وأقل علما ، لكنه أقبلت له الأيام . وأسرهما الناصر ثم خنق صلاح بن أبي القاسم ، وأما المطهر فإنه تخلص من السجن

---

(١) أئمة اليمن لزبارة ١/ ١٢٢ .

(٢) غاية الأماني ٢/ ٥١١ .

، وأخذ يعد العدة للانقضاض على خصمه ، وفسخ زوجة الناصر الشريفة بدرة بنت محمد بن علي بن صلاح حال غياب الناصر في صنعاء بحجة أن شهود عقد الناصر مجروحوا العدالة لأنهم بغاة عليه ، حتى إذا انقضت عدتها تزوجها المطهر [١] !!! وهذا الأمر ذو شجون !!

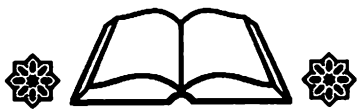

(١) مآثر الأبرار للزحيف / ٣٧٤ – ٣٤٥ .

صور المخطوطات

الصفحة الأولى من حليفة القرآن

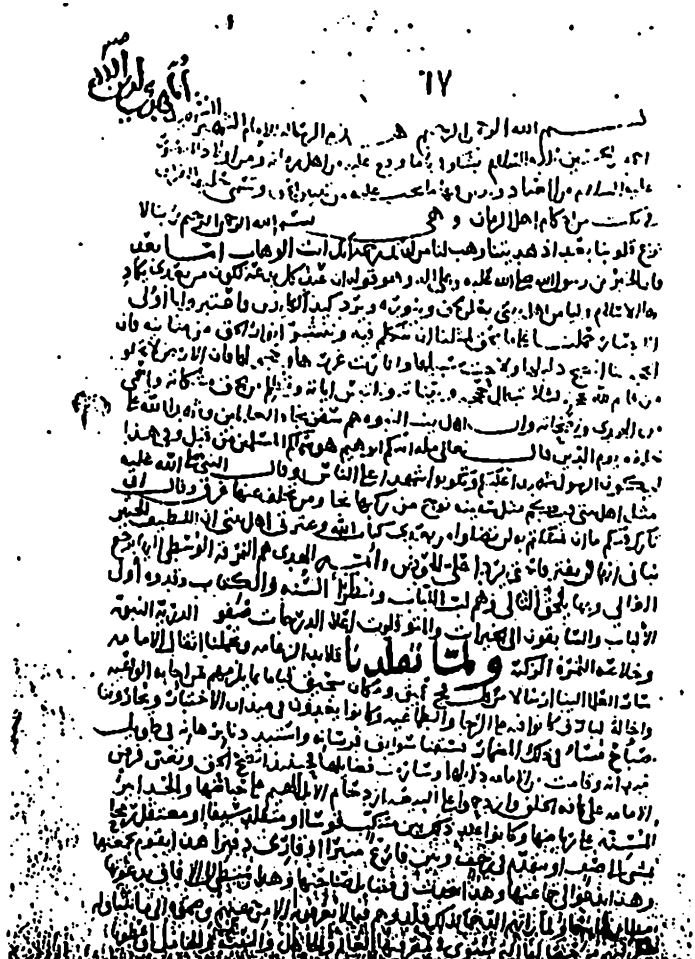

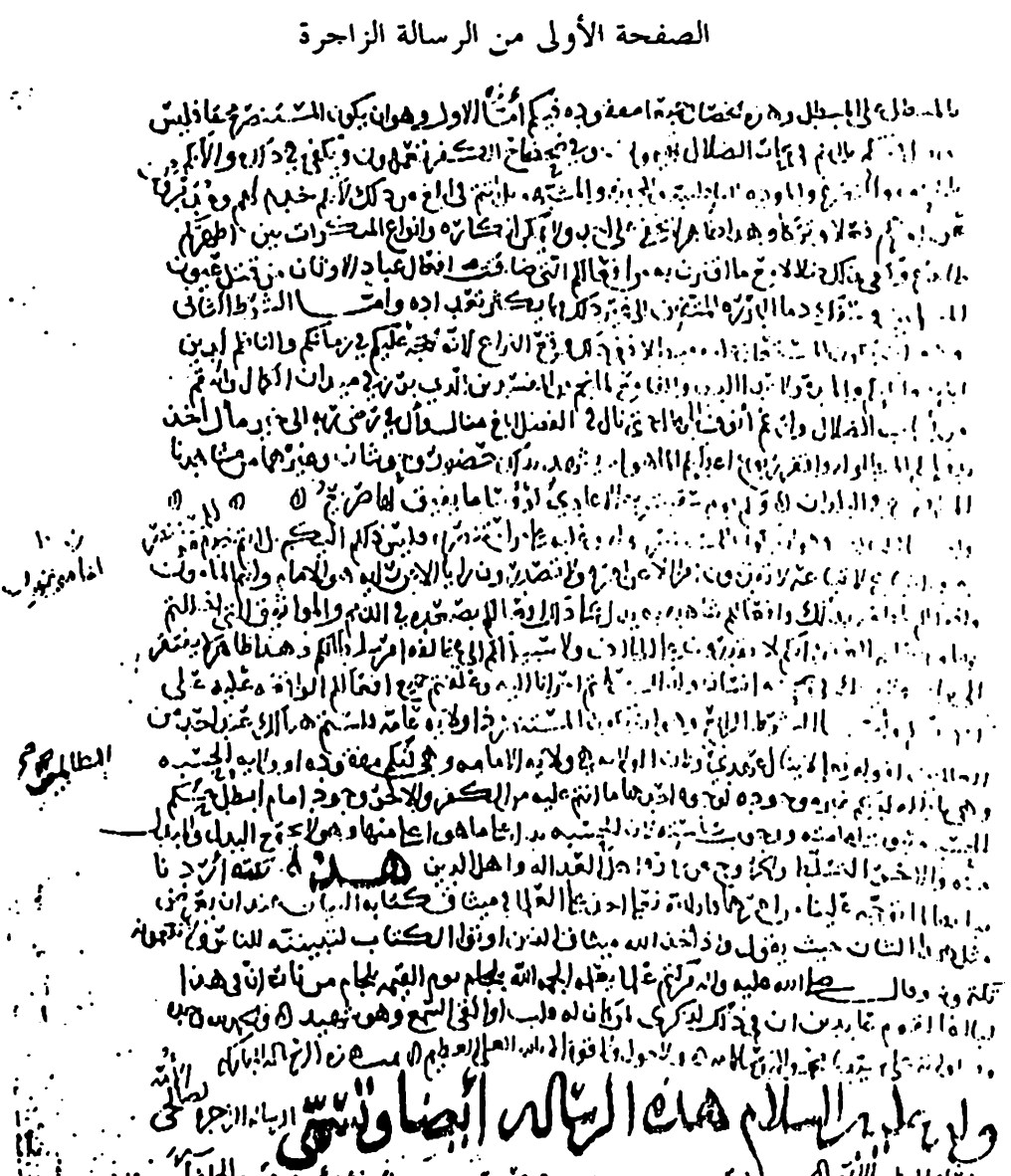

الصفحة الأولى من الرسالة الزاجرة

الصفحة الأولى من جواب الامام على الشيخ عطية النجراني

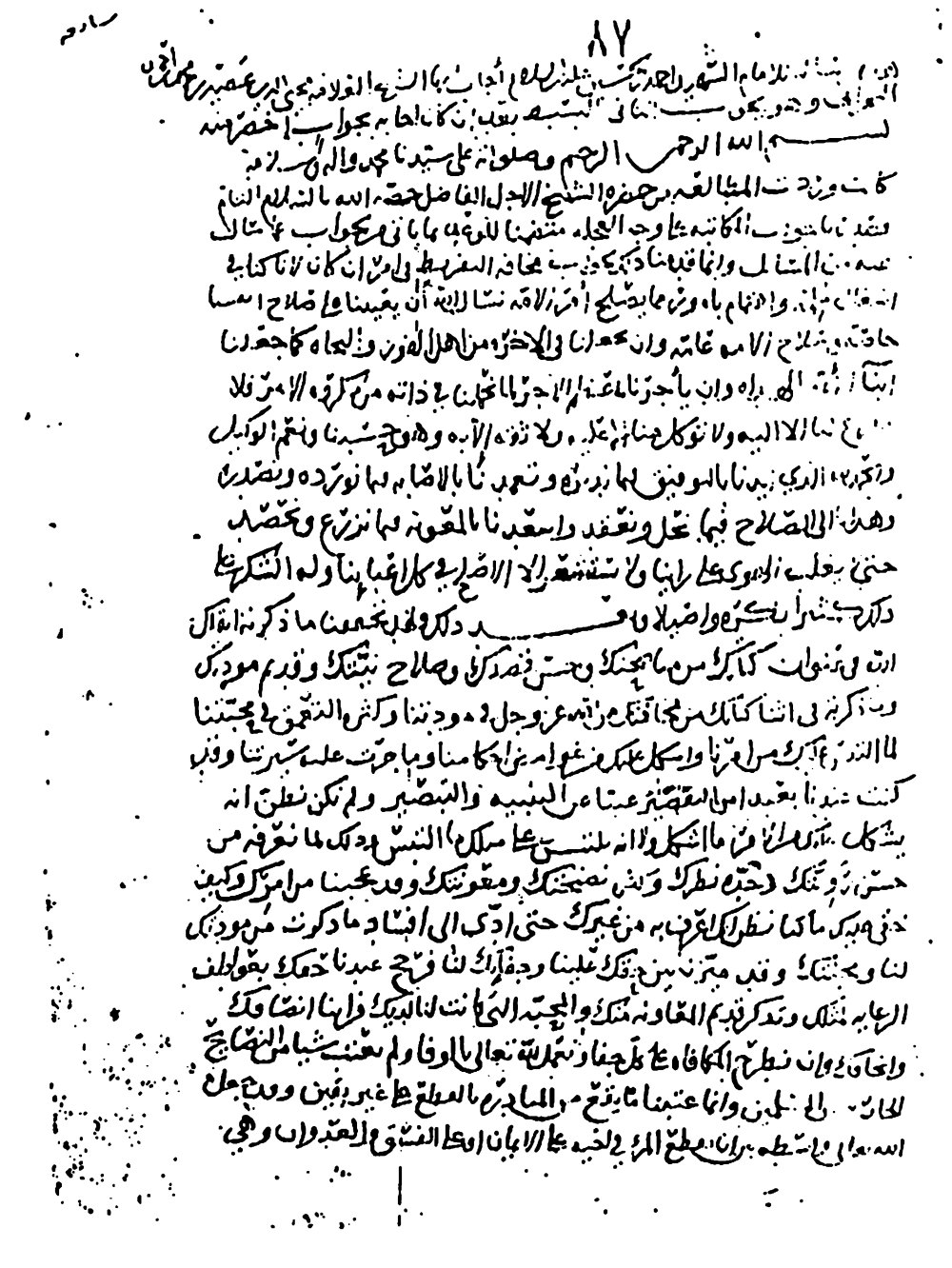

سائلا الله تعالى أن يتقبل ، إنه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين .

عبد الكريم أحمد جدبان

اليمن – صعدة ٣ / جمادى الأولى / ١٤٢٣هـ

الموافق ١٢ / ٧ / ٢٠٠٢م

مجموع كتب ورسائل

الإمام الشهيد المهدي أحمد بن الحسين

حليفة القرآن
في نكت من أحكام أهل الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) ﴾ [آل عمران] .

أما بعد:

فإن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو وقوله: « إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإسلام وليا من أهل بيتي ، يعلن الحق وينوره ، ويرد كيد الكايدين ، فاعتبروا يا أولي الأبصار »[١] ، حملنا على ما يحق لمثلنا أن نتكلم فيه ، وننشر أنوار الحق من مثانيه ، فإن الحجة بنا اتضح دليلها ، ولاحت سبيلها ، وأنارت غررها وحجولها ، فإن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة ، لئلا تبطل حججه وبيناته ، وتلتبس آياته ، وتظلم من الحق مشكاته ، ويعمى من الهدى واضحاته ، وإن أهل بيت النبوة هم سفن نجاة العالمين ، وشهداء الله على خلقه يوم الدين ، قال تعالى:﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨) ﴾ [الحج] . وقال النبي صلى الله عليه: « مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق »[٢]

---

(١) أمالي أبي طالب /٩٢، والكافي للكليني ١/٥٤، وبحار الأنوار ٢/٣١٥، والمحاسن للبرقي ١/٢٠٨.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٢/٣٧٣(٣٣١٢، ٣/١٦٤(٤٧٢٠)، والطبراني في معجمه الكبير ٣/٤٥(٢٦٣٦)، ٣/٤٦(٢٦٣٧)، ومعجمه الصغير ١/٢٤٠(٣٩١)، والقضاعي في مسند الشهاب ٢/٢٧٣(١٣٤٢)، وابن حنبل في فضائل الصحابة ٢/٧٨٦(١٤٠٢)، وابن المغازلي في

. وقال: « إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي: كتـــاب الله وعترتي أهل بيتي ، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يـــردا علـــي الحوض »[1] .

المناقب /١٠٠، ١٠١ من خمس طرق، والخطيب في تاريخه ١٢/ ٩١ ، والمرشد بالله في الأمالي ١/ ١٥٦،١٥٤،١٥١، وأبو نعيم في الحلية ٣٠٦/٤ ، وابن حجر في الصواعق المحرقة/١٥٢، وفي كنز العمال ١٣/ ٨٥ قال: أخرجه ابن ريز، عن أبي ذر، والطبري في الذخائر/١٢، وأبـــو طالـــب في الأمالي/١٧٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٧٧/١٢، وابن عدي في الكامل٧١٩/٢ـ٧٢٠ في ترجمة الحسن بن أبي جعفر، ١٤١٥/٤، ٢٤٠٦/٦، وهو في كشف الأستار عن زوائد البـــزار٢٢٢/٣، والإمام الهادي في الأحكام ٥٥٥/٢، والإمام الرضا في الصحيفة/ ٤٦٠.

(١) هذا الحديث ورد بألفاظ متفاوتة فممن أخرجه وفيه لفظ (وعترتي) الإمام زيد بن علي في المسند/١٠٤، والإمام الرضى في الصحيفة/٤٦٤، ، والحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقبه المطبوعة/١٦٧ رقم (٦٤٦) ، والإمام أبو طالب في الأمالي ١٧٩، والمرشد بالله في الأمالي/١٥٢، والدولابي في الذرية الطاهرة/١٦٦ رقم (٢٢٨) والبزار ٨٩/٣ رقم (٨٦٤) عن علي.

وأخرجه مسلم ١٥/(بشرح النووي) ١٩٩، والترمذي ٦٢٢/٥ رقم(٣٧٨٨)، وابن خزيمة ٦٢/٤ رقم (٢٣٥٧)، والطحاوي في مشكل الآثار ٣٦٨/٤ ــ ٣٦٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٤١٨/٧، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦٩/٥ (تهذيبه)، والطبري في ذخائر العقبى ١٦، البيهقي في السنن الكبرى ٣٠/٧، والطبراني في الكبير ١٦٦/٥ رقم (٤١٦٩)، والنسائي في الخصائص ١٥٠رقم (٢٧٦)، والدارمي ٤٣١/٢، وابن المغازلي في المناقب ٢٣٤، ٢٣٦، وأحمد في المسند ٣٦٧/٤، وابن الأثير في أسد الغابة ١٢/٢، والحاكم في المستدرك ١٤٨/٣، وصححه وأقره الذهبي عن زيد بن أرقم.

وأخرجه عبد بن حميد ١٠٧ ــ ١٠٨(المنتخب)، وأحمد ١٨٢/٥و ١٨٩، والطبراني في الكبير ١٦٦/٥، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ١٥٧ رقم (٢٦٣١)، ورمز له بالتحسين، وهو في كنز العمال ١٨٦/١ رقم (٩٤٥)، وعزاه إلى ابن حميد وابن الأنباري عن زيد بن ثابت وأخرجه أبو يعلى في المسند ١٩٧/٢و ٣٧٦، وابن أبي شيبة في المصنف ١٧٧/٧، والطبراني في الصغير١٣١/١و ١٣٥و ٢٢٦، وأحمد في المسند ١٧/٢، ٢٦/٦، وهو في كنز العمال ١٨٥/١

رقم (٩٤٣)، وعزاه إلى البارودي ورقم (٩٤٤)، وعزاه إلى ابنه أبي شيبة، وابن سعد، وأبي يعلى. عن أبي سعيد الخدري.

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ٤٤٢/٨، وهو في الكنز ١٦٨/١، وعزاه إلى الطبراني في الكبير عن حذيفة بن أسيد.

وأخرجه الترمذي في السنن ٦٢١/٥ رقم (٣٧٨٦)، وذكره في كنز العمال ١١٧/١، رقم (٩٥١)، وعزاه إلى ابنه أبي شيبة، والخطيب في المتفق والمفترق عن جابر بن عبد الله. والكنجي في كفاية الطالب ١١، وابن سعد في الطبقات ٨/٤، ورواه في العقد الفريد ٩٥٨/٢، و٣٤٦. وفي تذكرة الخواص/٣٣٢ن ورواه نور الدين الحلبي في إنسان العيون ٣٠٨/٣، والعزيزي في السراج المنير شرح الجامع الصغير ٣٢١/١، وابن الصباغ في الفصول المهمة/٢٤ن وشهاب الدين الخفاجي في نسيج الرياض ٤١٠/٣، والثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير آية الاعتصام، وآية (أيها الثقلان). والرازي في تفسير آية الاعتصام ١٨/٣ وهو في تفسير النظام النيسابوري ٢٥٧/١، ٩٤/٤، وفي تفسير ابن كثير الدمشقي ٤٨٥/٣، و ١١٣/٤، ورواه في البداية والنهاية في ضمن حديث الغدير وابن الأثير في النهاية الجزء الأول، والسيوطي في الدر المنثور/١٥٥، وذكره في لسان العرب في مادة عترة ومادة ثقل وحبل، والشيرازي في القاموس في مادة ثقل، والزبيدي في تاج العروس في مادة ثقل أيضا. وشرح نهج البلاغة ١٣٠/٦ في معنى العترة، ومدارج النبوة لعبد الحق الدهلوي/٢٥٠، والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي الكشفي/٩٦، ٩٧، ١٠٠، ٤٧٢، ومفتاح كنوز السنة ٤٤٨/٢، ومصابيح السنة للبغوي ٢٠٥/٢، ٢٠٦. والصواعق المحرقة/٧٥، ٨٧، ٩٠، ٩٦، ١٣٦، وإسعاف الراغبين في هامش نور الأبصار/١١٠. وينابيع المودة/١٨، ٢٥.

(١) أخرجه الترمذي ٣٠٦/٢ عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه أحمد (٣/٣، ٦٢، ٨٢)، وأبو نعيم في الحلية ٧١/٥، والبغدادي في تاريخه (٢٣١/٩، ٢٣٢) وفي ٩٠/١٠، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٣٠٢/٣ في ترجمة زياد بن جبير، وسويد بن سعيد ٢٣٩/٤، والنسائي في الخصائص/٢٥٥(١٤٠) و (١٤١).

وأخرجه الترمذي ٣٠٧/٢ أيضا عن حذيفة، وأحمد بن حنبل ٣٩١/٥، وأبو نعيم في الحلية ١٩٠/٤، وابن الأثير في أسد الغابة ٥٧٤/٥، والمتقي في كنز العمال ٢١٧/٦، وقال: أخرجه الروياني، وابن حبان في صحيحه عن حذيفة، وفي ١١٨/٦ وقال: أخرجه ابن عساكر عن حذيفة، وفي١٠٢/٧ وقال: أخرجه ابن جرير عن حذيفة. وأخرجه الحاكم في المستدرك

٣٨١/٣، وأخرجه عن حذيفة أيضا الخطيب في تاريخه ٢٣٠/٣٧٢١٠/٦، والمتقي في كنزالعمال ١٠٨/٧ وقال: أخرجه الطبراني وابن عساكر.

وأخرجه ابن ماجة عن ابن عمر ٤٤/١(١١٨)، والحاكم في المستدرك ١٦٧/٣.

وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٦٧/٣ عن عبد الله بن مسعود، وأبو نعيم في الحلية ٥٨/٥.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١٣٩/٤ عن إبراهيم بن يزيد التميمي عن أبيه في حديث طويل، وفي ١٤٠/٤.

والخطيب البغدادي في تاريخه ١٤٠/١ عن علي عليه السلام، وفي ١٨٥/٢، وفي ٤/١٢.

ورواه ابن حجر في الإصابة ٢٦٦/١ عن جهم، والمتقي الهندي في الكنز ١٠٨/٧، وقال: أخرجه ابن مندة، وأبو نعيم، وابن عساكر.

وأخرجه ابن حجر في الإصابة ١٨٦/٦ في ترجمة مالك بن الحويرث الليثي، ورواه المتقي في الكنز ٢٢٠/٦، وقال: أخرجه الطبراني عن قرة، وعن مالك بن الحويرث.

ورواه في الكنز ٢٢٠/٦، وقال: أخرجه الطبراني عن عمر، وعن علي عليه السلام، وعن جابر، وعن أبي هرير، قال: وأخرجه الطبراني في الأوسط عن أسامة بن زيد، وعن البراء بن عازب، وابن عدي، عن ابن مسعود.

وقال في صفحة/٢٢٠ أيضا ما هذا لفظه: من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر إلى الحسن بن علي، قال: أخرجه أبو يعلى عن جابر.

ورواه في الكنز ٢٢١/٦، وقال: أخرجه الطبراني، وابن النجار، عن أبي هريرة.

ورواه في الكنز ٢٢١/٦ أيضا، وقال: أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس.

وفي الكنز ٢٢١/٦، وقال: أخرجه الطبراني عن أسامة بن زيد.

وفي الكنز ٢٢١/٦، وقال: أخرجه ابن عساكر عن أبي رمثة.

وفي الكنز ١٠٧/٧ عن أنس، وقال: أخرجه أبو نعيم.

وفي الكنز ١١١/٧ عن علي عليه السلام: وقال: أخرجه البزار.

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٢/٩ عن عمر بن الخطاب، وقال: رواه الطبراني.

وفي المجمع ١٨٣/٩ أيضا عن قرة بن أياس، وقال: رواه الطبراني.

وفيه أيضا ١٨٤/٩ عن الحسين بن علي عليهما السلام، وقال: رواه الطبراني.

والطبري في ذخائر العقبى/١٢٩ عن أبي بكر، وقال: أخرجه ابن السمان في الموافقة.

وفيها أيضا/١٣٠ عن جابر، وفيها أيضا/١٢٩، وقال: أخرجه أبو حاتم.

ورواه أيضا الهيثمي في المجمع ١٨٧/٩، وقال: رواه أبو يعلى.

وأئمة الهدى هم النمرقة الوسطى ، إليها يرجع الغالي ، وبها يلحق التالي ، وهم لب اللباب ، ونظراء السنة والكتاب ، وقدوة أولي الألباب ، والسابقون إلى الخيرات ، والمتوقلون أعلا الدرجات ، صفو[ة] الذرية النبوية ، وخلاصة الثمرة الزكية .

ولما تقلدنا قلائد الزعامة ، وتحملنا أثقال الإمامة ، سار العلماء إلينا أرسالا من كل فج عميق ، ومكان سحيق ، قياما بما يلزمهم من إجابة الواعية ، وإخالة لبارق كانوا فيه على الرجاء والطماعية ، وكانوا يغدون في ميدان الاختبار ، ويجارونا صباح مساء في ذلك المضمار ، فسبقنا سوابق فرسانه ، واستبددنا برهانه في طويل ميدانه ، وقامت من الإمامة دلائلها ، وسارت فضائلها ، فحينئذ اتضح الحق ، وتعين فرض الإمامة على كافة الخلق ، وازدحموا على البيعة ازدحام الإبل الهيم على حياضها ، والحدابير المسنة على رياضها ، وكانوا عند ذلك بين متنكب قوسا ، أو متقلد سيفا ، أو معتقل رمحا ، يمشي إلى صف ، أو يتقدم في رجف ، وبين قارع منبرا ، أو قارئ

والطبري في الذخائر/١٣٥ عن علي بن الهلالي عن أبيه.

وهو في كنوز الحقائق للمناوي/٨١.

(١) أخرجه الترمذي ٢/٢٤٠.

ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ٦/٢٢٠، وقال: أخرجه ابن حبان عن أسامة بن زيد.

والمتقي الهندي في الكنز ٦/٢٢١، وقال: أخرجه ابن أبي شيبة، والطبراني عن أبي هريرة.

ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٨٠، وقال: رواه البزار.

ورواه المتقي في الكنز ٧/١٠٨، وقال: أخرجه الطبراني عن أبي هريرة.

دفترا ، هذا يقوم بجمعتها ، وهذا يدعو إلى جماعتها ، وهذا يتحدث في فضائل صاحبها ، وهذا متبطئ إلى الآفاق بدعوتها مطاء نجايبها.

ولما رأتهم الدهماء كذلك قلدوهم فيما لا يعرفونه إلا من جهتهم ، وضموه إلى ما تتناوله معرفتهم من خصالها التي تستوي في معرفتها العالم والجاهل ، والنبيه والخامل ، وأعطونا صفقتهم طائعين ، وأنفقوا أموالهم متقربين ، وساروا في مقامات الجلاد كأنهم إلى نصب يوفضون ، حتى قمعنا نواجم الضلالة ، وطمسنا رسوم الجهالة ، وصار أنف الإسلام كله لنا ، ونحن في خلال ذلك ندعو بني عمنا إلى النصرة ، ونقول: أنتم وجوه الأسرة ، وأعلام العترة ، وهم مرة ينتقصون الإمام والإمامة ، ومرة يقولون: نحن أولى بالزعامة ، ومرة يصدون عن أمر الله ويبغونها عوجا ، ومرة يكاتبون سلطان اليمن نظما ونثرا ، ويلتمسون من لديه فرجا ونصرا ، بغيا وحسدا ، ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) ﴾ [النساء] .

هذا أميرهم أحمد بن الإمام المنصور بالله عليه السلام يقول لعمر سلطان اليمن في أحد مكتوباته المصونة ، وأسراره المخزونة:

رقدت وطاب النوم لي وكفيتني وكل فتى يكفى الهموم ينام

وقال:

إذا أيقظتك صعاب الأمور فنبه بها عُمَراً ثم نم

ويقول عقيب ذلك: يا عمراه يا عمراه ، ويُعَرِّفه كيف يكيدنا ، ومن أين يأتينا ، فلما ولى عمر ، وظهر أمرنا واستمر ، دخلوا في الإمامة كما دخلت بنو أمية في النبوة ، إما رغبة وإما رهبة ، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨) ﴾ [التوبة] . وقبلناهم عند ذلك وقلنا: لعل ما ظهر من ألسنتهم يبطن ، وما قبح من بواطنهم يحسن ، وكانوا مرة يسلقوننا بألسنة حداد ، وتارة ينظروننا بأعين الحساد ، وآونة يذكرون علينا قديم الأوتار والأحقاد ، ويدلون على عوراتنا الأعداء والأضداد ، ونحن في خلال ذلك ما غمص من كيدهم أولياه اصطبارا ، وما ظهر أوسعناه صفحا واغتفارا ، ثم حلفوا لنا مرارا ، وأكدوا البيعة أسفارا ، ثم تركونا حتى نال العدو من أطرافنا ما نال ، وآل ألا مر بنا إلى أضيق مآل ، ومالوا علينا يسرون حسوا في ارتغاء ، ويحلبون شخبا في الأرض وشخبا في الوعاء ، ثم صرحوا بالحرب ، وبرزوا للطعن والضرب ، ورجعوا عن القول بالإمامة ، ونسوا مناقشة يوم القيامة .

قلنا: أما كنتم قبل الإمامة تؤمنون بالإشارات إلينا ، وتعولون في الزعامة علينا ، فما بالكم لما سطع قيامها ، وخفقت أعلامها ، انقلبتم على أعقابكم ؟! وخالفتم كريم نصابكم ؟! ﴿ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) ﴾ [آل عمران] .

ما أشبه ما نرى منكم بما حكى الله سبحانه عن نبيه محمد صلى الله عليه وآله وقوم يهودا حين كانوا يخوفون الأوس والخزرج بنبيء قد أظلهم زمانه ،

ودنا أوانه ، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ . . . ﴾ [البقرة] إلى آخرها .

فإن كان ما أظهروه من القول بالإمامة من قبل صحيحا ، فقد صار ما قالوه من إنكارها كذبا ، وإن كان ما أظهروه آخرا من إنكارها صحيحا ، فقد بان أن الذي كانوا عليه منها أولا نفاقا .

فإن قالوا: دخلنا بدلالة وخرجنا بدلالة .

قلنا: غرقتم في بحار الجهالة ، وتهتم في أودية الضلالة ، كيف تكون المتنافيات أدلة توجب علما ؟! أو تورث فهما ؟!

فإن قلتم: كانا شبهتين جميعا في دخولنا وخروجنا .

قلنا: فقد أخطأتم في الدخول من غير يقين ، وأخطأتم في الخروج من غير يقين ، وأصبحتم بين الفريقين مذبذبين ، وأنتم إلى الآن تجرون في ميدان الاشتباه . أفما لهذه النومة من انتباه ؟! وإن كان الدخول شبهة والخروج يقينا .

قلنا: فشرائط الإمامة يفضى فيها إلى الاضطرار ، ويستوي العلماء فيها والأغمار ، فالمدعي لخلافها بعد الإقرار بصحتها يشهد على نفسه

بالكذب ، ويحجب من باطله مالا يحتجب ، على أنه قد جعل على نفسه سلطانا ، ومكّن منها زماما وعنانا .

فإن أوضح على الإمام فسقا بَيِّناً ، وضلالا قادحا متعينا ، وإلا دخل فيما خرج عنه ، فإن الإمامة لا تبطل بعد ثبوتها إلا بفسق ظاهر يقع عليه الإصرار ، ويلازمه المتابعة والاستمرار ، لأن الإمام لو أخطأ خطأ وتاب عادت له الإمامة ، واستقرت أحكام الرياسة والزعامة .

وإن كانت الشبهة في الخروج فذلك إقرار بالبقاء على الضلال ، وتعلق بأسباب المحال ، وعدول عن رقراق السلسال ، إلى بَرَّاق الآل ، والذي بقي بعد هذا إما تَدَّعون الإكراه في الإمامة عند دخولكم فيها كنتم مباهتين مكابرين ، وإما أن تعتقدوها باطنا وتدفعوها ظاهرا ، فكفى بذلك عذابا ونكالا عند رب العالمين ، ولنا فُلجاً عليكم إن أظهرتم خلاف ما أبطنتم عند جميع المسلمين ، بل العقلاء المميزين ، ملحدين كانوا أو موحدين .

ومن عجائب،بلغنا عن الأمير شمس الدين أنه يقول: لم يرض قتل حميد ، و لم يرض له هذه الميتة ، وكان من طلبة الدنيا ، ودلاّه هذا الرجل ـــ يعنينا ـــ بغرور ، وأوقعه في محذور ، ولو أطاعنا ما كان الذي كان ، وغيره يقول: اقتلوا الإمام والشيعة تصفُ لكم الدنيا .

وقوله: لم يرض بقتله و لم يرض له هذه الميتة ، كلام متناقض ، لأنه إن كان حميد محقا فلا ميتة أرضى من ميتته !! فقوله: لم يرض له هذه الميتة كلام فاسد ، وإن كان حميد مبطلا فكيف لم يرض بقتله ، ﴿ لاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ (٦٨) ﴾ [المائدة] ، وقوله: لم يرض قتله كلام لا يستقيم ، لأنه قاتله . ألا ترى أنه أجلب عليه بخيله ورجله ، وقُتل بقوة سلطانه ، والأمة مجمعة على أن يزيد بن معاوية قاتل الحسين بن علي ، وهو بالشام والحسين بن علي قتل بالعراق ، وللأمير في حميد أكثر مما ليزيد في الحسين ، لأنه حاضر قتله ، وجالب خيله ورجله ، وإنما قالها تترها وتسترا قبالة العامة ، لما قالت: أكنت تمشي رويداً لتقتل حميدا ، لقد جئتم شيئا إذا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا !! ويلك من الله ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠] . أتروم إعادة أمس ؟! أو تنل الشمس باللمس ؟!

وهبني قلت هذا الصبح ليلا أيعمى الناظرون عن الضياء

رادفتَ الغمة ، وراكمتَ سحايب الظلمة ، وقَتلتَ رباني هذه الأمة ، رجلا أفنى عمره في الذب عند الدين ، ونشر علوم أهل بيت محمد الأمين ، ولأبيك أمير المؤمنين من مقاماته غرزها ، ومن أكاليمه شذورها ودردها ، ومن تصانيفه روائقها وطرائفها ، ومن رسائلها سوابقها وشرائفها .

ننشدك الله ومَن سمع كلامنا هذا لو بعث أبوك وجدك رسول الله صلى الله عليه أكانا مع حميد أو عليه ؟! أو سعيا إليك أو إليه ؟! أو كانا يؤثران نصرنا أو نصرك ؟! أو يعضدان أمرنا أو أمرك ؟!

فإن قلت: معنا ومع حميد ، كان رسول الله صلى الله عليه وأبوك الثائرين لنا منك ، وإن قلت: معك أكذبك قول والدك:

لا أعرف الخمر إلا حين أهرقها ولا الفواحش إلا يوم أنفيها

أليس في عسكرك هذا فعل المنكرات ؟! وشرب المسكرات ؟! وقتل النفوس المحرمات ؟! ومن ينفيك من محمد وعلي ؟! من يرى بولاية كل عدو وعداوة كل ولي ؟! وأما لحمتك الواشجة ، وقرابتك القريبة ، فإنها لا تفيدك أكثر من النسب ، ولغيرك المذهب ، قال الله تعالى: ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [هود: ٤٦] . وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) ﴾ [آل عمران] .

وأما قوله: بأنه أخلد إلى الدنيا . فكيف يخلد إليها من عُمِّرَ عمرا طويلا متمكنا منها وهو تارك لها ؟! ولما توفي لم يدع دينارا ولا درهما ؟! ولا هتك في حياته محرما ! ولا ارتكب مأثما ! ولا ظلم مسلما ! ولا سفك في غير الحق دما ! ثم سفكتَ دمه ، وعفيت كرمه .

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يُقطِّع الليل تسبيحا وقرءانا

وأما قولك: إني اغتررته . فكيف يغر رباني الكلام ؟! وعين عيون أهل الإسلام ؟! وهو يصنف من قبل أن نولد نحن ، أمثل حميد يختلس في دينه ؟! أو يلوى عن يقينه ؟! وأنت مع ذلك تدعي لنفسك البصيرة !! وتدعو إلى الصراط السوي والطريقة المنيرة !! ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) ﴾ [الأنعام] ، ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ (٩) ﴾ [الزمر] ؟! أم من كان بصفة من نزل فيه قوله

تعالى: ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾ [الأنعام] ؟!

كلام الزهاد ، وقلوب قوم عاد ، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) ﴾ [البقرة] .

وأما قول القائل: اقتلوا الإمام والعلماء . فأي عصابة حق يكون هذا أميرها أو من أمرائها ؟! وما سمعنا لقوله شبها إلا قول الملاحدة في عهودهم إلى أوليائهم: اقتلوا الدبوك والملوك . يعنون بالدبوك: العلماء ، وبالملوك: ملوك الإسلام ، محقين ومبطلين . وقد زاد عليهم لأنه اختص الإمام وحده من الملوك ، حتى يكون بقتله أونية قتله كأنه قتل الناس جميعا ، كما ذكر الله في قوله: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢] . وهذا في أئمة الحق عند المفسرين .

وبلغنا تشدق في المقال ، واستهزاء بالدين وأهله ، وسخريّ برؤوس العلماء ، وتهجين بالشيعة ، فعجبنا !! وتأسينا في ذلك بقول الله سبحانه: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) ﴾ [البقرة] . فقد كنتم أهل هذه الدولة من قبل قيامنا تلتمسون إماما تقاتلون معه ، فلما قام الإمام

قلتم نحن أحق بالملك منه و لم يؤت سبعة من المال ، فكنتم كالملأ من قوم موسى حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة .

وأما قول قائلكم: لو أطاعنا حميد ما قتل ، ولا كان الذي كان . فقد دخل جوابه تحت قوله: ﴿ لَوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ﴾ [آل عمران: ١٥٦] (١) ، فكيف يطيعك حميد إلى ما أنت عليه ؟! وأنت بالأمس أنت وهو مجتمعان على تضليل من فعل أدنى فعلك !! وقاضيان عليه بتحريم المناكحة ، والموارثة وأكل الذبيحة ، و لم يبدل حميد شيئا مما كنتما عليه ، إلا أن يكون حكمك حكم دّابة القاضي ! !

ألم تعلم أن الإمام المنصور بالله عليه السلام كفّر أهل حقل بمواصلة كانت هينة يعرفونها ؟! وكفّر شريفا من بني الهادي مر بأهل مخرفة وفسخ بينه وبين زوجته النكاح ؟! فكيف تدعون الناس إلى ما أنتم عليه وأنتم بالأمس تكفرون من أتاه ؟! ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) ﴾ [البقرة] .

أما تستحيون من الله ؟! أما تخافون عاجل النقمة ، بترك التناهي وكفر النعمة ؟! أما سمعتموه تعالى يقول لقوم: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ

---

(١) في المخطوط: ﴿ لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا ﴾ ولا توجد آية هكذا . ولكن يوجد: ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ [آل عمران: ١٦٨] . فلعله يريد هذه الآية ، أو تلك .

يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١) ﴾ [المائدة] . انظر في هذه الآيات هل بعدت منكم في معانيها ؟! أو سلمتم مما فيها . ألم تعلم أن الله سبحانه يحكم على بقية بني إسرائيل في وقت رسول الله صلى الله عليه بأنهم قاتلون للأنبياء الذين قتلهم أسلافهمو فقال تعالى: ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) ﴾ [البقرة] . وزمانهم غير زمانهم ، ومكانهم غير مكانهم ، لما كانوا مطابقين لهم على الرضاء بتلك الأفعال ، فكيف تنكرون قتل العلماء وأنتم مباشرون لذلك ؟! وسالكون في قتلهم أوضح المسالك ؟!

ومن العجائب أنه بلغنا أنهم ربما ينتقصوننا ، والنقص علينا وعليهم واحد ، لأن القاسم بن إبراهيم يجمعنا ، وإن كانوا يقولون من هنالك: إنهم جادوا وذَلَلْنا !! فإن كان الكلام في شرف الدنيا فنحن قبل قيام المنصور كما تعرفون إن لم نزد عليهم لم ننقص عنهم ، إلا أن يكابروا فبيننا في ذلك قبائل همدان ، فالكل بين أظهرهم حاسدنا ومحسودنا ، وناشئنا ووليدنا ، وما غطى ولا كتم ، من استشهد السواد الأعظم ، وإن كانوا في شرف الأخوة ، فالإمام المنصور بالله عليه السلام يقول ليس بينه وبين محمد صلى الله عليه إلا من هو من أهل الجنة ، ونظم ذلك فقال:

والله ما بيني وبين محمد إلا امرئ هاد نماه هادي

وهذا لعمر الله شرف عميم ، وكرم جسيم ، لا ننكـــره ولا نـــرده ولا نحسده عليه ، وكذلك ما قال في نفسه نطما ونثرا من حملها على الفضائل ، ورفعها عن الرذائل ، كما قال:

فلا والله ما قارفت ذنبا كـــبيرا مـــذ ملكـــت جفـــون عـــيني

وهذا نعترف به أيضا وهو خليق به صلوات الله عليه ، ولكن نقول نحن ندلي به وندعي مثل دعواه ، ولا يمكن أحد تكذيبنا إلا مباهـــت ، كمـــا لم يكذبه سلام الله عليه من الفرق الضالة في قبيلة إلا مكابرْ فنقول والله ما عرفنا كذبة ، ولا تدنسنا برذيلة ، نقول ذلك تعريفا لا افتخارا ، وتبصرة لمن يريد أن يكتسب في أمرنا استبصارا .

فالحمد لله الذي طهرنا من الأدناس ، وقضى لنا بالفضل والبسطة على كافة الناس ، وهو ﴿ الَّذِي هَدَانَا لِهَـــذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّـــهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] ، وكذلك نقول كما قال المنصور بالله عليه السلام: ما بيننا وبين محمد صلى الله عليه وآله إلا مثل ما ذكره من أب أو أم ، وكان ذلـــك الصف مستقيما ، فردناه ترصيصا وتقويما ، وشيدنا بنيانه تكريما وتعظيمـــا ، فإن جاء بعدنا ولد يخالف معتادا ، أو جعل في الثوب الأبيض سوادا ، فلا بلّغه الله ولا بارك فيه ولا جعل له في آل محمد نسلا ، لأن من تقدمه من أبوته قد أخرجه بفعله عن أن يكون له أهلا .

ووجه أخر: وهو أن ما يدعيه المنصور بالله عليه السلام نحن شركاؤه فيه ، فإن كثيرا من جداته الطاهرات هن جداتنا ، فهو ثوب نحن نتجاذبه ، شرف تلوح فينا كواكبه .

ووجه أخر: وهو أنا ورثته دونهم ، لأنا منه ، وما كان من شرف الدنيا والآخرة فقد ورثناه قولا وفعلا ، ونسبا ومذهبا ، وعلما وعملا ، ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) ﴾ [آل عمران] ، وهم معه كولد نوح صلى الله عليه ، حذو المثال بالمثال ، وما زلنا نطرز المنابر بذكره ، ونحلي المقامات بذكره وشكره ، ما قصدنا بذلك إلا الخروج عن عهدة ما يجب علينا من حقه ، ولو عقلتم ولن تعقلوا لشكر تمونا على ذلك ، فإن رجلا لو ورد بقصيدة يمدحكم بها لعظمتم من شأنه ، ورفعتم من مكانه ، ومدحُ أبيكم أشرف لكم ، وحقه أوجب عليكم ، ولكن لا تمييز ! !

ووجه رابع: وهو المصيبة الكبرى ، والفافرة العظمى ، انظروا إلى الصف الذي كان فيه هل بقي بعده ، أو سعيتم في نقض ذلك البيان المرصوص ؟! فهل يشده ويشيد بنيانه وتأتون فتخربونه وتهدمونه ؟! ثم تكونون معه يوم القيامة !! فلماذا أُرسل الرسول ، وأنزل الكتب ، وأرصد الوعد والوعيد ، وأعد الثواب والعقاب ؟! إن ألحق المسيء بالمحسن ، والكافر بالمؤمن ؟! ! ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء: ١٢٣].

فأما الذي تدَّعونه علينا من قلة الوفاء ، فإن كان هذا عذرا فيما فعلتموه من الأفعال القبيحة ، فإن الإنسان لا يكون معذورا فيما يفعله من المعاصي لأجل إساءة غيره إليه ، وقلة وفائه له ، الكفر لا ينباح بما ذكرتم لو صح ، « أحسنوا حيث أساء الناس » كما ورد في الخبر ، مع أنا لم نفعل شيئا مما ذكرتم

، بل فعلنا أفعالا نعرضها على الكتاب الكريم والسنة الشريفة والعقول التي ركبها الله تعالى حجة على الخلق ، وجعلها وما تقدم من الأدلة آية للحق ، وهو أنا نقول: شرطنا وحرمتم شروطنا فتركنا مشروطكم ، فلو وفينا مع الإخلال بالشروط التي جعلناها فارقة بين عقود المسلمين وعقود غيرهم ، لكنا قد نصحنا من غش المسلمين ، وقرَّبنا من أبعده رب العالمين ، مع أن العقود التي يجب الوفاء بها هي عقود الذمم ، والعقود اللازمة في الإصلاح . فأما الولايات والإقطاعات وما يجرى مجراها فليست بعقود عند مَن عقل الصواب ، وفهم مضمون ما انطوت عليه السنة ونطق به الكتاب ، إذ لو كانت عقودا لما رجع النبي صلى الله عليه عنها في مجلسه وللزمت الولايات ، وما كان لنبي ولا إمام أن يعزل ولا يولي غير مَن ولاه ، وضرورة الدين وما علم من أمور المسلمين يقضى ببطلان ذلك .

ألا ترى أن النبي صلى الله عليه رجع عن « إقطاع الأبيض بن جمال جبل الملح بمأرب !! حين قيل: يا رسول الله أعلمت ما أقطعته ؟! قال: لا . قال: إنما أقطعته العد الذي لا ينفذ ، فرجع في الحال عن ذلك »[1] .

وكذلك في قصة الدهناء ، ومن المعلوم الذي لا يُشك فيه أن الإنسان لو وكَّل وكيلا على عمل من الأعمال ثم عزله قبل أن يفعل الفعل أو بعد فعله ، وكانت وكالته عامة أنه لا حرج عليه ولا عتب في الدين ولا في الدنيا ، والوكالة ولاية ، والولاية في معنى الوكالة لا فرق بينهما عندنا ، وقد روينا

---

(١) أخرجه ابن ماجة ٢/ ٢٢٨ (٢٤٧٥) ، وأبو داود ٣/ ١٧٥ (٣٠٦٤) ، والنسائي ٣/ ٤٠٥ (٥٧٦٤) .

عمن نثق به عن الإمام المنصور بالله عليه السلام أنه اتفق له ثلاثة ولاة لموضع واحد في يوم واحد في مكان واحد ، وذلك جائز تبيين ذلك أن مبنى ولايات أولي الأمر على نحو ما يقضي به النظر في اعتبار الأصلح والأقوم بأعباء ما حمل ، ومن الجائز أن يقع نظر المولى على واحد ثم يتجدد نظره على الأصلح منه ، فيفسخ ثانيا ما فعله أولا لأجل المصلحة ، أو مصادفة الموافق ، وهذا نوح ألحقه الناس بباب العقود وليس منها وطعنوا به جهلا بمواقع العلم وإيثار الهوى ، على ما قضى بصحته العقل والشرع .

والنوع الآخر الذي ألحقوه بالعقود وليس منها: الرقاعات التي تتضمن لصلات والهبات ، وليس الأمر كما اعتقدوه ، ولا حكم الله يقف على ما توهموه ، لأن هذا ليس بعقد لازم ، بل إن حصل ذلك فهو المطلوب ، وإن لم يحصل لم يقتض تعذره فسقا ولا كفرا ، ولا قلة وفاء ، لأن الفاعل لذلك قد يتوهم أن هناك شيئا حاصلا وليس به ، أو يتصور أن شيئا يحصل فيتعذر بعض أسبابه وصاحبه محسن ، وقد قال سبحانه: ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة: ٩١] ، لأجل ذلك ذم لمن لا يستحق الذم ، وهذا عند كافة أهل الإسلام لا يسمى: عقدا ، وأكثر ما في ذلك أن الفاعل لذلك والتارك للعطاء غير ممتثل للأمر ، فهو العاصي دون الآمر إن كان المأمور به حاصلا .

وأما العقود التي هي الذمم فنحن أكثر الناس محافظة عليها ، وأعظمهم تأكيدا في تمامها على شروطها ، والله تعالى قد قيد الوفاء بالشرط فقال تعالى: ﴿ فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ ﴾ [التوبة: ٤] ، فشرط التمام بالمدة وهي أحد الشروط ، وجعل ذلك سبحانه مشروطا بوفائهم ، فالوفاء لهم لا يجب

إلا بشرط الوفاء منهم ، فقال تعالى في أول الآية: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا ﴾ [التوبة: ٤] ، فشرط في الوفاء عدم النقصان وترك المظاهرة ، وهذه شروط على الحقيقة ، فقد ثبت: أن الشرط أملك ، وأن الإخلال بالشروط في هذه العقود يرفع حكم المشروط .

ونحن نوضح طرفا من أفعالكم معنا ليعلم الناس صدق مقالنا ، وسلامة أحوالنا ، فنقول: إنكم بعد دعوة الإمامة تربصتم بصاحبها كما علمه الخاصة والعامة ، فكان أول ذلك منعكم للناس عن إجابتها ، وصدكم للخلق عن سماعها ، وانتهى بكم الحال في ذلك إلى خراب ديار المجيبين ، وإخافة من بادر إليها باليقين ، فلما غلبتكم الدهماء ، وذهب عنكم جمهور العلماء ، استكبرتم حينئذ الخلاف ظاهرا ، وأسررتم المكائد باطنا ، كما حكيناه آنفا من استدعاء سلطان اليمن والانتصار به ، فلما لم يشف ذلك عليلا ، ولا نقع غليلاو شمرتم عن ساق الجد في الشقاق ، ونسيتم أمر الواحد الخلاق ، حيث قال: ﴿ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] ، وقال تعالى: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء ... ﴾ [الأحقاف: ٣٢] الآية . فقهركم سلطان الحق ، ودمغكم نصر الله لولي الأمر ، فجنحتم إلى السلم ، وامتطيتم مطية النفاق ، وصاحبكم يؤثر التقريب على الإبعاد ، وما يدنيكم إلى الصلاح ويصرفكم عن الإفساد ، فكان أول الغدر وإن تقدَّمه ما وقع من آحادكم تقدَّم موسى وداود لسدادة

الثغر ، والإقامة بوادي ظهر ، وهما على الحقيقة يضمران خلاف الأمر ، فأقاما أياما ينقضان الذمم ، ويحرفان الكلم ، ثم نكصا على أعقابهما من غير تعريج على ثغر الإسلام ، ولا التفات على أمر إمام ، فكانا أحق ببيت الشاعر حيث يقول:

لحى الله قيسا قيس عيلان إنها أضاعت ثغور المسلمين وولت

ونحن في خلال ذلك نعلن بالانتصار ، وندعو الكافة إلى طاعة العزيز الجبار ، فكان الجواب أنهما عادا بعد مدة إلينا يُزحيان جيشا حشو الغدر ، وشعاره ودثاره النفاق والمكر ، فوصلوا لتشتيت الشمل ، ووقوع الخبل ، كما قال تعالى في قصة المنافقين: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ ﴾ [التوبة: ٤٧] . فكانت هذه حالهم بغير مرية ، حتى جد أمرنا في الخروج إلى نحو الشهابية ، فخرجوا للفساد معنا بعد أن مضى جمهورهم ، وتفرقت أمورهم ، وتسللوا لواذا ، واتخذوا الخداع اتخاذا ، فلما وصلنا قرب البلاد ، أرسلوا إلى إخوانهم من أهل العناد ، ألا لا يهولنكم ما نحن عليه من الإبراق والإرعاد ، فهو حظنا مع صاحبنا لا نريد القتال ولا الجلاد ، وأخذوا في التخذيل ، وتزهيد الناس فيما نحن عليه جيلا بعد جيل ، حتى تضعضعت أمور المسلمين ، وظهرت سماة الغلب على الصالحين ، وخالفوا قوما على قتلنا ونحن وهم في مكان واحد ، فذرنا بهم ، وأحسسنا ما قد أعملوه من مكرهم ، فصدوا خاذلين ، وولوا على أعقابهم متقلبين ، وهذه خليقة لم يرضها مسلم ، ولا تظاهر بمثلها مجرم ، لأن كثيرا من الكفار بأعمال أهل النار ، يتنزه عن أن يكون بصفة الغُدَّار .

وقبل هذه ماسوَّد ولد أميرهم ، وسليل رئيسهم وكبيرهم ، ثوب الإسلام ، بما فعل مع أهل تُنْعِم الأباة الكرام ، من بيع ثغره بألف مثقال ، وصدوره عنه على أقبح حال ، يتبختر في ثوب الغدر ، ويتحلى بحلية أهل المكر ، ويجيب عند عتابه أن أباه أرسل إليه ، وخرج في تخليه سد ذلك الثغر عليه ، فهذا هو النكث على الحقيقة ، والبوار العاجل عند هذه الخليقة ، أتأمرون الناس بالوفاء ، وشيمتكم مع المسلمين ما ذكرنا ظاهر لا عن خفاء ؟! ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (٤٤) ﴾ [البقرة] ، أتعيرونا بقلة الوفاء بالعقود ، ولكم ما تقدم من الفعلات بعد العهود المؤكدة ، والأيمان المغلظة ؟!

ولما توجهتم معنا نحو صنعاء ، تريدون النصرة على الدين ، والإدالة بما مضى منكم في حرب المسلمين ، واجتمعنا في البلد بملازمة الثغر ، نَجَمَ من نفاقكم ، وظهر مر سيء أخلاقكم ، ما تحقق معه الناس خبث سرائركم ، وفساد ظواهركم ، لم تتركوا عمولة في روح ، ولا مواصلة لعدو ، ولا دلالة على عورة لمسلم ، يشهد بذلك ما كان من طلوع علي روهاس ليلا إلى براش ، وهو بزعمه الناصح الناصر ، وما فعله داود في الملاقاة للأسد ومماليكه في مثنى الغواير ، من غير مانع ولا حاجرو وأظهر من ذلك خلافا ما عمل مع المشطوب ، من سلامته من تحت السيوف ، وإخراجه لا عن أذن أحد بل على رغم الأنوف ، وأثبتوا العمولة فينا يوم الجبوب ، فلم يسعدهم الجد ولا ساعفهم المطلوب ، بل قصَّرت عساكر الحق من همهم ، وقلَّت عزائمنا غروب دعمهم ، وصبرنا منهم بعد ذلك على أمرّ من العلقم ، وآلم للأجسام

من سم الرقم ، ومضرتهم ممكنة لنا ، واستئصال شأفتهم غير معجز لمثلنا ، وإنما تركنا ذلك كرما في الطبيعة ، وبعدا من الأفعال الشنيعة ، وفي خلال الرباط منهم والصبر ، تنزل عليهم تحف الصليحيات بالخمر ، يتساقاها منهم أولوا الفخر ، نقل منهم من شهد الأمر ، واطلع على مكنون السر ، ونحن نتجرع غصص الاصطبار ، ونتخلق لتأليفهم وتقريبهم تخلُّق الأحرار ، ونطمع في أن ينتقلوا عن عمل أهل النار ، إلى أعمال المتقين الأبرار ، وهيهات أن يُجتنى من الشرى أريا شافيا ، ويمترى من ذكران المعز حلبا صافيا .

ودع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل

جعلناه زعيم جيوش المسلمين ، وقلدناه سد الثغر المنفتح علينا من اليمن فباع ذلك بعرض من الدنيا يسير ، وقدم إليهم خاتمه ذمه في كونه منهم ، وذلك أمر ظاهر ، وقد أقر به عند من يوثق به ، ولما غنم المسلمون غنيمة من أعداء الدين ، طلبهم بردها بعد رد ما وقع في يديه ، وقبل بهم نحونا يهديهم هدى العروس ، ويطأ بهم ربع الإسلام المأنوس ، فلما طال عليه أمد النفاق في بيت رحال ، شمر للغدر عن الأذيال ، وفارق زافرة ، يا لها من زافرة رافضة للدنيا مقبلة على الآخرة ، فحل من الكفر في بحبوحته ، وسكن من النكث في صميم أرومته ، وكم من ذمة خرمها من صنعاء إلى يومنا هذا !!! من مأسور قتل بعد الذمة ، ومعتق أوثق بعد المنة بإرساله ، يشهد بذلك ما كان في صعدة من قتل ابن زيدان والعَلَم في يده ، وأخذ ابن النجار وأمارته والذمة على إرساله وولد محمد بن فليته وما فعل معه ، وجفر بن يحيى ، وذمه حمزة بن حسين على روحه وما يملكه ، وأخذه وهو في خيمته ، وعلي بن صفى

الدين بعد ذمة عز الدين عليه ، وأخذ أحمد بن عواض بعد الذمة من علي بن عمرو ، وما كان في شأن السويدي من أنواع التخليط ، ونهب بيوت لا تحصى بعد الذمة وهي بيوت أهل سمارة كافة ، فإنها ما أخذت إلا بعد الأمان الظاهر ، وتأكيده بالعَلَم على السطوح .

ثم أفعالهم الشنيعة ، في رؤوس علماء الشيعة وتراجمة الشريعة ، وذمتهم على دار الفقيه محمد بن أبي السعادات وأخذها بعد ذلك ، والعَلَم على رأسها ، ومن غدرهم الطري ، ما جرى في دار الشريف المجزري ، وإحراق علمهم الفري الزري ، وكذلك القُليعة وبنوال أحذتموهما بعد الأمان الأكيد ، وكيف يمكنكم تدَّعون مثل ما ندعي وأنتم على خلاف ما تعلمون من مذهب أبيكم وآبائكم جميعا ؟! بل كيف وأنتم تخوضون في أموال المسلمين ودمائهم بغير دعوة ولا كتاب ولا سنة ؟! وبين أيديكم من فعل المنكرات ما لا يمكن دفعه!! بل كيف وتائبكم إذا وُفّق يتوب إلينا ، ويقر بقبح ما هو عليه وبصحة مذهبنا ، وهل تاب أحد منا إلى ما أنتم عليه عند مماته ، أو جادل على صحة ما هو عليه في حياته ، فهم كما قال الله تعالى في أهل الكتاب: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩) ﴾ [النساء] .

وأصحّ مذاهبهم في هذا قولهم: نفسد عليه ونكدر عيشه كما كدر عيشنا ، فهذا وجه بَيّن ومذهب معقول دون غيره ، ونحن في دنيا مشوبة بالتكدير ، وطريق مقرون بالتغيير ، لا نبالي فيها بتكدير عيش ما أطعنا الرحمن ، وسلمت

الأديان ، ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ [يوسف] .

إنما يحزن على النعمة أهلها ، ويتبرم بمفارقة اللذات مَن اعتادها ، وكم عسى أن يكون نعيمها وهي إلى زوال ؟! وراحتها وهي إلى تغير وانتقال ؟! إنما المكدر للذاتها ، مَن حمل أهلها على مفارقة عاداتها ، من شرب القهوات ، وإذهاب الأوقات ، في غير الطاعات ، وانتظار الصلوات بعد الصلوات ، ونقل الخطى إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء في السبرات ، وهو لا يزال شجا في حلوقهم ، وقذى في عيونهم ، ما مد الله مدته ، وبسط بسطته ، فليموتوا بغيظهم كظما ، وليستبدلوا بوجود ملكهم عدما ، وعن قريب يظهر الحق على الباطل ، ويتميز المستقيم من المائل ، ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١) ﴾ [الإسراء] ، بين مَن قرباؤه الصالحون المهتدون ، وبين مَن خلطاؤه المردة المفسدون ، وبين مَن ناصره رب العالمين ، ومن يعتمد في نصرته على الكفرة الجاحدين ، والباطنية الملحدين ، وبين مَن عيون أنصاره العلماء ، ومن عيون أصحابه المترفون ، ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥] ، ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) ﴾ [الحج] ، وإن صال العدو صولة لا عن دولة ، فكثيرا ما صغَّرته سيوف الحق وتركته خاسئا ، وما كان أولا فمثله يكون ثانيا ، ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ

(١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ (١٩٨) ﴾ [آل عمران] .

ومن عجائب ما ألّفوه ، وجالب ما زخرفوه ، أن قالوا: بأنا منعنا من بلادنا ، وخلينا عن طريفنا وتلادنا ، فاستعنا بالكفار ، على بلوغ الأموال والديار . وقالوا يجوز لنا ذلك كما جاز للنبي المختار ، حيث استعان بخزاعة الأنصار ، على حرب قريش الأشرار .

ونحن نقول: إن هذا مبني على شفاء جرف هار ، إنما الانتصار بالفجار لبعض الأعذار ، يجوز للأئمة الأخيار ، العالمين بمواقع الإيراد والإصدار ، المميزين للملتبسات بثاقب الأفكار ، وغامض الأبصار ، وتحصيل هذه الجملة المذكورة ، والدرر المبددة المنثورة ، أن المستنصر بالمبطلين يكون على شروط:

أحدها: أن يكون المنتصر محقا .

والثاني: أن يكون المستعان عليه مبطلا .

والثالث: أن تكون له شوكة وغلبة على من استعان به ، حتى تكون أفعال المستنصر به ، مقيدة بإرادة المستنصر وأفعاله ، لأنه متى كان ذلك كذلك ، أمن من الوقوع في المنكر الذي طلب إزالة مثله في القبح .

والرابع: أن يكون ذا ولاية كاملة ، وزعامة شاملة .

وإنما اشترطنا أن يكون محقا ، لأنه متى كان مبطلا لم يكن بأن يستعين على غيره أولى من أن يُستعان عليه ، وذلك يؤدي إلى أن يكون محاربا محارَبا ، وليا عدو في وقت واحد ، وهذا لم يقل به أحد . واشترطنا أن يكون المستعان

عليه مبطلا ، لأنه متى كان محقا فلا سبيل إلى جواز حربه ، ولأنه إنما يجـــوز حربه لأجل المنكر ، ولا منكر منه يجب إنكاره فضلا عن محاربته عليه ، وقد تقدم الوجه في اشتراط الشوكة للمستنصر .

وإنما اشترطنا الولاية الكاملة ، فلأن إزالة المنكر بتجييش الجيوش لا يكون إلا إلى الأئمة ، ومن يجري مجراهم من أهل الولايات التي توجب المتابعة ، يـــبين ذلك أن من يُحتج بفعله في هذا الباب لم يكن إلا على هذه الصفة ، كـــالنبي صلى الله عليه ، وعلي عليه السلام ، حيث يقال: إنه استعان بقتلة عثمان على ضلالهم عند من يقول بذلك . ومن أدعا خلاف ذلك قلنا: عليك الـــدليل ، ولا يجده إلا أن يقول: إنه منكر وإنكار المنكر واجب على كل أحد .

قلنا: هذا الذي نحن فيه ليس من هذا القبيل ، بل هو متضمن لسفك دمـــاء ، وأخذ أموال ، وتصحيح أقوال وأفعال ، وذلك لا يكون إلا ممن ذكرنا دون غيره من المنكرات ، فإنه يقوم به أفناء الناس .

وأما في وقت الإمام فليس لأحد أن يتقدم ولا يتأخر في شيء من ذلك إلا عن أمره .

فإن قيل: ولسنا نسلم ثبوت إمامة صاحب الزمان ولا نقر بذلك .

كان الجواب أن إمامته لم تثبت بقولكم ، فيكون فُقد إقـــراركم وجهـــا في بطلان إمامته ، لأن الإمامة تثبت عند جميع الأمة بوجهين:

أحدهما: العقد والاختيار من العلماء والفضلاء وعيون المسلمين .

والآخر: بالدعوة وتكامل الخصال ، وهذان الوجهان قد حصلا لصاحب الزمان على أبلغ الوجوه ، وأنتم الشهود على ذلك ودخلتم في غمار أتباعه ، وكنتم بلا شك من أنصاره وأشياعه . والفضل ما شهدت به الأعداء .

فهذه شروط انتصار المحق بالمبطل على المبطل ، وهذه الخصال جميعا معقودة فيكم .

أما الأول: وهو أن يكون المستنصر محقا ، فليس بحاصل فيكم بل أنتم في بحار الضلال تميمون ، وفي ضحضاح الكفر تعمهون ، ويكفي في ذلك موالاتكم بالحلف والنصرة والمودة للباطنية والمجبرة والمشبهة ، بل أنتم في أبلغ من ذلك ، لأنكم خدم لهم ، ومدبرون عن أمرهم فعلا وتركا ، وهذا ظاهر لا يخفى على أحد ، ولا يمكن إنكاره ، وأنواع المنكرات بين أظهركم ظاهرة ، وكفى بذلك ضلالا ، مع ما اقترن به من أفعالكم التي ضاهت أفعال عباد الأوثان ، من قتل عيون المسلمين ، وسفك دماء البررة المتقين ، إلى غير ذلك مما يكثر تعداده .

وأما الشرط الثاني: وهو أن يكون المستعان عليه مبطلا ، ففي ذلك وقع النزاع ، لأنه الحجة عليكم في زمانكم ، والناظم لدين آبائه وآبائكم ، والمدمر لأعداء الدين ، والقامع لما نجم من المفسدين ، الذي برز في ميدان الكمال ، وانتقم من أرباب الضلال ، وأرغم أنوف الجهال ، حتى نال في الفضل أبلغ منال ، وآل في رضى ربه إلى خير مآل ، أخذ بدمائكم المطلولة ، وأقفر ربوع أعدائكم المأهولة ، يشهد بذلك حضور وحوشان ، وغيرهما من مشاهدنا المشهورة في البلدان .

وكم يوم سقيت بـه الأعـادي مـا يفيـق لهـا ضـريع

وأما الثالث: وهو أن يكون للمستنصر شوكة وغلبة على من استنصر به ، فليس ذلكم إليكم بل أنتم خدم للمستنصرين به وأتباع لأتباعه ، لا تقدمون أمر إلا عن أمره ، ولا تصدرون رأيا إلا عن رأيه ، هو الإمام وأنتم المأمون ، وأقوالكم ناطقة بذلك ، وأفعالكم شاهدة به ، يدل على ذلك أفعال بصعدة في الذمم والمواثيق التي أخللتم بها ، وجعلتم العذر أنكم لا تقدرون على الخلاف ، ولا سبيل لكم إلى مخالفة أمر سلطانكم ، وهذا ظاهر لا يفتقر إلى بيان ، ولا يشك في صحته إنسان ، ولذلك سلمتم أسرانا إليه ، وعلقتم جميع أفعالكم الواقعة عليه ، على كره منكم .

وأما الشرط الرابع: وهو أن يكون المستنصر ذا ولاية عامة ، فلستم هنالك عند أحد من العالمين ، لقوله تعالى: ﴿ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) ﴾ [البقرة] ، ولأن الولاية هي ولاية الإمامة وهي فيكم مفقودة ، أو ولاية الحسبة وهي باطلة لديكم غير موجودة ، لوجوه:

أحدها: ما أنتم عليه من الكفر .

والآخر: وجود إمام أبطل حكمَ الحسبة ثبوتُ إمامته ، ووجوب رياسته ، لأن الحسبة تدل على ما هو أعلى منها ، وهو لا يجمع البدل والمبدل منه .

والآخر التسلط والخروج عن زمرة أهل العدالة وأهل الدين .

هذه نكتة أردنا بيانها لما توجه علينا من أمرها ، فإن الله تعالى أخذ على العلماء في ميثاق كتابه البيان ، عند أن يعرض مثل هذا الشأن ، حيث يقول: ﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل

عمران: ١٨٧] ، وقال صلى الله عليه وآله: « من كتم علما يعلمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » ، ﴿ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) ﴾ [الأنبياء] ، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧) ﴾ [ق] .

والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . تمت هذه الرسالة المباركة .

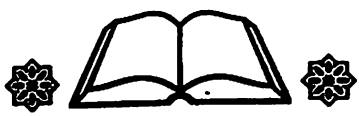

الرسالة الزاجرة لصالحي الأمة

عن إساءة الظن بالأئمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الأنبياء أمناء وحيه ، والخلفاء أمراء أمره ونهيه ، والعلماء حفظة علمه وتراجمة إثباته ونفيه ، وصلواته على نبيه المقتدي ببيانه وهديه ، محمد وعلى آله الحامين لدينه والمحددين لما خفي من سعيه .

وبعد: فإن الله تعالى لما قلدنا بأطواق الزعامة ، وحلانا بحلية الإمامة ، وتجرد للنص على ذلك والدعاء إليه ، والامتثال لأمره والاعتماد عليه ، علماء هذه الفرقة الزيدية الذين هم أفضل الفرق ، وفضلاء العترة النبوية وهم المبلغون عن الله وألسنة رسله ، وحجته على خلقه ، والكارعون من العلم في سلسال معينه ، وأدلة الوُرَّاد إلى صافي يقينه ، وفوَّارة عيونه ، لأن الله تعالى جعل العلماء خلفاء أنبيائه ، وعماد خلفائه ، وحملة أنبائه ، عن صفوة أنبيائه ، فهم القدوة والحجة ، وسواء السبيل وواضح الحجة ، وعليهم الاعتماد ، وهم الرأس الذي يرم به كل متخمط لينقاد ، وكان عند ذلك من أمر الناس ما علمه مَن شاهد أحوالهم ، وبطن خلالهم ، من أن إمامتنا كانت كإمامة أبينا علي بن أبي طالب عليه السلام ، سارع إليها الصغير ، وهدج إليها الكبير ، وتطلعت إليها الكعاب ، وحُسر لها كل نقاب ، وفتح بها كل باب ، ورفع كل حجاب ، وانثال الناس من كل سبسب ، ونسلوا من كل حدب ، وكان المحظوظ عندهم من أعطى صفقته طائعا ، وسبق غيره مسارعا ، أو أنفق ماله مسترسلا ، وبرز للجهاد مستبسلا ، بصيرة ودينا ، وثقه بأمرنا ويقينا ، حتى علت كلمة الدين ، ورسخت سواري اليقين ، وأبدنا جيوش الجاحدين ، وسلبنا ملك الظالمين ، ورفعنا أيدي المتسلطين على المستضعفين . فلما نجمت

نواجم العناد ، ووقدت نيران الفساد ، وقل الناصر ، وكثرت المعاذر ، وعطلت الثغور أو كادت ، وقهقرت ليوث الكفاح وحادت ، سامة وملالا ، واستطاله للأمد المبارك واستثقالا ، على ما حكى الله تعالى عن الأمم الماضية ، والقرون الخالية ، أن طول الأمد أورثها في القلوب قسوة ، وفي الطباع عن سماع الحق نبوة ، حيث يقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) ﴾ [الحديد] .

سمعنا عند ذلك ركزا خفيا ، وكلاما نجيا ، ظاهره عتبٌ ، وباطنه ثلب ، فمن قائل يقول: هذا أمر لم يحكم ترتيبه . وآخر يقول: هذا وال لم يؤثر تقويمه وتأديبه ، ومتأسف على ولاة كانوا قبلنا ، ومتفجع لعدو بما ناله [منا] ، وإن كان من غب مكره ، وجزاء غدره ، ومتوجع لولي من سوء حظه ، وقلة ذات يده ، وإغفال أمره ، وتحلل عراء جَلَدِه ، ومغضب يشكو سدة باب ، أو غلظة حجاب ، أو جفوة أصحاب ، ومعذر في لزومه قعر داره ، وتحليل أوتاره ، وإرخاء أزاره ، بما هو عليه من قلة عطية ، أو عدم مطية ، ومعتل بكثرة ماله ، وضؤلة أطفاله ، وترادف أشغاله ، ومعتقد أنه حط عن منازل أمثاله ، وقصر به عن درج أشكاله ، فجعل ذلك وجها في التأخر عن نصرة الدين بنفسه أو ماله .

فأما الأول: فإن كان معتقدا للإمامة فقد سلّم السيرة ، وإن لم يعتقد الإمامة فلا فائدة في الطعن في الفرع مع فساد الأصل ، لأن ما بني على شفاء جرف هار ، فهو منهال منهار . وهل يستقيم الظل والعود أعوج ؟! مع أنه

لو بلي بشيء مما بلينا به ، من ترتيب حاجات تباعه ، أو إصلاح أمر جماعة ، لضاقت موارده وعميت مصادره ، والتبست بصائره ، وافتضحت معاذره ، ولتبين له ما قيل في المثل السائر: في ملام من ليس بعاذر ، فيما ليس له بخابر ، « هان على الأملس ما لا قى الدّبر » .

ولو قيل له: كن صاحب هذا الترتيب ، واجعل حظك من الجهاد هـذا النصيب ، لتولى يعتذر بالعجز ، ويدافع بالضعف عن القيام بعظيم هذا الأمر ، ومع ذلك يدعي وقوع الخلل في الفعل على من حنّكته التجارب ، وقرعت صليب مروته النوائب .

وأما الثاني فهو أيضا مثله يطعن في فروع قد سلم أصولها ، ويعترض في الولايات بأمور ما تيقن محصولها ، فهو من دخيلته في زلزال ، ومن باله في بلبال ، ومن كلامه في شجون متعارضة ، وأمور متناقضة ، إن طعن لم يستيقن مقاله ، وإن أمسك لم تطاوعه عوارض باله ، لكنه آثر ما سمعه على ما رءاه ، وقدّم هواه على هداه ، ونسي ما قاله قدوة الهداة ، علم الحق الأواه ، علي بن أبي طالب عليه أفضل السلام والصلاة ، حيث يقول: « أما أنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع فسئل عليه السلام عن معنى قوله هـذا ؟! فوضع أصابعه بين أذنه وعينه ، وقال: الحق أن تقول رأيت ، والباطل أن تقول: سمعت » .

ودواء هذا المعترض ما يجده من نفسه من عداوة وقادة ، أو حسيفة معتادة ، بأن أبرز مكامنه ، وأظهر مطاعنه ، أصاب أم أخطأ ، أسرع في رضي ربه أم أبطأ ، و لم يعقل أن الولاية وكالة يتقلدها الأمين ، وحالة يجبى بها

الضنين ، وقد فعل ذلك سيد المرسلين ، واقتفاه في فعله إمام المتقين ، فـولى صلى الله عليه الوليد بن عقبة . وهو أحد صبية النار ، بنص النبي المختـار ، ومَن نص الحكيم على فسقه في آيتين من كتابه الكريم ، وولى صلى الله عليه عمرو بن العاص في البعث الأكبر ، وهو المقصود بأنه الشانئ الأبتر ، وخالد بن الوليد سماه سيف الله المسلول ، مع أنه حكم في الدم المطلـول ، بـرفض المسموع وتحكيم المعقول ، وتبرأ صلى الله عليه من فعله . ومع ذلك لم يقض بتحريم ولايته ، ولا تأخير إمارته ، بل جعله بعد ذلك أمير الجيوش الإسلامية ، واجتمع المسلمون على إمارته بمؤتة ، واقتفى أبو بكر في ذلك أثره ، وكان من خالد في بني تميم ما قبحوا به خبره ، وتبينوا به مخبره .

فأما أمير المؤمنين عليه السلام فإنه ولى أبا موسى الأشعري وهو يشـير إليه بالخيانة ، ويظهر أنه ممن يموه على المسلمين بالتعمق في الديانة ، وكذلك زياد بن أبيه وغيرهما ، ويكفي المستبصر ما ذكره عليه السلام عنـد صـفة أصحابه من قوله: « يا أشباه الرجال ولا رجال... »[1] إلى أن انتهى إلى آخر كلامه فقال: « لو ائتمنت أحدكم على قعب ، لخشيت أن يذهب بعلاقته »[2].

أتراه أيها المعترض ولا هم مع اعتقاده لخيانتهم ؟! وهو الناطق بـالحق ، والمتولي للبيان في ذلك الأوان ؟! أو ترك ولايتهم حتى ضـاعت الأقطـار ، واستبيحت الثغور وعفت من الدين الآثار ؟!

---

(١) نهج البلاغة ، الخطبة/٢٧.

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة/٢٥.

فإن قلت: بالأول ، فهو الذي قصدناه في معنى الوكالة ، وإن قلت بالثاني ، فهو مما علم أنه لم يقع ، حتى قُبِض سلام الله عليه ورضوانه ، على أن من قاس الأمر بالأمر علم أنه عليه السلام كان في القرن الثاني والثالث من الذين قال فيهم نبينا صلى الله عليه وآله: « خيركم القرن الذين بُعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم »(١) . فإذا كان الأمر في أهل زمانه عليه السلام مع قربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكونهم خير الأمة هكذا ، فكيف يكون حال أهل زماننا الذين هم حثالة التمر ، ونفاضة العلم ؟! فإذا اضطر عليه السلام إلى ولايتهم ، والاستعانة بهم ، وهم على تلك الصفة ، لئلا يبطل الجمهور من أمور الدين ، فنحن كذلك أيضا .

وأما الثالث وهو المتفجع فإنه قرى وما درى ، وجهل أحكام الولاء والبراء ، والله تعالى يقول لنبيه نوح عليه السلام لما عطفته على ولده عواطف الرحم والرحمة ، عند هموم سحائب العذاب والنقمة: ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ [هود: ٤٦] ، هلا رجعت عن أبعد الصحابة ، كما رجع نوح عن أقرب القرابة ، وعلمت أن حق الله أولى بالرعاية ، ودينه أحق بالذب والحماية ، على أن هذا طعن في السيرة وقد قال بالإمامة ، أو تعرض أن أصولها بعيدة عن السلامة ، قريبة من السلامة .

وأما الرابع وهو الشاكي لنفسه ولغيره من سوء الحظ ، وقلة ذات اليد ، فهو يوجه الملام إلى من لم يخط ولا ألام ، والأرزاق عندنا قضايا قدرية ،

---

(١) أخرجه البخاري٢/٩٣٨ (٣٥٠٨) ، ومسلم٤/١٩٦٤(٣٥٣٥) ، وأحمد٢/٤١٠(٩٣٠٧).

وأمور سماوية ، « لا يجرها حرص حريص ، ولا يردها كراهة كـــاره »[1] ، كما ورد في الخبر عن سيد البشر على أن ما كان إلينا من ذلك فقد بذلنا فيه جهدنا ، وأدينا وجدنا ، توخّيًا لمواضع الحاجة والاستحقاق ، أو المصلحة في الدين ، كعطايا المؤلّفين على قدر ما أدى إليه اجتهادنا ، ووقع في أيدينا مـــن رزق ربنا ، والقسمة أيضا من حملة السيرة ، والاعتراض مع تسليم أصـــولها يؤذن بضعف البصيرة ، على أن الذين نأخذه هو الصدقات ، وهي كانت في الأصل تضيق بالفقراء ، فكيف تَسع بجميع الوجوه المصروفة فيها اليوم ، لو لا لطف الحكيم بالبركة فيما قسم على هذا التقسيم .

وأما الخامس وهو الشاكي من سُدة باب أو شدة بواب ، فإنه لم يخلص السريرة ، ولا نظر بعين البصيرة ، لأن من له أدنى خبرة يعلم أنـــه لا يمكـــن قضاء حاجات الناس دفعة واحدة ، بل يتمانعون ويتدافعون لا سيما مع عدم الكفاءة وقلة المعاونة ، على ما يلزم أهل الديانة ، وكأن القائل بذلك ما سمع نهي الله تعالى عن دخول بيت نبيه وغير نبيه إلا بإذن ، وأمر بالرجوع عنـــد عدم الأذن ، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّـــا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَـــدْخُلُوا

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ٢١٦/١٠(١٠٥١٤) ، والقضاعي في مسند الشهاب ٩١/٢(٩٤٧). بلفظ: عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا ترضين أحدا بسخط الله ، ولا تحمدن أحدا على فضل الله ، ولا تذمن أحدا على ما لم يؤتك الله ، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهية كاره ، وإن الله تعالى بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن في السخط .

بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) ﴾ [النور] .

على أن ذلك إنما كان متوجها أو مقبولا لو كنا خالين على اللذات ، أو منافسين في طلب الراحات ، وليس الأمر كما ظنه ، بل إنما خلو بشغل عن شغل ، وبزيد عن عمرو ، فما ننفك ليلا ولا نهارا ، ولا نطعم العيش إلا نزرا ، ولا النوم إلا غرارا ، نذكر ذلك تعريفا لا افتخارا ، مع أن ذلك المتحدث يلوم عليه فإذا دخل وخلا بحاجته عذر نفسه ، وبسط أنسه ، وأمر بإيثاق الباب ، وشدة البواب ، وغلظة الحجاب ، حتى يقضي حاجته ثم يخرج معتذرا عنه وعنا ، وعاذرا فيما كان من قبل يعيبه منا ، وليس بينه وبين أن يعود لائما ، أو يصبح بغيظه كظيما لا كاظما ، إلا أن يعود لحاجة أخرى ، يوضح دون قضائها بفورها عذرا ، ثم يرجع يُهينم في نفسه بالملامة ، ويهز رأسه إيهاما لوَهَن وَجَدَه في هذه الإمامة ، وقد خبرنا هذه الأحوال ، وتصفحنا هذه الخلال ، فوجدناها كذلك علما يقينا ، وإتقانا رصينا ، مع أن لنا بأبينا صلى الله عليه أسوة في رد خير الناس من بابه ، « وأمره صلى الله عليه وآله بالشدة في حجابه ، حتى انقلب علي عليه السلام عن أنس بن مالك ثلاث مرات »[1] ، وهو « خير البشر ، بعد النبي صلى الله عليه »[2] ، بنص الخبر .

---

(١) أخرجه الكوفي في مناقبه٢/٥٢٣ (١٠٢٦) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الامام علي ٢/٤٤٥ (٩٦٢-٩٦٤).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الامام علي ٢/١١١ (٦١٧) ، وابن المغازلي الشافعي في مناقبه /١٦٨ (١٩٩) ، والمحب الطبري في ذخائر العقبى /٦١.

وأما السادس وهو المعذّر في لزومه قعر داره ، وحل أوتاره ، فإنه على قسمين:

أحدهما: أن يكون صادقا على عظم المشقة وبعد الشقة ، فيكون معذورا عند ربه ، وداخلا تحت قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ٩١] ، وقال: ﴿ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ (٩٢) ﴾ [التوبة] ، فإن الله تعالى عذر النبي صلى الله عليه فيهم وعذرهم عنه ، هذا ما لم يضم إلى عزمه ملاما ، فيقترف بذلك حوبا وأثاما ، فيكون معذورا غير مشكور ، ومبتلى غير صبور .

والثاني منهما: أن يكون غير صادق في عذره ، ولا منقوص في أمره ، فهذا قد جمع بين وجوه من الإثم:

أحدها: الكذب .

والثاني: الاعتذار عن الواجب بما ليس بعذر .

والثالث: الطعن علينا ، وخصم هذا ربه وهو المجازي عنا يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، يوم الآزفة والطامة ، ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠] .

وأما السابع وهو المعتذر بكثرة ماله ، وصولة أطفاله ، وترادف أشغاله ، فجوابه في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ... ﴾ [الفتح: ١١] الآية . فإن الله تعالى لم يعذرهم بذلك ، و لم يخرجهم من قسم مالك ، وحكم عليهم بالمهالك ، وعدل بهم عن نجاة المسالك .

وأما الثامن وهو الذي يعتقد أنه حُط عن منازل أمثاله ، وقَصُر به عن درج أشكاله ، فجعل ذلك عذرا عن الجهاد بنفسه أو ماله ، فجوابه في قوله تعالى: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) ﴾ [التكاثر] ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٢] ، على أنه لا يمتنع أن يكون اعتقاده في نفسه ذلك ، وإمامه يرى أنه ليس ممن سلك في هذه المسالك ، بأن يكون أقل كفاية ، وأنقص ممن لحظه بالحسد عناية ورعاية ، والإمام يؤثر اجتهاده على إجتهاد ، وما رآه من المصلحة على مراده ، ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ، على أن هذا إذا لم يجب على الإمام ، لم يكن تركه مطعنا عند كافة أهل الإسلام ، على فحوى ما تقدم من الكلام .

وهذه الأقسام التي ذكرناها لسنا نعم بها ، فإنا قد قدمنا في صدر كتابنا أن الإمامة إنما قامت شواهدها ورسخت قواعدهابالعلماء والأفاضل من أهل البيت عليهم السلام ، وأتباعهم من علماء الإسلام ، وإنما قد علموا وعلمنا أن ما ذكرناه قد كان ، ومع ذلك أنا لا ندعي عصمة مقطوعا بها في أنفسنا ، وقد عاتب الله تعالى أنبياءه وعدلهم جرما وذنبا ، من نحو قوله تعالى: ﴿

وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ﴾ [طه] ، وعتب على الذاهب مغاضبا وامتحنته ، وامتحن يوسف عليه السلام بسبب قوله: ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ [يوسف: ٤٢] ، وقال لمحمد عليه أفضل الصلاة: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٣] ، وغير ذلك ، و لم يخرجوا بذلك عن أن يكونوا صفوته من خلقه ، وأمناءَه على وحيه .

كذلك نقول: إن كان لنا ذنب في رأي أو غيره ، مما لم نقصد به معصية ولا نتعمد على ربنا جرأة ، من باب التأويلات وما يجري مجراها ، فإن اختيار الله تعالى لنا للإمامة غير زائل ، وحكمه بسبقنا على أهل عصرنا غير حائل ، فإن عليا عليه السلام وهو الحُوَّل القُلَّب يقول في تولية محمد بن أبي بكر رحمه الله لمصر وعزل قيس بن سعد عنها:

لقد زللت زلة لا أعتذر سوف أكيس بعدها وأعتبر
وأجمع الرأي الشتيت المنتشر

وكذلك ولاتنا وأمراؤنا ومن يتصرف عنا ، يجوز أن يخطئ الواحد منهم خطيئة يستحق بها عزلا وإقصاء وبعدا ، ويجوز أن تكون خطيئته مما تبقى معها ولايته ، فلا تبطل عندها سعايته ، فيقوِّم من أَوَده ، ويُشفى من لدده ، ويقال له: لعا من عثاره ، ولا يزاد خطبا في ناره ، ويجوز أن يكون فيهم المحسن كثيرا ، ومن إحسانه أكثر من إساءته ، ومن لا يقوم مقامه غيره ، ولا يسد مسده سواه ، ويجوز أن يكون فيهم من قد استتر عنا حاله ، واختلف مقاله وفعاله ، ولسنا نعلم الغيب ، ولا ندعي العصمة التي عم الله بها عموم ملائكته

وأنبيائه ، وجاز أن يختص بها بعض أوليائه ، من غير أن يقوم بها فيه دلالة ، ولا يشهد له بها آية ولا رواية .

ونحن نقول: هلم إلى المعاونة على البر والتقوى التي أمر الله تعالى بها ، وفتح بين المسلمين غلق أبوابها ، حيث يقول سبحانه: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ - ومعصية الرسول - وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢) ﴾ [المائدة] ، وقد علمتم وفقكم الله وهداكم ، وحرسكم عن معاصيه وكلاكم ، طريقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعموم وجوبهما على الكافة مع تكامل شرائطهما ، وشرائطهما بحمد لله فيكم متكاملة ، وفروضهما على الجميع منكم حاصلة ، فمن علم من أهل العلم أو غيرهم ممن يعرف المعروف أو ينكر المنكر من أحد من ولاتنا أو أمرائنا ، ومن يتصرف عنا من أخ أو صاحب أو خادم أو متصرف في جليل أو دقيق خللا أو رأى منكرا ، أو ظلما ، أو عسفا ، أو ضياع حق ، أو جورا في رعية ، أو حيفا في قضية ، أو تسلطا على الناس ، أو قلة التفات على الصواب ، أو استخفافا بحقوق المسلمين ، أو جهالة بحرمة الدين ، أو قبيحا يختص به المقصود في نفسه ، ولم يكن من باب الظنون والتوهمات التي تضعف أمارتها ، أو مما يستند إلى المنقولات الواهيات ، أو من التجسس الذي نهى الله تعالى عنه ، أو من الظن الذي أخبر الله تعالى بأن بعضه إثم ، وهو الظن الذين يستند إلى غير أمارة ، أو إلى أمارة لا يُعتمد عليها ، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [الحجرات: ١٢] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢] .

فقد أمرناه بشيء قد أمره الله تعالى به ، وهو أن يقوم بذلك الفرض ، أو يغير ذلك المنكر ، أو يقيم تلك السنة ، أو يمحو تلك البدعة ، أو يأخذ للمظلوم من ظالمه بحقه ، أو يصغر المنكر في نفسه ، أو يقوم المصغِّر من خده ، قاصدا لله تعالى في فعله ، لا لغرض يريده من إسماع قاله ، أو تفخيم حاله ، أو كسب هيبة ، أو تحصيل جلالة ، بل لما أمر الله تعالى به من تقويم الأَوَد في الدين ، وقمع ما نجم من فساد المفسدين ، فإن القاصد لما ذكرنا يبارك الله له في فعله ، ، ويمضي قوله ، ويُتَّبع أمره ، ولا يَقُلَ في نفسه: أنا صغير عن هذه المترلة ، أو صاحب هذا الفعل كبير ، آن أمره وأنهاه ، فإن كلمة الله هي العليا ، وأمره هو الأولى ، وليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله ، ولا دون أن ينهى عن معصيته ، والقائم بأمر الله نائب عن ولاة أمر الله ، من نبي أو وصي ، أو إمام أو ولي ، وما نفذ من ذلك ومضى ، أصاب به الغرض لنفسه ولنا ، وما تعذر عليه من ذلك لتعذر نصره ، أو قلة قدره ، أو عدم منفذ أو بُعد أعانة من منفذ ، أنهاه إلينا ، وبث شكواه علينا ، فإنه يجد منا في كل شيء وضحت سبيله ، وأنار دليله ، ما يقمع كل ظالم ، ويرد بغيظه كل آثم ، ويصغر كل متكبر ، ويذلل سلطانُ الله كلَ متجبر ، وإلينا يرجع الغالي ، وبنا يلحق التالي ، ونحن أولوا الأمر المردود إليهم مشتبهاته ، والمطلوب من لديهم أدلته وبيناته ، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣] ، وقال تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] ، .وهاتان الآيتان لنا وفينا أهل بيت النبوة ، وأمرنا من أمر الله وطاعتنا من طاعته ، ونحن عِدل الكتاب ، والحجة الناطقة

بالصواب،وقال صلى الله عليه: « إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتى أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » ، وهذا يكون في الجملة بالإتفاق من أهل البيت عليهم السلام وأشياعهم ، واتفاقهم حجة بما لا يسع هذا المسطور ، ويكون في الآحاد منهم ، وهم ولاة الأمر لما تقدم من الأدلة على وجوب الانقياد لولاة الأمر ، والاقتفاء لآثارهم ، والاهتداء بمنارهم ، ولِماَ جعل الله تعالى لهم من الولاية التي حتمها ، والزعامة التي أحكمها ، ولما ورد به الأثر المنقول ، في ذرية الرسول: « إن عند كل بدعة يكون من بعدي يكاد بها الإيمان وليا من أهل بيتي موكلا ، يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكايدين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار » ، وفي هذا أبلغ الدلالة على أن الواحد من ولاة الأمر ، يقوم مقام الجملة في وجوب طاعته والتمسك بأمره ، والأخذ بقوله ، والاقتداء بفعله .

ونحن أيضا نقول: من صلح لأمز من أمرنا ، من ولاية في قضاء ، أو تصرف في قبض أو إعطاء ، أو إمارة جيوش ، أو أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو دعاء إلى دين ، أو إيضاح ليقين ، فإنه يجب عليه أن يبرز صفحته لنا ، ويعرض أمره علينا ، وقد ألزمنا كل واحد ممن ذكرنا عراضة نفسه ، والقيام بفرضه ، ومعاونتنا على ما ذكرنا ومن تقاعد مع ذلك عنا كان كلامه واهيا ، وحجته ساقطة ، ونصحه غير مقبول ، وباطنه مدخول معلول ، ونحن نأمر بذلك جميع من وقف عليه ، وبلغه من المسلمين من العلماء الراشدين ، والمتعلمين المسترشدين ، ومن يَقْفُوهم من سائر أهل الدين ، فيما يتعلق بأمور

أهل التقوى واليقين ، لا سيما مع أمرنا بذلك لكافتهم ، بعد أمر الله تعالى بالمعاونة لجماعتهم ، وإن كان التكليف شاقا والأمر صعبا ، فهو باجتماع المسلمين عليه يسهل ، وبتظاهرهم على القيام بفرضه يتم ويكمل ، والله تعالى أمر بالقيام بذلك عاما ، وإنما جعل لهم من أنفسهم في أحكام ذلك الأمر نظاما ، سماه هاديا وإماما ، وأمرهم بتوقيره وتعزيزه ، وتعظيم أمره وتكثيره ، فعليه فرض وهو ألا يخل بما أمر به ، وعليهم مثل ذلك في حقه ، فأقل أحوالهم إن كانوا من المقصرين ، أن يكفوا عنه المطاعن:

ليت حظي من أبي كرب أن يسد خيره خبله

فأما نحن في أنفسنا ، فمن أشكل عليه أمر ، أو اشتبه عليه حال في سيرة أو قضية ، أو ولاية أو رعية ، يختص بنا أحكامها ويتعلق بأكفنا زمامها ، فليواصلنا أو يراسلنا على قدر إمكانه ، كاشفا قناع المساترة ، آمنا سطوة الجبابرة ، فليعرض ما معه ، ولينقد ما جمعه ، حتى تميزه نُقّاده ، ويتضح له إصداره وإيراده ، ويكون قد رجع إلى من أمره الله بالرجوع إليه ، واعتمد على من أوجب الله الاعتماد عليه ، فإن آل محمد صلى الله عليه وعليهم هم ماء الحياة ، وسفن النجاة ، وهم الذين أوجب الله في كتابه مودتهم ، وأوضح على لسان نبيه محجتهم ، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣] ، وقال صلى الله عليه وآله: « مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » ، وإن كان لا يجب علينا بعد ثبوت الإمامة بالأدلة الواضحة ، والبراهين اللائحة ، المباحثة على السيرة ، والاحتجاج على كل صغيرة وكبيرة ، ولكن هذا زيادة في الحجة ،

ومحبة الإيناس والمعاونة على نفي الشبهة ، لمن جاز أن يُلَبِّس على نفسه ، أو تلتبس عليه جلية يقينه لعارض لَبْسِه ، ولعل ذلك يكون زيادة في الإيمان ، واستظهارا بالاطمئنان ، لمن يجوز أن تعتريه الشبهات ، أو تغيره عن سنن الرشد التمويهات ، فإن الناس بين مستقيم وميال ، ومختدع بلامعٍ آل عن سلسال زلال .

ونحن نعلن إلى كل مسلم ، بالبراءة عن فعل كل مجرم ، ونقول كما قال صلى الله عليه: « اللهم إني أبرأ إليك مما فعله خالد »(١) ، ونعقب فعله بما عقب صلى الله عليه من جبر الخلل ، وإقامة الميل إن وقع ذلك ، مع أنا نرجو أن مكن الله في البسطة ، وزاد في القدرة ، حتى يرجع أهل الضلال عن ضلالهم ، ويبلغ المسلمون إلى نهاية آمالهم ، أن يزول كثير مما تعظم به الشبهة ، ويقع بسببه الحرج على كثير ممن لم يرد مشارع البصيرة ، فإن الضرورات عند تضايق الحالات ، ألجأت إلى وقوع كثير من هذه المشكلات ، من إنصاف من لا يستحق الإنصاف بفعله ، وإنما يجيء به لضرره على المسلمين أو لنفعه الذي لا يقع منه إلا بأن يرفع في الدنيا وحطامها على أهل الدين ، ويؤثر بالعطاء على المخلصين ، وأن يكون بعد ذلك ما يكون من إظهار شعار الدين على الكمال ، والعمل بما أمر الله به من غير إخلال ، فإن كثيرا من أمور الدين مهمل ، والمجمل في ذكره يغني عن المفصل ، وعلينا بذل الجهد في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٥٧٧ (٤٠٨٤) ، والنسائي في المجتبى ٨/ ٢٣٧ (٥٤٠٥) ، وأحمد في مسنده ٢/ ١٥١ (٦٣٨٢) .

القيام بالصلاح ، والسعاية في علو كلمة الحق بـــالأموال والأرواح ، ولـــيس علينا أن يقع المقصود ، بعد إبلاء المجهود:

لأمر عليهم أن تـــتم صـــدوره وليس علـــيهم أن تـــتم عواقبـــه

فنسأل الله تعالى أن يهدينا جميعا إلى الرشاد ، وأن يعضـــدنا بـــالتوفيق والسداد ، وأن يبصرنا السنة ويصرفنا عن البدعة ، وأن يرزقنا الثبات علـــى الحق ، ويجنبنا مداحض الباطل .

وهذه الرسالة إلى إخواننا المسلمين على وجه الإجمال ، والإشارة على ما نحن عليه من تراكم الأشغال ، وتضايق الأحوال ، فلينتفعوا بها ولْيَحْملونا على أحسن ما يحمل عليه مثلنا من مثلهم ، أيدهم الله بهدايته ، وأسبل عليهم ستر رعايته وحمايته . والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمـــد وآلـــه وسلامه . تمت الرسالة المباركة .

عهد لبعض أمرآئه وولاته

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبنا الله وحده ، هذه بصيرة وتذكرة ، ليعتمد على العمل بما فيها [مَن] أمده الله بتأييده ، وضاعف عليه مواد توفيقه ، وسلك به منهج الصواب ، وأخذ بيده إلى موافقة مقتضى السنة والكتاب ، وهي تتضمن أمورا مفترقة:

أما أولها: وهو على الحقيقة مجموعها ، فيكون مدار أمره على تقوى الله تعالى في السر والجهر ، وعلى كل حال من شدة ورخاء ، وسراء وضراء ، فإنه الأصل الذي له قصدنا ، وعلى إيثاره في جميع أمورنا اعتمدنا ، وبه يحصل العون من الله تعالى ، والنصر على العدو والسلامة في الأولى والآخرى .

وبعد ذلك: فإن الله تعالى قد ولانا أمور عباده ، وهو لا محالة سائلنا عن ذلك ، « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ، كما ورد عن جدنا صلى الله عليه والسائل لا بد له من جواب ، وهو لا يقبل سبحانه منا إلا الصدق ، ولا يجازينا إلا على ما فعلناه ، إن أصلحنا فجزاء ذلك ثواب جزيل ، وثناء جميل ، وإن غيَّرنا وبدَّ لنا فعقاب وبيل ، وذم من الملك الجليل ، فليلاحظ هذا الأصل أيضا ويعمل بمقتضاه ، من السيرة المحمودة في رعيته ، فإنهم عباد الله ، أمر فيهم بالعدل ، ونهى فيهم عن الظلم والجور ، ولا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه .

فإذا قدمتَ – أعزك الله – إلى عملك ، وموضع ولايتك ، دعوت الناس قبل كل شيء إلى طاعة الله تعالى ، من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والقيام بما افترض الله سبحانه بعد لك من الواجبات ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، وموالاة أولياء الله ، ومعاداة أعدائه ، ومتابعة أهل البيت عليهم السلام في أقوالهم وأفعالهم ، فإنهم سفينة النجاة ، وماء الحياة ، وباب حطة الخلق ، وسبب نجاة أهل الحق ، وبأولهم هدى الله تعالى هذه الأمة ، ويهديهم سبحانه ويصلحهم بآخرهم ، وتُعَرِّفهم بأن إمامنا وإمامكم أمرنا فيكم بذلك ، فاسمعوا له وأطيعوا .

وبعد ذلك تأمرهم بتسليم حقوق الله تعالى من أموالهم على وجهها ، من غير أن يخلوا شيئا ، ومن غير أن تطلب منهم سوى ما يجب عليهم ، وتعلمهم أن من سلّم ما يجب عليه طايعة بذلك نفسه ، استحق رضوان الله والسلامة من عقابه ، ومن امتنع عليها أخذناها منه كرها ، « وكان ثوابها لنا وعقابها عليه » ، كما ورد الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، هذا في واجبات الأموال وهو العشر مما أخرجت الأرض ، من كل قليل وكثير ، لا يعتبر في ذلك نصاب ، ولا يراعى بلوغ قدر معلوم .

وزكاة المواشي وهي: البقر والغنم والإبل ، إن كانت في ولايتك ، والزكاة فيها معروفة لا تكون إلا بعد بلوغ النصاب ، ولا يعتبر في ذلك أن يجمعها الماء ولا المرعى ، فإن ذلك كان رأيا رأيناه ، ثم رأينا بعد ذلك أنها لا تؤخذ إلا مما بلغ النصاب من هذه الأصناف .

وزكاة أموال التجارة تطالبهم بها ، وهي لا تجب في السنة إلا مرة واحدة بعد أن يبلغ النصاب ، والنصاب في الفضة مأتا درهم قفلة ، وفي الذهب عشرون مثقالا ، وفي ذلك ربع العشر بعد بلوغ هذا القدر المعروف ، ومن امتنع عن ذلك أخذ منه ومثله ، عقوبة في منع ما يجب عليه من حق الله تعالى ، هذا في أموال التجارة ، وفي أعشار الخارجات من الأرض .

ثم بعد ذلك تمنعهم من التظالم ، والتهارج والفساد في الأرض ، فمن ظلم غيره قمت مع المظلوم حتى يستوفي حقه ، ويصل إلى غرضه ، وحقرت الظالم وأدبته ، إن تمادى في غيه وظلمه ، حتى يرجع إلى الحق ذليلا حقيرا ، على قدر خطيئته ، وقدر ما فعل من الظلم .

ومن فعل معصية من معاصي الله مما يوجب الحد ، سألت أهل المعرفة ممن هو في جهتك من أهل الثقة والأمانة والعلم بحكمه ، فإن استحق الجلد جلدته ، وإن استحق القطع قطعت يده بعد التبصر في أمره ، بفتوى أهل الورع والثقة والعلم . وإن استحق القتل بالفساد في الأرض أيضا قتلته ، فإن هذا حكم الله تعالى في المحاربين ، وأهل المعاصي ذوات الحدود .

وما التبس عليك من هذه الأشياء ، أو على صاحب جهتك الذي هو القاضي والعالم ، رفعتم حكم ذلك إلى إمامكم ، ليحكم فيه بحكم الله ، ويأمركم فيه بما أوجب الله تعالى ، فإن الله تعالى لم يترك حكما يجب علينا ، أو يدخل تحت تكليفنا ، إلا وقد دل عليه . ومع ذلك عند وصول الجهات تأمر لمن يصلح للقضاء في الجهات ، ممن قد صار في يده منا ولاية ذلك ، فتثبت أمره ، وتشد أزره ، وتعرّفه أنك معرف لأحكامه ، وقائم معه على ما

حكم به وأنفذه ، لتجري أمور الدين بالاستقامة في بلدك ، وتأمره أن يـــولي الأوقاف والوصايا والمناهل والمساجد والطرق والفقراء ، و يُصلح ذلك وأنت القائم معهم بما يجب ، وما كان من أوقاف مصرفها بيت المال ، كان ذلـــك عندك محفوظا حتى نُعلمك كيفية صرفه .

ومتى قبضت هذه الواجبات المأخوذة من الناس أخرجت ربعها وميزته ، وأحطت علما بما في الجهة من الأيتام والضعفاء والفقراء والمسلمين أهل الحاجة ، فأعطِهم على قدر ما يحتمله حالهم ، فإن لم تبق شيئا فقد أصبت في فعلك ، وفعلت ما أمرت به ، وإن بقي شيء من ذلك ، أنهيت علمه إلينـــا ، حـــتى نأمرك فيه بما نعتمد عليه إن شاء الله تعالى ، والثلاثة الأرباع تصرفها فيما قد تحملت أمره عنا من الخيل ، وهي عشرون فارسا أجوادا ، أهل عُدد وكمال في السلاح والآلة ، وأربعون راجلا من أهل الشجاعة والنفاسة ، لا يطلبـــون منا بعد ذلك شيئا في وقت حرب ولا سلم .

وهذه وإن كانت زكاة وهي محرمة على الأشراف ، لنحاسب بها ربنا ونتحرى فيه بعد العلم بمقدار ما يخلصنا .

وإذا جنى رجل جناية أو أحدث فسادا أدبت فيه بقدر ما يحتمله ، فإن جهلت مقداره بلّغ رسولك إلينا حتى ندلك على ما نعرفه مما يخلصنا ويخلصك إن شاء الله ، ولا تستعمل في جهاتك إلا أهل الثقة والأمانة والدين ، فـــإذا عدمت أهل الدين ولّيتَ من لا يخونك ، ومن يحتفظ بما يُحصّل ، فإن كـــان قليل الدين جعلت عليه أيضا من يترقب عليه ، لئلا يتعدى على المســـلمين ، ولا يأخذ منهم ما لا يجوز ، وعليك التحري في ذلك بجهدك ، وهذه السبيل

هي سبيلي أدعو إليها وآمر بها ، فمن سمع ما دعوته إليه أو أمتثل ما أمرته فهو موافق لغرضي . وأنا إمامه ومن خالف ذلك فأنا بريء من فعله فيما بيني وبين الله تعالى ، وهذا لجميع من تولى مني واستعملته على عمل ، فمن أحسن فإحسانه لنا يوفقنا لمرضاته . والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلامه . تم ذلك .

عهد آخر

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبنا الله وحده ، وهذه الولاية أمانة ، عَهِدَ إليه فيها إمامه عهدا ، عليه القيام به والعمل بما تضمنه ، وهو أنه أمره بتقوى الله وإيثار طاعته ، على جميع الحالات في الغضب والرضى ، والسر والجهر ، والقرب والبعد ، وأن يجعل ذلك أساس أمره ، والأصل الذي يرجع إليه .

وبعد ذلك بالنظر في أمور الجهات ، والمعرفة بأحوالها على التفصيل ، وجباية خراجها ، فما كان عشريا أخذ منه العشر ، من قليل ما يخرج من الأرض وكثيرة ، إما خرصا يتحرى فيه خارصه موافقة المقصود من غير زيادة ولا نقصان ، بحيث أن صاحب المال إن تصور الزيادة عليه كان الخارص بأخذه مما خرص طيبة بذلك نفسه ، ويسلّم ما يخص صاحب المال ، وإما قسمة تمييز حق الله تعالى من حق غيره ، من غير إضرار بصاحب المال ، ولا تفويت لما وجب إخراجه لله تعالى من الحق ، ويولى ذلك من يثق به من أهل الديانة والأمانة والمعرفة بمواقع ما ذكرناه ، فكم من أمين!! ورُبَّ وَرِعٍ يعجز عن استيفاء ما وجب ويضعف عن ذلك ، وإن عدم صاحب الورع والدين لم تعدل عن صاحب الأمانة ، لأنها الأصل فيما ذكرناه ، لأن كثيرا من ذلك بمنزلة الوكالة ، لا يعتبر فيها العدالة ، وإنما يعتبر فيها أن يكون صاحبها أمينا فيما وُكّل فيه ، كذلك ينبغي لمن أُمر بقبض الحقوق أن يكون أمينا في القبض

على وجهه ، والتسليم إلى مُوَكّله فيما يغلب على الظن ، ويقضى به النظر والتحري .

وما كان خراجيا من ذلك لم يؤخذ فيه إلا ما وضع من الخراج ، وهو الذي يضعه إمامه ، وتفصيل البلاد الخراجية والعشرية يكون تعريفه في غير هذا الكتاب ، وإذا قبض ما ذكرناه من عشر وخراج ميز كل شيء عن نقيضه ، ليصل كل شيء إلى مستحقه ، ويُصرف إلى مصرفه ، وآمره أن يسلك بالرعية المطيعين مسلك العدل والترفيه ، من النظر في أمورهم ، والاستماع لشكواهم ، والقرع لقويهم عن ضعيفهم ، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم ، والرحمة لهم والتحنن عليهم ، فالنبي صلى الله عليه يقول: « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »(١) ، وأن تشتد وطأته على المفسدين والمرجفين،وأهل المعصية لله والتمرد عن استيفاء الحقوق ، من غير أن يأخذهم بغير ما جنوه ، أو يقبل فيهم ما لا يلزم به الحكم .

وأن تكون سيرته إذا دخل بلدا أمر أهله قبل كل شيء بطاعة الله ، من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإيفاء المكيال والميزان ، والقيام بالمصالح ، والبعد من أعداء الله ، والقرب من أولياء الله ، وتوفير ما يلزمهم إخراجه بعد ذلك ، والجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فإن ذلك سنام الدين ، وبه استقامت قواعد التقوى ، وخمدت نيران أهل الباطل ، وجُعل له الولاية في أن يأخذ أجرة عمله مما يجوز لمثله من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣٠٤ (٨٥٣) ، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٥٩ (١٨٢٩) .

الأشراف ، من خراج أو خمس أو شيء يؤخذ من غير الزكاة ، فإنها محرمة على بني هاشم ، كما وردت به السنة الشريفة . وفي الحلال مندوحة عن الحرام ، والله تعالى أحق أن يتقى معاصيه ، وآمره أن يفتقد علماء الجهات وذوي التدين منهم ، فيجري عليهم كفايتهم من ربع الواجبات المأخوذة ، من غير إضرارا بالضعفاء والأيتام في قدر ما يخصهم ، وأن يتحرى في تقسيط ذلك بجهده ، وأن يولي على ذلك على الخصوص من يوثق به في القبض والتفريق ، وأن يكون عينا على أهل الحصون في ولايته ، ليكون كل منهم واصلا إلى حقه ، ويكون المخزون فيها معلوما مقدَّرا مُعَدًّا لوقت الحاجة ، وعليه الرجوع فيما يغتر به من المشكلات ، وينوبه من القضايا المدلهمات ، إلى إمامه إن كان قريبا يتمكن من الرجوع إليه في ذلك ، قبل فوات وقت الحاجة فيما دهمه ، فإن كان بعيدا أو الوقت ضيقا ، يرجع إلى من في جهاته من العلماء ، أهل الورع والدين والبصائر ، وليتحرى أعلمهم وأفضلهم في جميع الخصال ، فليعمل بما يأمره به ، وليكن معه في جميع الحالات من أهل العلم والورع والصلاح ما يقارنه ويباشره ، فالمرء يتحلى بحلية قرينه من صلاح أو غيره ، وليبعد عن مجلسه في جميع حالاته أهل الفجور والفسق والمجون ، فإن الأمر جد ، والقصد أن يرضى خالقه ، ويتخلق بأخلاق آبائه عليهم السلام ، وهذه سننهم .

وليصمم في الأمور تصميم المجد ، فإن الدين لا لعب فيه ، وهو مسئول عن دقيق أموره وجليلها ، وقد صار إمامه يعتذر إلى خالقه به عند السؤال ، وليكن باطن أمره فيما ذكرناه من طاعة الله كظاهره بل أبلغ ، فإن السريرة

المحمودة التي بين المرء وربه يجازى عليها فاعلها بالتأييد من خالقه ، والثبات والتوفيق . فنسأل الله تعالى أن يرزقنا ذلك .

وعليه أن يترك في كل بلد من الحكام من قد ولياه ذلك ، ويشعره بإنفاذ ما قد أُمر به ، ويجعل معه من يشد أزره ، ويمتثل أمره ، ويعينه على ما صعب من أحواله ، ليكون المصالح جارية على ما أمر الله تعالى به ، وأن يوقر أهل الدين ويلطف بهم ، ويعظم حقهم ، تقربا إلى الله تعالى ، فإنهم أولياؤه ، ويصغِّر أعداء الله المعروفين بالمعاصي ، فإن ذلك حكم الله وسنته ، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) ﴾ [الفتح] .

ومن جنى جناية على غيره لم يتعرض بالشدة عليه فيما فعل ، حتى يستنصف منه المجني عليه بما يقتضيه الحكم ، ثم بعد ذلك إن كان يستحق عقوبة أستأمر إمامه وعمل بحسب ما يأمره ، وإن كان لا يستحقها فقد خرج من حق صاحبه طوعا أو كرها .

ومن فعل ما يوجب الحد ، واستحق ذلك بقول الإمام ، أو قول حاكم البلد المنصوب فيها ، المتحري المتثبِّت ، أمضيت ذلك عليه ، من غير معاداة بمال ولا غيره ، ولا محاباة في دين الله ، فإن الذي انتهكه من معصية الله أعظم من كل عظيم ، والنظر في الاستحقاق ، وطلب الإسقاط بالشُّبه ودرئها بما يقتضي ذلك إلى الإمام أو الحاكم ، وعليك الإنفاذ عند الأمر بذلك من غير تأخر ، وعليك أن تمنع الناس من إثارة الحروب فيما بينهم والتظالم ، وتظهر عليهم الشدة في ذلك ، وتأخذ على أيديهم ، فإن النهي عن المنكر يقتضي ذلك ، والنظر في المصالح يشهد بما ذكرنا .

وقدِّر عند نفسك وصوِّر عندها أن هذا العمل الذي توليتـــه أمانـــة في عنقك ، وليس بطعمة لك ولا مال ، إنما هو مال الله وأمانته ، فاحملـــه بمـــا حملت به الأمانة ، واعمل به بما عمل به ذوو الخشية على نفوسهم من سخط الله ، فالدنيا ليست بباقية ولا دائمة ، وعقاب الله دائم ، وسخطه مهلـــك ، فنعوذ بالله من شرور أنفسنا ، فإنها أمارة بالسوء ، و ﴿ قُلْ هَـــذِهِ سَـــبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، ومن فعل خلاف ما أمرته ، أو مالت به نقيصته عما ذكرته له ، فأنا بريء من فعله عنـــد الله أشهد ربي بذلك ، وهذه البراءة فيما لم أعلمه وما علمته ، فأنا من دون ذلك بالشدة والتغيير والإنكار قولا وفعلا ، وأسأله المســـامحة وهـــو ولي التوفيـــق والإعانة . والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وســـلامه . تم ذلك .

رسالة جواب على الشيخ عطية النجراني [١]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه ، كانت وردت المطالعة من حضرة الشيخ الأجل الفاضل خصه الله بالسلام التام ، فصدرنا جواب المكاتبة على وجه العجلة ، متضمنا للوعد بما يأتي من الجواب عما سأل عنه من المسائل ، وإنما قدمنا ذلك الجواب مخافة التفريط في أمر إن كان ، لأنا كنا في أشغال ملمة ، واهتمام بأمور مما يصلح أمر الأمة ، نسأل الله تعالى أن يعيننا على صلاح أنفسنا خاصة ، وصلاح الأمة عامة ، وأن يجعلنا في الآخرة من أهل الفوز والنجاة ، كما جعلنا أبناء الأئمة الهداة ، وأن يأجرنا بأعظم الأجر ، لما تحملنا في ذاته من مكروه الأمر ، فلا مفزع لنا إلا إليه ، ولا توكل منا إلا

---

(١) الشيخ عطية بن محيي الدين محمد بن أحمد النجراني ، الصعدي ، من كبار علماء الزيدية ، مفسر ، فقيه ، ولد سنة ٦٠٣هـ وعاش بمدينة صعدة ، وعاصر الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين ، واعترض عليه في بعض الأمور ، منها أخذه المعونة في الحرب ، ولما دخلت جيوش الإمام المهدي فر بنفسه ، وفاته في جمادى الأولى سنة ٦٦٥ه بصعدة ، وقال ابن أبي الرجال: علاّمة ، متضلع بحّاث و مطلع ، له في الفقه مقالات مشهورة ، ولأهل بيته عدة كتب مصنفة في الإسلام نافعة .

ومن مؤلفاته:

١- البيان في التفسير .

٢- المذاكرة في الفروع .

٣- الجامع لقواعد دين الإسلام .

٤- تنبيه المتدرسين في فقه الأئمة الراشدين شرح منظومة ددر القلائد ونكت الفرائد لصالح بن منصور الكوفي .

عليه ، ولا ثقة إلا به ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والحمد لله الـــذي أيـــدنا بالتوفيق في ما ندبره ، وتغمدنا بالإصابة فيما نورده ونصدره ، وهـــدانا إلى الصلاح فيما نحل ونعقد ، وأسعدنا بالمعونة فيما نزرع ونحصد ، حتى لا يغلب الهوى على رأينا ، ولا نستشعر إلا الأصلح في كل أعبائنا ، وله الشكر علـــى ذلك كثيرا ، بكرة وأصيلا .

وبعد ذلك فقد تحققنا ما ذكرته ـــ أبقاك الله ـــ في عنوان كتابك،مـــن مناصحتك وحسن قصدك ، وصلاح نيتك ، وقدم مودتك ، وما ذكرتـــه في أثناء كتابك من مخافتك من الله عز وجل في مودتنا وكثرة التعمق في محبتنا ، لما التبس عليك من أمرنا ، وأشكل عليك من غوامض أحكامنا ، وما جرت عليه سيرتنا ، وقد كنت عندنا بعيدا من التقصير ، غنيا عن التنبيه والتبصير ، و لم نكن نظن أنه يشكل عليك من الأمر ما أشكل ، ولا أنه يلتبس على مثلك ما التبس ، وذلك لما نعرفه من حسن رؤيتك ، وحـــدة نظـــرك ، وكثـــرة نصيحتك ومعونتك ، وقد عجبنا من أمرك !! وكيف خفي عليك ما كنـــا نظن أنك أعرف به من غيرك ؟! حتى أدى إلى إفساد ما ذكرت من مودتك لنا ومحبتك ، وقد ميزتُ بين حقك علينا وجفائك لنا ، فرجح عندنا حقك ، بعواطف الرعاية لمثلك ، وتذكُّر قدم المعاونة منك ، والمحبة التي كانـــت لنـــا لديك ، فرأينا إنصافك وإتحافك ، وأن نطرح المكافأة على كل جفاء ، ونعمل لله تعالى بالوفاء ، و لم نعتب شيئا من النصائح الجارية من المسلمين ، وإنما عتبنا ما يقع من المبادرة بالقطع على غير يقين ، وقد جعل الله تعالى واسطة بين أن

يقطع المرء في أخيه على الإيمان ، أو على الفسق والعدوان ، وهي التوقف والتحري ، فهو أولى من القطع على التفسيق والتبري .

والآن نجيبك فيما ذكرت ، ونسامحك في كثير مما صدَّرت ، ولسنا ممن إذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم ، ولكنا نجيب أهل الفضل والعلم ، ونتردى برداء الكرم والحلم .

أما ما ذكرته ـــ أيدك الله ـــ من حوادث نجران ، وما جرى فيها من قتل الأسير ، والإجهاز على الجريح ، والقتل على الذمة ، فلسنا نعتذر في قتل الأسير والإجهاز على الجريح ، فإن ذلك هو حكم الكتاب والسنة ، وبمثل ذلك يُتقرب إلى الله قال تعالى: ﴿ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٩] ، وما قتلنا أسيرا قد فاء إلى أمر الله عز وجل ولا رجع إلى طاعته ، ولا قتلنا إلا من له فئة يرجع إليها ، ولا كان أحد من أولئك الأعراب الجفاة براجع إلى ذلك ولا معتمد عليه ، ولا قاتلونا على بصيرة ، ولا قاتل أكثرهم على شبهة لَحِقَتْه ، وإنما قاتلوا على الجهل والحمية حمية الجاهلية ، والتصميم على الظلم الظاهر ، فبينهم وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله تفرقة ظاهرة ، إن كان أشكل عليك ترك عليّ عليه السلام لبعض أسرى أهل البغي ، ومسامحته له في القتل ، وقد أمر علي عليه السلام بقتل ابن اليثربي بعد أن أسره عمار رضي الله عنه ، وما قتله بقصاص ، لأن ولي القصاص غيره عليه السلام ، وغيره قاتله ، وإنما قتله لمجرد بغيه ، فقال بعض العلماء ذلك لأن الفئة كانت باقية ، والحرب قائمة ، ونحن فعلنا كمثل ذلك ، فإن حربهم ما كانت بمنقضية لو قدروا على أمر من

الأمور ، وأيضا فإنا ما قتلنا إلا من خشينا منه الفساد والمكر ، وقتلُ المفسد جائز بحكم الكتاب ، قال تعالى: ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦١) ﴾ [الأحزاب] ، وقد نص الإمام صلوات الله عليه على جواز قتل المفسد لغير الإمام ، وكذلك حكم السيد أبو طالب عليه السلام ، والقوم الذين لقيناهم في تلك الحرب هم كانوا من شياطين الإنس ، وفراعنة العرب ، ودهاة القبائل ، من خولان ومذحج وهمدان ، وكان مكرهم شديدا ، وفسادهم عظيما ، ولو استولوا على الأمر في تلك الفتنة لأهلكوا الحرث والنسل ، ولا يعرف هذا إلا من له خبرة بهذا الأمر ، والتدفيف على الجريح هو فعل علي عليه السلام في مولى بني أمية وغيره ، وآيات القرآن الكريم عمت بالقتل و لم تخص أسيرا ولا جريحا ، ولولا ورود التخصيصات في بعض المواضع لكانت على العموم ، ولنا أن نفعل ما فعله الإمام السابق ، إلا ما خصه الدلالة ، من إقامة الحدود ، وصلاة الجمعة ، وأخذ الزكاة كرها ، لأجل عمومات القرءان ، وتحريم التخصيصات إلا فيما ذكرنا ، والظن ظننا لا ظن غيرنا ، وإلا فما الفائدة في انتصابنا متى حكمنا عن غيرنا ؟!

ولو قتلنا من جاز قتله في الظاهر ، وإن كان بخلاف ذلك في الباطن ، فالعوض فيه له على الله عز وجل ، لأنا فعلناه بأمره ، وقد عم الله تعالى في العتاب في الأمم الماضية الصغار مع الكبار ، ولا ذنب ، ولكنه تعالى تحمَّل بالعوض لهم ، وفي شريعتنا أمر الله بأخذ الصغار ، وتملُّكهم ولا ذنب لهم ،

وأمر بإقامة الحد على التائب ولا ذنب له ، وهذه أمور شرعية يجب الإنقياد لها ، وإن لم يظهر وجه الحكمة فيها ، لكونها واردة من حكيم لا يتهم في حكمه ، ولا يُستخان في شيء من أمره ، وقد أخذ النبي صلى الله عليه وآله الفداء من عمه العباس ، وإن كان خرج مكرَها ، وقال: « ظاهرك مع القوم » . وأجرى أحكام المسلمين كلها على المنافقين الذين يعلم نفاقهم بإعلام الله تعالى له ، ذلك لما أظهروا الإيمان ، والأخذ بالظاهر ـــ رحمك الله ـــ هو الواجب في الإسلام والشريعة الشريفة حماها الله عز وجل .

ومن هاهنا يجب على مَن علم بظاهر أمرنا،وهو الدعاء إلى الله تعالى وإظهار القصد الصالح ،أن لا يجري علينا إلا أحكام الظاهر ، ولا يتعسف بحكم الباطن ، وتَعَرُّف ما لا يُعلم ، فإن ذلك هو طريق النجاة لمن طلبها .

فأما القتل على الذمة ، فما قتلنا أحدا أبدا ، ولا علمنا ذلك من أحد من جندنا ، ولا من أحد من أخدامنا ، ونحن نبرأ إلى الله تعالى وإلى عباده من أن نفعل ذلك ، أو ندين به أو نضمره أو نأمر به ، ولا يفعل ذلك إلا مارق عن الدين ، مائل عن الشريعة الشريفة .

فإن قُتل أحد ولا نعلم ذلك بغير أن يعلم بالذمة ، فعلى المدعي لذلك البينة ، وعلى بيت المال ضمان ذلك ، ولا يضيع الله تعالى على أيدينا حقا من الحقوق ، ولا يلزمنا ما ينسب إلينا ، ويُتجنى علينا ، ولا يحل لمسلم أن يعتقد ذلك فينا ، وكيف يعتقده ونحن نبرأ إلى الله منه ؟!

وعليك البحث وعلينا الإنفاذ للأحكام الشرعية ، وليس لك أن تصدق بكل ما تسمع فينا ، ولا أن تجعل الأصل جنايتنا وعصياننا ، بل تجعل الأصل

ما جعله الله عز وجل وهو الإسلام في دار الإسلام ، ودع عنك التعسف وقبول كل كلام ، فإذا تحققت المعصية فعليك الإنكار بالتلطف والكلام اللين ، قال تعالى لموسى وهارون وهما أفضل أهل زمانهما ، حين أرسلهما إلى أخبث أهل زمانه ، وأهل كل زمان: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه: ٤٤] ، وقد علم تعالى أنه لا يقبل اللين ولا القاسي ، وإنما ذلك للإعذار والتلطف في الأمر كله ، والتأديب لعباده ، ولا تطلب بهذه النصيحة إلا ما يختصك لنجاتك وخلاصك ، بينك وبين الله عز وجل لا لأمر يرجع إلينا ، فما ذلك بضآرٍ لنا ، ولا مخل علينا ، نحن لا نعتصم إلا بالله ، ولا نرجع إلا إليه ، ولا نعتمد إلا عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ولو أعاننا الناس بنفوسهم ، لسهلت علينا الأمور وعليهم ، ولسلموا من الذنوب ، ولكنهم أطاعوا الهوى وأساءوا الظنون ، وتحملوا من الأمر ما لم يأمر به الله عز وجل ، مع سماعهم لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات: ١٢] ، فالله تعالى نهى عن ظن السوء ، وزجر عن الغيبة وشبَّهها بالميتة .

وقد علمت رحمك الله أن آكلها فاسق ، ومستحلها كافر ، فينبغي أن يكون التحري في الإقدام على الظنون والأوهام ، والاغتياب أعظم من التجري والتشكك في الترك ، فالخطأ في الترك أخف من الخطأ في الفعل في الأكثر ، فليس لك رحمك الله أن تأخذ بقول مغتاب عتاب ، قد خلص إلى حزب الشيطان ، وخرج من حزب الرحمن ، يقول بما لا يعلم ، ويعتمد على

ما يجهل ، حتى قال فلان عقد وأرذم ، ونقض العهد والذمم ، فإن الأمر عظيم ، والخطر في ذلك جسيم . قال علي عليه السلام: « أيها الناس من عرف من أخيه وثيقة دين ، وسداد طريق ، فلا يسمعن فيه أقاويل الناس ، أما أنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام »[١] .

واعلم أيدك الله أنه لا يحل لمسلم أن يرمي مسلما بأنه نقض العهود والذمم ، من غير أن يتحقق ولا يعلم ، ولقد كان ينبغي لو علم ذلك وتحققه ، أن يستر على أخيه ويرحمه ، ويحمد الله تعالى على معافاته من مثل ذنبه ، ويشكره عز وجل على ستره عليه في ذنوبه ، وأنه كتم عليه تعالى ما كان يكره أن يظهر على غيره ، فما من أحد إلا وله ذنب ، فكيف يعيب أخاه بذنب لم يتحققه ، وينسى ستر الله عز وجل عليه في ذنوبه ، فلا يلحقنا غم ولا حزن والحمد لله إلا مخافة أن تُهلك الأمة أنفسها فينا بظنون السوء ، وقبول الغيبة والكذب ، مع طلبنا لصلاحها ، وتحرينا بجهدنا لسدادها ، فنسأل الله تعالى أن يعظم لنا الأجر ، ويحملنا على مطايا الصبر ، حتى لا نهلك فيمن هلك ، ولا نعطب فيمن عطب .

فأما قولك ـــ أيدك الله ـــ وصدر الكل من المجلس والحسبة غير ثابتة ، بل هي موقوفة على المراجعة ، فما الحسبة ـــ رحمك الله ـــ تثبت بتثبيت أحد من الخلق ، ولا تحتاج إلى أهل الحل والعقد ، قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [آل عمران] ، فأمر تعالى عباده الصالحين بالدعاء إلى الدين

---

(١) نهج البلاغة ن الخطبة /١٤١.

، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأوجب لهم الطاعة من غير عقد ، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ﴾ [فصلت] ، وقال تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] ، ولو كان إجماع الخلق شرطا في ثبوت الولاية لأولياء الأمر ، لما صحت ولاية سيد المرسلين صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين ، ولا ثبتت إمامة الأئمة الهادين ، لأن الخلق كلهم لا يجتمعون على ذلك أبدا ، ولا يدينون به أصلا ، وقد ورد بذلك نص القرآن ، وحكم بأن الأكثر هم أهل العصيان ، وقد شك الناس في رسول الله صلى الله عليه وآله ، فما انهدمت بذلك نبوته ، ولا زالت بالشك فيه ولايته ، وقضت طائفة بهلاك أمير المؤمنين ، عليه سلام رب العالمين ، فما صار بذلك من الهالكين ، وإنما الصلاح راجع إلى موافقة رضاء الله تعالى ، والفساد راجع إلى انتهاك معاصيه عز وجل ، ونحن نسأل الله تعالى أن يصلح لنا سرائرنا ، وأن يطهر لنا ضمائرنا ، وأن يصقل قلوبنا بهدايته ، وأن يشغل جوارحنا بطاعته ، وأن يحول بيننا وبين معصيته ، بحقه العظيم ، واسمه الكريم ، إنه قريب مجيب ، ويصلى على محمد وآله .

وأما مال ابن زيدان وما وقع فيه من الاستهلاك بالأخذ والخراب ، فنحن ــ أيدك الله ــ أعلم بابن زيدان منك ، فقد تحققنا منه الكفر الصريح ، الذي لا تصح معه منه قربة ، ولا يتقبل معه منه حسنة ، وولده وأصحابه كلهم تابعون لأمره ، موالون له على فعله ، و ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ ... ﴾

[المجادلة: ٢٢] الآية . هذا مع ما كان عليه من الظلم الظاهر ، والعدوان المبين ، والمكر الكبير ، والفساد الذي أجمع عليه المخالف مع الموالف ، ولنا أن نحكم بما علمنا ، ونعمل بما عرفنا ، ولا أقل أن يكون حالنا كحال الحاكم في ذلك ، فالأمر إلينا والظن ظننا بحكم الله تعالى ، والانقياد علينا وبأيدينا .

وإذا كان كافرا مرتدا وأصحابه مثله بحكم القرآن ، كان بمنزلة من لا وارث له ، فمصرف ماله بيت مال المسلمين ، ولنا أن نقبضه لبيت المال ، ولنا أن نخرب عليه ما رأينا صلاحا من الديار والعمران ، وإن كان لو ترك لكان لبيت المال ، فإن عليا عليه السلام حرق مال المحتكر ، وكان بقاؤه لبيت المال أصلح ، وأخذ نصفا وأهلك نصفا ، وكان الكل لبيت المال أربح ، وعاقب بعضا بالمال ، وبعضا بالإحراق ، وبعضا بالقتل والطرح ، وعفا تارة وأخذ أخرى ، وكل ذلك شريعة النبي المصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله النجباء ، وليس ذلك شيئا يختص الأئمة ، ولا يجد القائل أبدا بذلك علة ، ولو صح مثلا ملك ولده فلنا أن نعاقب ولده بأخذ ماله ، فهو على مناج أبيه وخاله ، وقد عاقب علي عليه السلام بأخذ المال ، وورد ذلك عن النبي المختار ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار ، وإلا فاسأل هُديتَ عن قصة الصائد في الحرم ، وهو مأثور عن سيد العرب والعجم ، ومن وجد بحكم النبي على مانع الصدقة ، فقد نجحا من تبعة وصدَّقه ، حكم بأخذ النصف من ماله ، من غير توقف في حاله ، وإن شئت فقل أخذناها تضمينا ، وإن شئت فعقوبة ، وإن أحببت فميراثا لبيت مال المسلمين ، فهذه كلها وجوه صحيحة ، ووجه واحد فاسد ، وهو أن يكون أخذناها ظلما وعدوانا ، وأنت قد

علمت أنه يجب على المسلم أن يطلب لفعل أخيه وجها حسنا ليحمله عليه ، ولو كان بعيدا متعسفا ، فكيف إذا كان لا يجد فيه من القبح إلا وجها واحدا ؟! ويجد فيه من الحسن وجوها كبيرة ؟! ومع ذلك إن بعض الخراب وبعض ما جرى في البستان لم نكن علمنا به ، ولا أمرنا به ، فما جرمنا فيما لم نعلم ، وماذا علينا فيما لم نفعل ، ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام: ١٦٤ ، الإسراء: ١٥ ، فاطر: ١٨ ، الزمر: ٧] ، ولا يجب إنكار المنكر بعد فراغه ، ولا مطعن علينا في تركه .

ونحن ـــ حفظك الله ـــ قد ابتلينا بأهل زماننا حاشى الشيخ الفاضل ، فإنهم يتطلبون العثرات ، ويسترون الحسنات ، ويتبعون الأهواء ، ويواصلون الأعداء ، ويعادون الأولياء ، وما أكثرهم ينكر منكرا لكونه منكرا !! ولا يهتم إلا بما يخشى على دنياه فيه ضررا ، وإنهم ليطلبون علينا أمرا لو قد وقعوا على حقيقته لعرفوا أنه هلاكهم ودمارهم ، وذلهم وصغارهم ، فنحن الدافعون عنهم وهم اللائمون ، ونحن الحماة عن دينهم وهم الخاذلون ، ونحن الرافعون لمن اتضع منهم وهم لنا واضعون ، وإن أعراضنا عليهم كالميتة المحرمة ، فليستقل رجل من أكلها أو ليستكثر ، فما هو برابح ولا ضائر لنا ، وما يهلك إلا نفسه ، والله له بالمرصاد .

وظني ـــ رحمك الله ـــ أيها الشيخ أنك أنت وكثير من أعوانك العُدد لنا ، والجُنن علينا ، والبطانة التي يتقى بها ، ويعول عليها ، فأحذرك وإياهم أن يخلف الظن فيكم ، أو تخيب المخيلة عندكم ، وأعينوني بنصيحة جلية من الغش ، سليمة من الريب ، فأنا لكم أعظم معين في دينكم ودنياكم ، فلا

تستصغروا أمرنا ، ولا تنسوا مواقفنا ، وحمايتنا على مذاهبكم وأديانكم ، والله تعالى أسأل أن يوفقنا وإياكم جميعا لمرضاته بحق محمد وآله .

وأما قولك إنا أخذنا مَن ضمن لنا بمال العقوبة التي على ابن زيدان ، فلك العلم ولغيرك الجهل . أما علمت أن العقوبة بالمال جائز ، وأن الضمانة بها صحيحة ، وأن الضامن غارم ، فأين أنت عن هذه المعالم ، إنك بنيت الأمر على أن الآخذ ظالم ، وإنه في فعله غير سالم ، ولو بنيت على أساس ، لما دخل معك التباس .

وكذلك جوابنا في قولك: إني سلطتهم عليه .

وأما قسمك أنك تحب خلاصنا عند الله عز وجل ، فنِعْمَ ما فعلت ، وأنت مجازى على ما أضمرت ، ونحن نصدق قسمك ، ونعرف بقديم نصيحتك ، ونقسم لك بالله تعالى أنا نحب خلاصك أيضا ، وخصوصا مما يتعلق منك بنا من الظنون ، وقبول الأقوال وغير ذلك ، وذلك بأن لا تحملنا على أقبح الوجوه ، ولا تقبل فينا الكلام ، ولا تتطلب العثرات ، بل تفرح بما يستتر عنك منا ، ولا تحمِّلنا أيضا ذنوب غيرنا من ولاتنا وخدمنا متى وقع ذلك بغير علمنا ، ولا تطلب بهذا إلا خلاصك لأجل التقريع لك ، ولا التوهين لأمرك ، ولا السخط عليك ، فأنت عندنا بالمنزلة الرفيعة ، والدرجة العالية ، ولا أحب إلينا من مُناصحنا في ديننا ، والمعين لنا في طاعة ربنا عز وجل .

فأما قولك: إنه ما حصل لنا منهم برأ تعني الضامنين بالعقوبة ، فهو خوف وحياء ، فذلك مما نعتبه عليك ، لأنا نعلم أنك لا تعلم باطن ضمائرهم

، ولا تتحقق ما تكنه جوانحهم ، ولا ينبغي لك أن تأخذ مما تحدسه وتظنه ، ولا أن تعتمد على ما لا تعلمه ، فبعض الظن إثم ، فَحَكِّم على الجهل العلم ، واستعمل الورع والحلم ، فليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى ، فإن الكل عبيده وأهل خدمته ، فلا حرج عليهم فيما يؤمرون به من طاعته ، مع أن الحال في الضمانة ما ذكرناه أولا .

فأما ما ذكرته من جهة الكتاب الواصل من الإخوان ، وما جرى من نبذه وترك جوابه ، والكلام على الفقيه أحمد بن مسعود ، فما ذلك ـــ أبقاك الله ـــ بمستنكر لمن هو في مثل مقامنا ولا أكثر منه ، ونحن منتصبون لتأديب المسلم ، ورد الشارد ، ورد الناسي والغافل ، وذلك يكون تارة بطرح الرقع ومرة بترك الجواب ، وحينا بالشدة بالكلام ، وقد كان علي عليه السلام يؤدب بالدرة ، وكذلك عمر بن الخطاب بمحضر الصحابة ، ويؤدبون بالجلد وبالحبس وبالكلام ، وهذا من الظاهر بين الأنام ، والرجل يعمل مثل ذلك بولده وهو من أهل مؤدبه ، ولا يدل ذلك على عداوته وبغضته ، ولسنا بدون الشيخين أبي بكر وعمر ، ولا أحمد بن مسعود يبلغ منزلة سعد بن أبي وقاص ، وأنت تعرف الحديث في ذلك .

فأما حديث الصاعنين وأهل العرضى ، فذلك مما لا نرجع إلى الشيخ ولا إلى سواه فيه ، لأنه مما يرجع إلى نظرنا ومعرفتنا ، ونحن أسكناهم الجهة ، وجعلنا لهم خمس ما يحصل في زرائع الرعية ، وعليهم حفظهم والجهاد أيضا والخدمة ، ولو تركناهم لَلَحِقَهم ما لحق أهل بيت أكلب ، وأهل المحظور في

هذه الأيام ، أما من طلب ظاهر الإنكار بغير بصيرة ، فذلك مما لا يلتفت إليه .

فأما ما ذكرت ـــ أيدك الله ـــ من قبل الأمر بالخيل إلى الغز ، وقولك: إن ذلك لا يجوز خصوصا في وقت الهدنة ، وأن الإمام سلام الله عليه ما كان يفعل ذلك إلا لأجل الضعف في الإسلام ، وما أشبه هذا الكلام .

فنحن نُعرِّفك أسعدك الله من ذلك ما لم تعرفه ، وهو أنا ما أمرنا بشيء من الخيل إلا لمصالح عائدة على الإسلام ، لكافينا الكفرة الطغام ، فنتحت هذه الأفعال التي يراها وجوه حسنة يخفى عليه وعلى أجناسه ، ويجب الحمل فيها على السلامة ، ولو جعل الدين والورع ، لكان أسلم له وأوسع ، وليس من رأى الزراع يطرحون البذر في التراب يصلح أن يعدهم من أهل التبذير ، وإذا قطع الحكيم اليد المأكولة يُعد من أهل التعزير ، والتقصير .

وعلى الجملة ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ [يوسف] ، وإنما يحرم بيع الكراع والسلاح من الكفار لما فيه من التقوية لهم والتمكين ، فأما إذا كان ذلك لمصالح المسلمين ، ولما يقع من التخذيل للمفسدين ، والتوهين لأعداء رب العالمين ، فذلك من عظيم الواجبات عند رب العالمين ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به يكون واجبا كوجوبه ، والأمر فيه ظاهر .

وأما ما ذكرت من إجماع أهل البيت عليهم السلام أن ذلك لا يجوز ، فليس ذلك على الإطلاق ، وإنما لا يجوز متى لم يكن على الوجه الذي ذكرناه وما يجانسه .

وأما ما ذكرت ـــ أيدك الله ـــ من موالاتك لنا ، وأن محبتك لنا لا تتم إلا بعد التخلص مما يجب التخلص منه ، أو بأن نبين لك وجها يكون عذرا لك عند الله تعالى ، فقد كشفنا لك وجوه الأعذار ، وبينا ما فيه كفاية لأولى الأبصار ، ولا نميل أيضا عن الخلاص للنفس فيما يجب علينا ، ونتحقق وجوبه لدينا ، ولو كان ينجينا عند الله عز وجل أن نقول: إنا عصيناه فيما توهمتَ فيه المعصية ، ويكون ذلك سترا لنا من النار لفعلنا ، ولكنها حكمة سبقت من أمير المؤمنين عليه صلوات رب العالمين: « لا يحسن الإقرار بالذنب إلا من ذي الذنب » ، وإلا فما كان ضر ابن أبي طالب عليه السلام أن يقول: إنه كفر ، إذا كان بمثل ذلك يجتمع له الأمر ويظهر ، لولا أنه لا يجوز الإيهام على النفس والتوهين لأمر الدين ، والتصغير بأهل المنزلة من المؤمنين .

وأما ما ذكرته من الولاة ، وأنه لا يجوز أن نولي إلا أهل الكفاية والتقوى ، وأنه لا يجوز أن يولي رجل وفي المسلمين من هو أصلح لذلك منه ، وشرحه وفصله ، فنحن نختصر الكلام فيه ، مع بيان معانيه .

أما اشتراط الكفاية والدين في الوالي فهو كذلك ، وبه نطق القرآن الكريم ، ولا نولي أحدا إن شاء الله إلا وظاهره الدين والكفاية عندنا ، ولنا الظاهر والله سبحانه الباطن ، وقد ولى رسول الله صلى الله عليه وآله ولاة وعمالا وقعت منهم الجنايات والمعاصي ، وقال: « اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد »[1] ، وقد قتل قتلا كثيرا ، ولم يمنعه ذلك من أن ولاه ثانيا عقيب رجوعه وتوبته . وولى صلى الله

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه ج ٤/ص ١٥٧٧/ح ٤٠٨٤ ، والنسائي في سننه ج٨/ص٢٣٧/ح٥٤٠٥ ، وابن حبان في صحيحه ج١١/ص٥٤/ح٤٧٤٩ ، وأحمد بن حنبل في مسنده ج٢/ص١٥١/ح٦٣٨٢ ، والنسائي في سننه الكبرى ج٣/ص٤٧٤/ح٥٩٦١.

عليه وآله أقواما نطق القرآن بفسقهم ونفاقهم ، وإن كان ظاهرهم الإسلام والكفاية ، فالأخذ إنما هو بالظاهر ، وليس يلزمنا معصية الوالي متى أظهرها عند الناس و لم تظهر لنا ، ولا يكلفنا الله تعالى إلا بحسب علمنا ، ومتى علمنا ذلك وكان مما يستحق فيه العقوبة عاقبناه ، تارة بالحبس وتارة بالمال وتارة بالأدب ، وأجناس ذلك ، فلا يصح ما ذكره الشيخ من أن الصواب أن لا يُعاقب بالمال ، لأنا قد بينا أن العقوبة بالمال مما ورد به الشرع الشريف ، فلا معنى للتخفيف في غير موضع التخفيف .

وقوله بأنه يعود يأخذ العقوبة من أموال العشائر لا يلزمنا ، لأنا إن علمنا ذلك منه عاقبناه ثانيا بوجوه التنكيل التي تجوز في حقه ، وربما أدى ذلك إلى اجتياح ماله كما فعله علي عليه السلام ، وعلى حسب الصلاح للإسلام والمسلمين يفعل ، وبحسب ما أوجبه علينا رب العالمين نفعل ، وقد تقع المعصية منه ونعلمها ولا نعاقبه عليها ، بل نقبل توبته ، وذلك يختلف بحسب الأفعال التي تعد معاصي لله عز وجل ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بالعقوبة تارة ، وتارة قبل توبة الوالي بغير عقوبة ، وهي أمور شرعية ينبغي مراعاتها ، ولا يجب التسوية بينها ولا التفريط في إجرائها وإنفاذها ، وقد يكون في الناس من هو وكيل على قبض الشيء المأخوذ المعين ، لأنه يكون إليه شيء من الأمر غير مجرد القبض ، لما قد عُرف وعُيِّن ، فلا تكون مترلته مترلة الوالي الذي له يد على غيره ، لأن توكيل الفاسق جائز في مَالّه التصرف فيه ، وكذلك الكافر ، فبين الأمرين فرق ، وولاتنا الذين لهم التصرف على غيرهم بما يرونه صلاحا وبما يرجعون في كثير منه إلينا ، وسائره بولايتنا ، كلهم ظاهره الدين والكفاية ، ولا نعلم منه خيانة ولا جناية في الظاهر ، وليس لنا إلا ذلك .

فأما وكلاء القبض الذين ذكرناهم ، فلو كان بعضهم عاصيا فلا يلزمنا حكمه ، ولا يرجع إلينا أمره ، وإنما أمره إلى ربه يفعل به ما يشاء ، ولو قدرنا أن يكون جميع الخلق مؤمنين ، لما فرطنا في ذلك بشهادة رب العالمين ، ولكن فقد قال وهو أحكم الحاكمين: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) ﴾ [يوسف] ، وقال لنبيه عليه السلام: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) ﴾ [الشعراء] ، فالعذر في ذلك قد وقع لنا من رب العالمين .

وأما أنه لا يجوز تولية والٍ في المسلمين من هو خير منه ، فذلك لا يصح ولا ينبغي إطلاقه ، ولا يقول به أحد أبدا ، وقد ولى رسول الله صلى الله عليه وآله قوما كثيرا وفي أصحابه من هو أفضل منهم في الورع والكفاية ، وإلا لزم أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام وَالِيَه في جميع الأمصار وجميع الغزوات ، كتوليته صلى الله عليه وآله لعمرو بن العاص على جُلّة المهاجرين والأنصار ، وسوى ذلك مما يطول تفصيله ، وكذلك غيره من كبار الصحابة رضي الله عنهم وهو محال ، فالإطلاق لذلك لا يصح ولا يصلح ، والخبر الذي رواه وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: « من استعمل عاملا وهو يعلم أن في المسلمين من هو أولى بذلك منه ، وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه ، فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين »[1] ، فهو محمول على أن المراد بقوله: « أولى بذلك منه وأعلم » ، من قِبَل أنه جاهل بكتاب الله وسنة نبيه ، وأنه ممن لا يكتفى به ، ولا هو بأمين فيما وُلي فيه ، وذكره بلفظ أَفْعَل مجازا واتساعا في الكلام ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٠٤ (٧٠٢٣) ، والطبراني في الكبير ١١/ ١١٤ (١١٢١٦) .

وإلا فعلي عليه السلام أعلم بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله من ساير ولاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأعظم كفاية وأمانة ، وإن كان قد قدم غيره في كثير من الولايات ، ولا بد من حمله على ما ذكرنا .

وأما ما صوبه من تهذيب بالولاة وتأديبهم وإصلاحهم وإرشادهم ، والتأكيد عليهم والوصية لهم بما يجب ، وأجناس ذلك مما ذكره ، فتلك هدية منه يجب قبولها والعلم عليها ، ونحن إن شاء الله عاملون بها وعليها ، بحسب قدرتنا واستطاعتنا ، وليس نُكلف إلا ذلك وبالله التوفيق .

وأما قولك — أيدك الله — وقد تركت الإنكار على بعض الولاة خوفا أن لا يُقبل ، فعليك — أبقاك الله — أن لا تتوانى في أمر الله عز وجل ، فإن قُبِلَ فقد حصل الغرض ، وإن لم يُقبل أفضيت الأمر إلى أمير البلد ، فإن فعل ما طلبت من رضى الله عز وجل فقد أصاب ، وإن أبا أفضيت إلينا ومنا المعونة لكافة المسلمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد سلطناهم على الغواة والطغاة ، كانوا من الأباعد أوالولاة ، وجعلنا ذلك لهم وهو من الله تعالى حكم جاري ، فله الحمد كثيرا .

وأما قولك — أيدك الله — إن الصواب أن نجعل العلماء ، كما قد جعلهم العلي الأعلى ، حكاما على العمال إلى غير ذلك مما ذكرته من الكلام ، فنحن والحمد لله تعالى أعرف الناس بحق العلماء ، وأقوم الناس بأمرهم ، ولا تطمئن قلوبنا إلا إليهم ، ولا نثق في كثير من الأمور إلا بهم ، ولا نأنس إلا بقربهم ، وعليهم لنا من الحق مثل ما لهم علينا ، ولهم إن شاء الله تعالى الحكم على ولاتنا وخدامنا ومن تحويه دولتنا ، وعليهم الالتزام بمناصحتنا

وموالاتنا ، لكوننا من عترة الرسول ، وذرية البتول ، ودعاة الحق ، والنصحاء للخلق ، فلا يحل الميل عنا ، ولا الغيبة لنا ، ولا المعاونة لعدونا ، وعـــدو الله علينا ، ولا الملاحاة لنا في أمرنا ، فإن الخصم في ذلك هو جدنا المصطفى عليه السلام ، والشهود على ذلك الملائكة الكرام ، والحكم العدل هو الله تعالى .

وأما ما ذكرت ـــ أيدك الله ـــ تعالى من أخذ المعاون ، وقولك: قـــال رسول الله صلى الله عليه وآله: « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضـــه وماله »[1] . وقوله عليه السلام: « حرمة مال المسلم كحرمة دمه ... »[2] إلى غير ذلك من الأقوال المحرِّمة لأمور المسلمين . فاعلم ـــ أبقـــاك الله ـــ أنـــا وددنا من المسلمين أن يتحرموا أموالهم بينهم ونفوسهم وأعراضهم ، إلا مـــا أحل الله سبحانه من ذلك ، ولو عمل الناس بذلك ما احتيج إلى مُقوِّم يثبت عوجهم ، ويصلح أودهم ، ولاستغنى الخلق عن الإمام ، في أكثر الأحكـــام ، وها نحن والحمد لله لا نقول افتخارا آمرون بالمعروف ناهون عـــن المنكـــر ، كافون لأيدي الناس ، قامعون لضرهم ، فما انتهى الخلق عن ذلك إلا بالشاق من الأعمال ، ثم أقبلوا مع سعينا في صلاحهم على استهلاك أعراضنا ، ونحن نعلم أنه لو لا وقاية من الله تعالى ومعونة لاســـتهلكوا الأرواح والأمـــوال ، وليس الخبران بجاريين - حفظك الله - على عمومهما ، بل يجوز اســـتهلاك بعض من أموال المسلمين مع إسلامهم وصلاحهم ، نحو ما أوجب الله تعالى

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/ ٧٤ (١٨٣) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٣ (١٠٥) ، والترمذي في سننه ٤/ ٤٦٢ (٢١٥٩) ، وابن ماجة في سننه ٢/ ١٠١٥ (٣٠٥٥) .

من الحقوق المعينة من الزكوات ، والفطر والأخماس والكفارات ، وكذلك من الحقوق التي ليست بمعيَّنة المقدار ، نحو المعاون في الجهاد ونفقة الزوجات والأقارب ، وأجناس ذلك ، فالخبران مخصوصان بالأدلة الدالة على لزوم هذه الحقوق في المال ، قال الله تعالى في المعاون في الجهاد: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢] ، فإذا كان لا يمكن التعاون على الجهاد إلا بأخذ المال ، كان أخذه واجبا بحكم الكتاب ، وقال تعالى في قصة ذي القرنين وطلبه المعونة من الناس: ﴿ أَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ ﴾ [الكهف: ٩٦] ، ﴿ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) ﴾ [الكهف] ، فألزمهم المعونة بالحديد والصِّفر والاشتغال بالأعمال الشاقة ، حتى جعل على الأرض جبلا حاجزا ، وذلك لا يحصل إلا بمال كثير ، وذلك يدل على أنه يجوز أخذ المعونة من قوم لدفع الضرر عنهم ، وعن قوم آخرين إذا كان المدفوع هو ضرر الدين ، وقال تعالى: ﴿ جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة: ٤١] ، ووصف المؤمنين بأنهم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، ولم يقل أحد أنه أراد أنهم يجاهدون بزكواتهم وأعشارهم.

والصحابة رضي الله عنهم عملت بهذه الوظيفة من المعونة ، قاسمت الأنصار والمهاجرين في أموالهم ودورهم ، وخيَّروهم بين القسمين ، وأعطوهم الأصلح من النصيبين ، وكان مع أبي بكر ثمانون ألفا أنفقها في الجهاد ، وما بقي معه إلا عباة كان إذا ركب حلَّها ، وإذا نزل أبعد حلالها . وعثمان جهز جيش العسرة بتسعمائة بعير وخمسين بعيرا ، وتمم الألف بخمسين فرسا . كل

ذلك من صميم ماله . ولما أقبل العسكر وقد مستهم الحاجة وعظمت بهم الفاقة ، لقاهم مائة ناقة محملة مخطومة خروها وأكلوا أحمالها ، والقوم ما بذلوا هذه الأموال إلا لطاعة الرحمن ، ومعرفتهم بما في القرآن .

والنبي صلى الله عليه وآله قصد إلى أن يصالح بثلث ثمار أهل المدينة على أن يسلمه إلى الكفار ، بغير مراضاة أحد من الأخيار .

وقال النبي صلى الله لعيه وآله وسلم: « اجعل مالك دون دمك ، فإن تجاوز بك البلاء فاجعل مالك ودمك دون دينك » . الدفع الذي يقع بالجهاد قد يكون الدفع عن النفوس والأموال ، وهذا لا بد أن يكون المدفوع به دون المدفوع ، وقد يكون الدفع عن الأديان ، وهذا لا يعتبر فيه مثل هذا الشأن ، لأنه ليس شيء أعلا من الدين ، ولا أعظم منه عند رب العالمين ، فالأخبار الواردة على مثال الخبرين اللذين ذكرهما مخصوصة بمثل هذه الأمور وأجناسها.

وأما ما ذكره الشيخ الفاضل من تحريم أخذ المعونة ، لأجل الهبة للمداحين ، أو لأجل المجاباة أو المباهاة ، فهو كما قال ، ونحن إن شاء الله لا نأخذ المعونة لذلك ، وما يأخذ أحد شيئا لذلك إلا وهو ظالم ، وإذا وهبنا فإنا إنما نهب من صميم أموالنا ، إلا ما يكون في معونة الدين ، وصلاح الإسلام والمسلمين ، لأنه مال مأخوذ لصلاح الإسلام والمسلمين ، ونريد بالصلاح الدفع عن الدين ، لا لأجل الزيادة فيه بعد كمال ما يجب منه .

وما ذكره من أنه لا يجوز أن يوهب لبعض الجند أكثر من بعض لأجل كبر منزلته ، فإن كان لكبير منزلته تأثير في الدفع عن أديان المسلمين ، جازت الهبة لذلك ، وفعلناه تقربا إلى الله تعالى ، بعلة أنه مال مأخوذ للدفع عن الدين

، فجاز أن يتزايد العطاء فيه بتزايد ما به يقع الدفع، دليله ما يخرج من مال اليتيم لأجرة الأجراء القائمين عليه ، فإنه يتزايد بتزايد المنفعة ، وإن اشتركت الإجراء في القوة وكونهم أجراء .

وأما قولك ـ أيدك الله ـ وأنت في هذا موكول إلى رأيك فهو كما ذكرت ، وذلك لأنه إذا ورد القرآن بوجوب المعونة وأخذها ، ولم يحد فيها حدا لم يبق إلا أن ذلك راجع إلى ظنه ، لأن ما لا يمكن فيه العلم يُرجع فيه إلى الظن ، كنفقة الأقارب والمرضع والزوجة ، فإن الحاكم إنما يرجع إلى غالب ظنه .

فأما ما ذكره الشيخ الفاضل ـ أيده الله عز وجل ـ من الخروج إلى البلاد التي يرام استفتاحها ، فقد كان وقع فيه إشكال ، ثم وقع في الخاطر أنه يجوز لغير الإمام ، كما هو مذهب الطائفة الكثيرة من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم ، بل أجازوا ذلك مع أمراء الجور وولاة الباطل ، ويدل على جواز ذلك مع المحقين ظاهر آيات القرآن نحو ، قوله: ﴿ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] ، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) ﴾ [البقرة] ، ونحو قوله: ﴿ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [محمد: ٤] ، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [التوبة: ٣٦] ، وغير ذلك من عمومات القرآن في قتال الفاسقين والظالمين ، من غير ذكر تخصيص بإمام دون غيره ، وليس هنالك دلالة تدل على أنه لا بد من إمام .

فأما ما يذكره الإمامان الهادي والمنصور عليهما السلام من أنه لا يخرج إلى دار الحرب إلا بإمام ، فيحتمل أنهما أرادا بذلك الدار الأصلية دون دار الإسلام التي يحدث فيها الكفر والارتداد ، فإنه لا خلاف أنه يجوز فيها حرب الظالمين للدفع عن المسلمين ، فيكف لا يجوز فيها حرب الكافرين والمرتدين ؟! واليمن كله كان دار إسلام ، فيجب تطهيره من الكفر الحادث ، كما يجب تطهير المسجد الحرام بالإجماع من الأنجاس والنجاسات لعموم الآيات ، والله الموفق للصواب .

فأما الخروج إليها بالمعاون فلا يجوز إلا أن يكون لصلاح يعود على المسلمين بالدفع عن ديارهم جاز ، لأنه مال مأخوذ للدفع عن المسلمين ، فجاز على أي وجه وقع الدفع ، ويمكن أن يقال أيضا: يجوز الأخذ من المعاون للخروج إلى ديار الكافرين في اليمن كله ، لأنها دار إسلام ظهر عليها الكفر ، فوجب إزالته على وجه الدفع للكفر عن دار الإسلام ، كما يجوز الدفع بأموال المعاون عن الدار التي فيها الإسلام ، لاشتراكهما في كونهما داري إسلام في الأصل ، فإذا جاز الدفع عن هذه الدار لئلا يدخلها الكفرة ، فأولى وأحرى أن يجب الدفع عما قد دخله الكفر !! والله الموفق للصواب .

فأما القول بأن ما يُستفتح من بلاد الكفار يكون فيأ للمسلمين كافة كأموال الخراج ، فذلك لا يصح ، لأنه إذا ملكها الخارجون عليها من أهل الإسلام كانت ملكا لهم ، وعليهم فيها الخمس ، لقوله تعالى: ﴿ وَخُذُوهُمْ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٢٧] ، وقوله تعالى: ﴿ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ [الأنفال: ٤١]

، فجعل المأخوذ غنيمة للآخذين ، وعليهم فيه الخمس ، وإنما يكون أمره إلى الإمام في زمان الإمام فقط ، لقوله تعالى: ﴿ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّـهِ وَالرَّسُـولِ ﴾ [الأنفال: ١] ، ولا خلاف أن الإمام قائم مقام الرسول ، فأما أن يكون ذلك مصروفا إلى بيت المال ، فلا يصح إلا بأن يتركها الغانمون بغير قسمة ، على وجه لا يمكن بعد ذلك معرفة نصيب كل واحد من الغانمين ، فإنه يكون بيتَ مال من حيث صار مالا لا مالك له معين ، وما هذه حاله فمصرفه بيت مال المسلمين .

فأما قولك ـ أيدك الله تعالى ـ إنه لم يقع تخفيف على الرعية ، فما يمنع بشهادة الله عز وجل من التخفيف على الرعية إلا ضرورة الحال ، من قِبَل كثرة أعداء الحق ، وطلبهم لإهلاك دار الإسلام ، فإنه صار في وجوهنا ـ وفقك الله ـ جند العجم والعرب ، وهما فريقان قويان ، وقد كانت العرب كافية في الإضرار بالدين ، فزادت قوة العجم وهي أعظم وأكثر ، ولم يمكن الجهاد إلا بالجند ، ولا انتظم لنا الجند إلا بالمال ، ولم نحصل المال إلا من أربابه ، والدين دين الله عز وجل ، والأموال أملاكه ، والكل منا عبيده ، وقد أمر تعالى بالتصرف في حماية دينه ببعض أملاك عبيده ، وما لا يتم الواجب إلا به يكون واجبا كوجوبه ، وَرَجْوَنا إن شاء الله تعالى أن يعز الله الدين ، ويقع التخفيف عن المسلمين .

وقد عرف الشيخ الفاضل أنا في هذه الحرب التي فرغنا منها ما أمكننا أن نكافي الكافرين والمارقين ، وما ذلك إلا لقلة الأموال ، فكيف يظن ظان أنا قد أخذنا من الأموال ما يكفي في الدفع عن أديان المسلمين ؟! مع أنه لم

يُمكنَّا الذب عن بلادهم ، وقد زادت البلوى وعظمت من أجل أن الدين أتي من وسطه ، فتقّوت بذلك شوكة الكافرين . فنسأل الله تعالى النصر والتأييد ، والإعانة والتسديد ، بحقه العظيم .

وأما قوله ـ أيده الله ـ يجب أن يكون ما يدفع أكثر مما يُؤخذ ، وقد علمنا أنه قد انتهى الحال بكثير من الرعية إلى الانتقال من ماله ومنزله ، فما الضرر المدفوع عنهم ؟! فإنا نقول: إن الضرر المدفوع عنهم هو أعظم من أخذ المال المأخوذ ، ولو استوعب جميع المال وأدى إلى الانتقال ، لأن ذلك الضرر هو زوال الدين وانهدام الإسلام ، وظهور الكفر والعدوان ، وهلاك المال كله لأجل سلامته من أعظم البر عند رب العالمين ، لأن الله تعالى أمر بالجهاد بالمال كله والنفس معه ، فكيف بالمال وحده ؟!

وأما ما ذكره الشيخ الفاضل من قِبَل الأخذ من واحد من الناس دون واحد ، وأخذ المعونة من واحد أكثر مما يؤخذ من واحد ، وإن من يتعلق بالدولة لا يؤخذ منه ذلك ، فلا إشكال في أن الواجب المساواة بين الناس في المعاون ، لأن الدين لا يخص أحدا دون أحد ، فالدفع عن الجميع واحد ، ولكنه قد يؤخذ من بعضهم مال ، وقد يؤخذ منه منفعة للإسلام تقاوم المال ، قد كانت لا تحصل إلا بشيء من أموال المعاون ، وقد يكون حضور بعض الناس في المجلس قائما في الدفع عن الدين مقام عشرة دراهم وأصلح ، وهذه أمور تجب مراعاتها والنظر فيها ، والتحري فيها عسير جدا ، وقد خفف الله تعالى الأمر على صاحبه ، بأنه يجوز له أن يعمل في ذلك على غالب ظنه ، وما يقع في خاطره من تحري المصلحة ، وقد يكون أخذ المعونة من بعض الناس

يؤدي إلى فساد عظيم ضار في الدين فيترك ، لأن ما أدى إلى الفساد فهو قبيح ، والقائم بهذا للأمر لم ينتصب إلا لكسب المصالح الدينية دون المفاسد ، والله المعين والمسدد .

وأما قولك: فكيف يجوز أن يدفع بمالِ واحدٍ عن آخر ؟! لأنه يؤخذ من واحد دون واحد ، ومال المعاون بمنزلة مال اليتيم ، فكيف يجوز أن يدفع بمال اليتيم عن غيره ؟!

فإنا نقول: إن الدفع ـ أيدك الله ووفقك ـ عن الدين لا عن المال ، وإذا وقع في زماننا هذا عن المال فعلى وجه التبع ، والدين لا يختص بواحد دون واحد ، بل هو مع الجميع على سواء ، فهو شيء مستقل بنفسه ، فلا يمكن أن يقال بأنه يدفع بمالِ واحدٍ عن دين آخر ، لأن دينه الذي يقع الدفع عنه هو دين الآخر ، فإنا لا نعني بدينه هو أعماله الصالحة ، وإنما نريد بذلك لئلا يدخل الكفر والطغيان في ديار الإسلام ، التي نفع إسلامها عام للمسلمين لا يختص به القريب على البعيد ، فلا يدفع بمالِ واحدٍ إلا عن دينه أبدا ، فاعرف ذلك !! فإن هذه الزبدة هي أصل جواز أخذ المعونة ، وإلا فلو كان الدين المدفوع أمرا يختص به كل واحد من أهل المعونة ، لوجب أن لا يجوز الخلط للمعاون ، وألا يستهلك ما أخذ من أحدهم في الدفع عن دينه وحده ، وذلك يعود على آيات الجهاد بالنقض والإبطال ، وذلك محال ، وكانت هذه المسألة تستدعي تطويلا كثيرا ، إلا أنا حذفناه لكثرة الأشغال .

فأما ما ذكره ـ أيده الله ـ من أن أموال بعض الرعايا قد صارت في أيدي أهل الدولة ، و لم ينقص منهم شيء بحسب ما خرج من أيديهم فذلك

صحيح ، وقد ألزمنا أنفسنا الاجتهاد في تقسيط ذلك على الوجه الشرعي إن شاء الله تعالى .

فأما ما ذكره الشيخ الفاضل ـ أيده الله عز وجل ـ من أن الجور قد عم البلاد وأهلكها ودمرها ، وأدى إلى انتقال أهلها ، وأجناس ذلك !!

فاعلم ـ أيدك الله ـ أن العدل على الحقيقة هو الذي عم بلادنا ، وما وقع منا جور ، ولا نعتذر إن وقع من وكلاء القبض بغير أمرنا ولا علمنا ، وما علمناه غيَّرناه إن شاء الله تعالى ، ولا نرضى بالجور ولا بالفساد ، ولا الحال إلا أصلح .

ونحن نقبل قوله في التحري والاحتياط ، ولا نألوا جهدا في طلب الصلاح بقوتنا وقدرتنا ، ولا نرد نصيحة إن شاء الله عز وجل فيما نصحنا ، ولا نعد ذلك جُرما منه فيما أمرنا ودعا إليه ، ورجوانا أن يعيننا الله تعالى لما قد علم من شدة خوفنا وكثرة حذرنا وشدة فزعنا من عقابه لمن عصاه ، وإياه نسأل التوفيق والعصمة والتأييد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

جواب سؤال

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن جواب له عليه السلام قد سقط أوله: وصعده الجوف والمغرب إلا أمثل من وجدت من أصحابي ، وأمرهم أن يولوا مَن تحتهم أمثل من يجدون ، وما انتهى إلي علمه مما لا يجوز أَزَلْتُه ، فإن علمتم أحدا أمثل منهم فأعلموني لأوليه إن شاء الله ، فإن لم أفعل كان حينئذ بعرف الغرض ، وأنا أعتقد أن هذا فرضي ، وحسابهم على ربي .

الفصل الثالث:

وهو في الرعية وما يختص بها ، والأصل في ذلك أني أعتقد أنه يجب علي ويجوز لي أن أدفع ببعض أموالهم عن بعضها ، وبأموالهم كلها عن أرواحهم ، وبأرواحهم وأموالهم عن أديانهم ، وهو نص كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله .

فأما المساواة بينهم فقد أمرت بذلك ، ووقع العمل بحسبه ، إلا أن يكون كبير قرية يَصلُح أمرهم بصلاحه ، ونعطيه حاله فعندي أن ذلك يصح .

وأما الفروق فقد أمرت أيضا بإحصائها ، ودفع كل إنسان على ما في يده ، صاحبُ الدولة وسواه .

وأما الحركة بهم إلى البلاد فهو يجوز لي أن أخرج بهم إلى بلاد الصلح ، وإلى مواضع الجهاد .

وأما قول حضرته أنه لا يقع عنهم تخفيف ، ولا يصل إليهم منه شيء ، فهذا أيضا من قلة الخبرة والمعرفة ، لأن الوجهين كليهما واقعان .

أما المحصول فأقل ما يصير إلى الواحد منهم في الشهر الخمسة الدنانير إلى العشرين دينارا كل إنسان على مترلته ونفعه من الخطط والشحاذات والهبات ، ولا يجب علينا أن نعرِّفهم به .

وأما التخفيف فمن أين انعمرت الحصون وشحنت ؟! وإلا فكان يقع من الخلل على الإسلام والمسلمين مالا ينجبر ، لأن الحال توجب المطالبة لهم . فأما ضعف البلاد من قلة الأمطار فلسوء نياتهم ، ومعرفة الباري تعالى بمصلحتهم ، ووقعت الضرورة إلى قبض ما أمكن منهم على هذه الحالة ، فإن وقع الإجماع من المسلمين فنحن نفعله إن شاء الله تعالى ، والله قَسماً ما نقول ذلك استهزاء بل صدقا .

فأما الإعطاء من هذه الأموال والمنع في الكثرة والقلة ، فلا شك أن أحوال الناس تختلف ، فمنهم من يعلم أنه يسد مسد اثنين أو ثلاثة أو أربعة ، بشرط أنه يعطى ما يأخذ اثنان أو ثلاثة أو أربعة ، فأعطيناه هذا القدر وساغ لنا وهو مدين في أخذه ، ومن علمنا أيضا من حاله أنه أن لم يعط القدر الذي نعطيه ـمال ـعلى المسلمين ، وكان ضرره عليهم أكثر من ضرره في القدر الذي نعطيه .

فأما أفعال أهل البيت عليهم السلام في التزهد فليست توجب التحريم ، مع أنا قد فعلنا أبلغ مما فعله المؤيد رضي الله عنه ، لأنه أعطى ولده شيئا من بيت المال ، و لم نعط أحدا من أولادنا قليلا ولا كثيرا ، وهو الذي يمكننا

التحكم فيه ، ولو أمكننا أن المسلمين يجاهدون عن هذا الدين بغير دينار ولا درهم ، ويحفظون هذه المعاقل التي للإسلام والمسلمين لما أخذنا دينـــارا ولا درهما ، والله تعالى يعلم الصدق في ذلك والنية .

ثم بيان ذلك أن كل أمر أشكل على حضرته ، أو ادعـــاه أحـــد مـــن المسلمين ، فيدعونا إلى حكم الله تعالى ، فما وجب علينا بالشـــريعة النبويـــة أمضيناه والتزمنا به . فأما أنا نفعل في نفوسنا شيئا لم يدِّعِه علينا مـــدِّعٍ ولا اعتقدنا وجوبه ، فهذا مما لا يعقل .

وأما قول حضرته في أنه صح عنده أن إنسانا من الرعية فعل فيه كـــذا وكذا ، وحرص عليه أكثر من ماله ، فهو يعلم أن القياس في ذلك لا يصـــح في جميع الرعية ، وإنما إذا صح عند حضرته شيء فليقل: صح عندي في أمـــر فلان بن فلان ما هو كذا وكذا ، وينبغي أن يُفعل في حقه كـــذا وكـــذا . فحينئذ يجب علينا أن نفعل ذلك بمقتضى حكمه ، فهو يعلم أنه لا يلزم أن نأمر برفع الحروص كلها لأجل ما وقع على ذلك الرجل ، وهو يعلم أن تحصـــيل الظن بالمسلمين هو من الأصول الواجبة ، ويعلم _أبقاه الله_ أن هذا الأمر الذي نحن فيه ما نريد فيه بطرا ولا تجبرا ولا ذكرا لدنيا ، بل نريد به ســـلامة الأديان وحماية لأهل هذا البيت الشريف ، والدفع عن المسلمين بكل وجه ، بأنفسنا وأموالنا وأهلنا ومن يتعلق بنا ، لأنا نعلم أنه لا ينبغي أن نقدم أرواح المسلمين ونؤخر أرواحنا ، ولا أن نقدم أموالهم ونؤخر أموالنا ، ولنا بـــذلك الفوز والنجاة إن شاء الله تعالى ، ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ الـــنَّفْسَ لَأَمَّـــارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾ [يوسف] .

وحضرته يعلم أنه لا تعدم الهفوة منا ، ثم ممن دوننا إلى منتـــهاه ، لأن العصمة مخصوصة بمن تعرف ، فعند معرفتها لا يتركها لا منا ولا ممن دوننـــا بحمد الله تعالى وفضله ، وما يستر سبحانه أكثر ، وما يعفو عنه سبحانه أبلغ ، ولو عددنا ما في السِّيَر من وقت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليوم لطال الشرح في ذلك ، ونحن نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق لنا والهداية إلى طريق النجاة .

وعجبنا من قول حضرته أيضا في الأيام الماضية إنه لم يكن حـــرب ولا وقع تخفيف عن الرعية ، و لم ندر كيف تَصوَّر ذلك ــ أبقاه الله تعـــالى ــ إذا كان الجند والديوان معدين بالجرية كل شهر لشهره ، والحصون ومن فيهـــا كذلك ، وعماراتها وشحنها لم تنقطع ، غير ما استئونف منها لحـــادث إن حدث مثل ما قد رأت حضرته .

ونحن نجيب في هذا بمثل جوابنا الأول ، إذا وقع الإجماع على أنا نفسح للجند والديوان ولأهل الحصون أو للبعض ، ثم يكون عند أن يبدو بادي من العدو ، نطلب من الناس الأموال ونستخدم بها فلا بأس ، هذا إذا أمكن منهم تسليم في ذلك ، ولا بد من تفصيل ما ذكرناه مجملا ، لأن يكون هو وكافة المسلمين من أمورهم على معلوم إن شاء الله تعالى ، وهو المسؤل أن يصلحنا ويوفقنا ويثبتنا ، ويصلي على محمد وآله والسلام .

جواب مسائل ابن معرف

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال الإمام أحمد بن الحسين عليه السلام في جواب مسائل ابن معرِّف ما لفظه: المسألة الثانية في باب الخلاص الذي يطلبه الناس عما لزمهم من المظالم ، وما تفاوت من الزكوات والأعشار ، وهذه المسألة مسألة كبيرة ، وتفتقر إلى بسط وتفصيل ، والذي يصح من الخلاص ونعتمده فيما فعلناه مع الناس في ذلك أحد وجوه ثلاثة:

إما أن يكون الطالب لذلك ممن يُقصد تأليفه ، لمنفعة تعود على الإسلام ، أو دفع مضرة عنه ، فيفعل له ذلك قبضا وردا ، لأنه يجوز لنا أن نتألفه للدين بما في أيدينا ، فكيف بما في يده ؟!

والوجه الثاني: أن يكون في يد الطالب مال فيطلب الخلاص فيما ذكره ، فنعلم أو يغلب في ظنوننا أن قبض هذا المال ورده عليه وكونه في يده ، أنفع للإسلام وأهله من أن يكون فقيرا ، فيفعل له ذلك ، ونتحرى في ذلك الأمارات التي يُعمل عليها في الاجتهاديات .

الوجه الثالث: أن يتفضل الإمام بشيء مما يملكه على هذا الطالب ، فيملّكه إياه ، ويصرفه عنه بوكالته في مصرف هذه الحقوق ، فهذا هو كيفية ما نحن نعتمده في تخليص الناس .

❁ ❁ ❁

الفهرس

مقدمة التحقيق ---------- ٣
ترجمة المؤلف ---------- ٣
نسبه ---------- ٣
مولده ---------- ٣
مشايخه ---------- ٣
مؤلفاته: ---------- ٤
مزاياه ---------- ٤
النعمة التي أصبحت نقمة ! ---------- ٥
وقعة ((قارن)) ونصحُ الشاعر ---------- ٧
موقف بني حاتم وقصيدة التمرد ---------- ١١
قصة ((الحشاشين)) ومحاولة اغتيال الإمام ---------- ١٩
المؤامرة باطنية ((حاتمية)) يمنية ! ---------- ٢٤
خروج الرصاص على الإمام واستشهاده ---------- ٣٠
مصير الثلاثة الكبار ---------- ٣٣
١- من هو الرصاص ؟ وما كان مصيره ؟ ---------- ٣٤
٢- الإمام ((ابن وهاس)) الحمزي ---------- ٣٥
٣ - الأمير الفارس الشاعر ---------- ٣٦
هل من عذر لابن حمزة ؟! ---------- ٤١

الخروج وقصيدة الرفذ ((الحاتمية)) ! -------- ٤٤
ابن هتيمل والامام ---------- ٥٩
خلل دستوري في نظرية الإمامة الزيدية -------- ٧٧
صور المخطوطات ---------- ٨٦
مجموع كتب ورسائل ---------- ٩١
حليفة القرآن ---------- ٩١
الرسالة الزاجرة لصالحي الأمة ---------- ١٢٣
عهد لبعض أمرآئه وولاته ---------- ١٤١
عهد آخر ---------- ١٤٦
رسالة جواب على الشيخ عطية النجراني ------ ١٥١
جواب سؤال ---------- ١٧٧
الفصل الثالث: ---------- ١٧٧
جواب مسائل ابن معرف ---------- ١٨١
الفهرس ---------- ١٨٢